إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

السبيل في ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name

اسم الطالب: رضام محمد شعبان عبد الله

Signature

التوقيع:

Date:

التاريخ: ٣/ ٩/ ٢٠١٥م

الجامعة الإسلاميـــة - غـزة
عمـــادة الدراســـات العليـــا
كليـــــة أصـــول الدّيـــن
قســم التفسير وعلوم القرآن

السّبيل في ضوء القرآن الكريم
"دراسة موضوعية"

The Way in the Light of the Holy Quran
"Objective Study"

إعـداد الباحثة

رهـــام محمـــد شعبان عبـد الله

إشـراف الدكتور

محمـــود هاشـم محمود عـنبر

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1436هـ - 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza
مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي 1150

الرقم Ref ج س ن غ/35/.....
التاريخ Date 03/08/2015م.....

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ رهام محمد شعبان عبدالله لنيل درجة الماجستير في كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

السبيل في ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الاثنين 18 شوال 1436هـ، الموافق2015/08/03م الساعة الواحدة والنصف ظهراً بمبنى اللحيدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. محمود هاشم عنبر	مشرفاً و رئيساً	.....
د. زهدي محمد أبو نعمة	مناقشاً داخلياً	.....
د. فايز حسان أبو عمرة	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 هاتف ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }

(يوسف:108)

الإهـــــــداء

❖ إلى من ملأ حبه كل فؤادي وفاض على جميع أركان حياتي

إلى **والدي الحبيب**.

❖ إلى خير من تكن لي الحنان وترجو لي الخير والإحسان

إلى **أمي الحنونة**.

❖ إلى من هو أنسي في حياتي وتحمل من أجلي كل صعب وقاسي

إلى زوجي الغالي "**بلال**".

❖ إلى المصباح في طريق الظلام والمرشد إلى الخير والإحسان

إلى دكتوري القدير "**محمود عنبر**"

❖ إلى سندي في كل مسير ومتحمل لأجلي كل عسير

إلى أخي الغالي المهندس "**صلاح الدين**"

❖ إلى أصفى روحٍ وأنقى فؤاد إلى قرة عيني وعطر الحياة

إلى طفلتي الجميلة "**ميار**"

إلى كل من ساعدني

وأحببته وأحبني

والخير رجوت له ولي

إلى إخوتي و أخواتي

أهدي هذا العمل.

شكرٌ وتقديرٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد -ﷺ- النبيّ الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، فأمّا بعد:

إنطلاقًا من قوله تعالى: ﴿**وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ**﴾(النمل:40)، وقول النّبي -ﷺ-: **(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)**[1]، فإنّي أحمد الله -ﷻ- صاحب الفضل كلّه على رعايته وهدايته وتيسيره لي هذا الطّريق المبارك، طريق العلم الشرعيّ، فلا يسعني في هذا المقام إلّا أن أشكر **الله تعالى** أوّلًا، ثمّ **والديّ الكريمين الحبيبين** الذّين شجّعاني على طلب العلم ثانيًا، فأسأل الله تعالى أن يبارك في عمرهما ويتقبل طاعتهما وأن يختم لهما بخاتمة السعادة.

كما وأتقدّم بجزيل الشّكر والعرفان لمشرفي الفاضل **الدكتور محمود هاشم عنبر** لما قدّمه من عونٍ ومساندةٍ ومتابعةٍ وتشجيعٍ وخلقٍ نادرين، أثابه الله على ما بذله من جهود، وجعل كلّ ما قدّمه من دعم علمي ومعنوي في ميزان حسناته.

كما وأتقدّم بخالص الشّكر والعرفان للأساتذة الأفاضل فضيلة الدّكتور **زهدي محمّد أبو نعمة** مناقشًا داخليًّا، وفضيلة الدّكتور **فايز حسّان أبو عمرة** مناقشًا خارجيًّا على قبولهما مناقشة هذا البحث وإثرائه بتوجيهاتهما السديدة ونصائحهما القيّمة فجزاهما الله عني خير الجزاء.

كما لا أنسى أن أتوجّه بخالص شكري وعرفاني إلى أساتذتي في كلّية أصول الدّين وأخصّ منهم أساتذتي في قسم التّفسير وعلوم القرآن على ما قدّموه وبذلوه من جهد مشكور في الارتقاء بطلاب وطالبات العلم، فجزاهم الله عنّا خير الجزاء.

كما لا أنسى جامعتي الغرّاء الجامعة الإسلامية منارة العلم والعلماء ومحضن الحضارة والثقافة على ما تقدّمه لأهل العلم فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

كما وأتقدّم بالشكر والتقدير إلى **زوجي ورفيق دربي بلال** الذي ساندني ووقف إلى جانبي واحتمل أيّامًا صعبة في سبيل إتمام هذه الرّسالة، فله مني خالص الشّكر والتّقدير.

ولا أنسى أخي الغالي المهندس **صلاح الدّين** الذي كان عونًا لي، وكان معي بكل جهده ووقته، فالله أسأل أن يحفظه ويوفقه.

كما أتوجّه بالشّكر لكل من قدّم لي نصيحة أو عونًا أو دعا لي في ظهر الغيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشّكر لمن أحسن إليك، حديث رقم (1954)، (339/4) صححه الألباني.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين حمدًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى ملء السموات وملء الأرض وما شاء ربنا من شيء بعد، والصلاة والسلام على سيد المرسلين الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ثم أما بعد:

فإن الله قد خلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسيَ من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين، قال تعالى:﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرض فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبّ الْعَالَمِينَ﴿ 9 ﴾وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ﴿ 10 ﴾** ﴾ (فصلت:10,9)، ثم جعل الإنسان خليفة فيها وقدر له سبل العيش والحياة وكذا سبل الطاعة و العبادة التّي ما خُلق الإنسان الا من أجلها وبها عمارة الأرض وصلاحها.

إن القرآن الكريم هو دستور هذه الأمة ومصدر عزتها وسعادتها ورفعتها ومنبع كرامتها وسبيل سؤددها، به تحيا نفوسنا وتطمئن قلوبنا وتستقر أحوالنا، ما ترك خيرًا إلا ودلنا عليه وأمرنا به، ولا شرًا إلا حذرنا منه ونهانا عنه، فقد أرشدنا إلى الصّراط المستقيم، ونهانا عن اتّباع السّبل التّي تفرّق الأمة عن السّبيل القويم، فقال سبحانه:﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السّبل فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (الأنعام:153)، كما أظهر السّبيل القويم للدعوة إلى الله على لسان رسوله –ﷺ– فقال: ﴿**قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (يوسف:108)، كما بين –ﷻ– في القرآن الكريم ميادين السّبل منها ما تدل على الخير وترشد إليه ومنها ما توصل صاحبها إلى الهاوية في الدّنيا لينخرط في سبيل الشيطان وأعوانه وفي الآخرة في العذاب المقيم.

ونظرًا لبعد كثير من الناس عن كتاب الله وانخراطهم في سُبل الغي والهوى إلا من رحم الله أرادت الباحثة أن تظهر للمؤمنين خاصة وللناس عامة السّبل بكل أنواعها و ميادينها لتذكر المؤمنين بها ولتعرف الناس عليها وذلك من خلال موضوع قرآني بعنوان: ﴿السّبيل في ضوء القرآن الكريم﴾ دراسة موضوعية وذلك في إطار دراسة قرآنية وتفسيرية محكَّمة.

أولًا: أهمية الموضوع.

تكمن أهمية الموضوع فيما يلي:

1. يعدُّ هذا الموضوع من موضوعات القرآن الكريم الهامة حيث تحدّثت فيه الباحثة حول أنواع السّبل و ميادينها في القرآن الكريم.
2. حداثة هذا الموضوع من حيث العرض بشكل موضوعي وتناوله في إطار دراسة تفسيرية محكَّمة.
3. حاجة الواقع المعاصر إلى موضوع قرآني يبين للمسلمين سبل الخير والرشاد ويرشدهم اليها ويبعدهم عن سبل الشر والغي والضلال.
4. حاجة الإنسانية إلى التعرف على أنواع السّبل وميادينها في القرآن الكريم وذلك في ظل الانحراف الأخلاقي والذي غزا الناس في بيوتهم بواسطة التقنيات الحديثة.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع.

قامت الباحثة باختيار هذا الموضوع للأسباب التالية:

1. الرغبة في البحث في موضوع من موضوعات القرآن الكريم رجاء أن نكون من أهل القرآن الذّين هم أهل الله وخاصته.
2. الرغبة في إظهار أنواع السّبل و ميادينها في ضوء القرآن الكريم نظرًا لحاجة الناس إليها.
3. بيان الفرق الشاسع بين اتّباع سبيل الله وسبل الشيطان.
4. افتقار المكتبة الإسلامية إلى دراسة علمية محكَّمة حول هذا الموضوع.

ثالثًا: أهداف البحث وغاياته.

إن لهذه الدراسة أهدافًا كثيرة وغايات متعددة من أهمها :

1. خدمة القرآن الكريم طمعًا في مغفرة الله عزَّ وجل ونيل مرضاته وجنته.
2. التعرف على السّبل التّي ارتضاها الله لعباده في الأرض والتمسك بها وذلك لنيل رضوانه في الدّنيا والآخرة.
3. بيان سبيل الحقّ وأثره وثوابه من سبيل الضلال وأثره وعقابه.
4. المساهمة في مجال الدّعوة إلى الله، وذلك من خلال إظهار تعاليم القرآن الكريم وبيان شموليته لكل قضايا العصر وحاجات الإنسانية.

5. إثراء المكتبة الإسلامية بموضوع قرآني تفتقر إليه.

رابعًا: الدراسات السابقة.

بعد البحث والاطلاع فيما كتب في هذا الموضوع لم أجد رسالةً علميةً محكَّمةً تحيط بجميع جوانب هذا الموضوع في إطار دراسة علمية تطبيقية متخصصة.

خامسًا: منهج البحث.

اتّبعت الباحثة المنهج الاستقرائي وذلك من خلال الخطوات التالية:

1. جمع الآيات القرآنية التّي تشتمل على لفظة السّبل ومشتقاتها وكتابتها بالرسم العثماني ودراستها دراسة موضوعية وافية من خلال كتب التفسير.
2. تقسيم الآيات إلى مجموعات كل مجموعة تتحدّث عن موضوع وتمثّل فصلًا من فصول البحث.
3. عزو الآيات القرآنية إلى سورها وذكر اسم السورة ورقم الآية وكتابتها في متن البحث تجنبًا لإثقال الحواشي.
4. اتّباع منهج التفسير الموضوعي من خلال تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وفصول.
5. الرجوع إلى كتب التفسير القديمة والحديثة ونقل أقوال المفسرين في المتن وتوثيقها في الحاشية.
6. تحقيق الأمانة العلمية في عزو الأقوال إلى أصحابها مع التوثيق.
7. ربط هذا الموضوع بالواقع المعاصر ما أمكن وإضافة كل جديد.
8. تخريج الاحاديث الواردة في البحث تخريجًا علميًا ونقل حكم العلماء عليها ما أمكن.
9. بيان معاني المفردات الغريبة بالرجوع إلى المعاجم اللغوية الأصلية.
10. عمل تراجم للأعلام غير المشهورين والأماكن التّي ترد في البحث ما أمكن.
11. تذييل الرسالة بخمسة فهارس وهي:
    - فهرس الآيات القرآنية.
    - فهرس الأحاديث النبوية.
    - فهرس الأعلام المغمورين.
    - فهرس المصادر والمراجع.

- فهرس الموضوعات.

سادسًا: خطة البحث.

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس وهي:

المقدمة : وتشتمل على:

أولًا: أهمية الموضوع.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع.

ثالثًا: أهداف البحث وغاياته.

رابعًا: الدراسات السابقة.

خامسًا: منهج البحث.

سادسًا: خطة البحث.

التمهيد

وهو بعنوان:

السّبيل بين المعاني اللغوية والاصطلاحية والسياق القرآني

وفيه:

أولًا: معنى السّبيل لغةً واصطلاحًا.

ثانيًا: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية.

ثالثًا: السّبيل ومشتقاتها في السياق القرآني:

1. في الآيات المكّية.
2. في الآيات المدنية.

رابعًا: موضوعات الآيات التّي وردت السّبيل في سياقها:

1. موضوعات الآيات المكّية.
2. موضوعات الآيات المدنية.

الفصل الأوّل

أنواع السّبيل في السياق القرآني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: السّبل المحمودة:

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأوّل: سبيل الله.

المطلب الثّاني: سبيل الرّسول– ﷺ – والرسل من قبله –عليهم السّلام–.

المطلب الثّالث: سبيل السّلام.

المطلب الرّابع: السّبيل المستقيم.

المطلب الخامس: سبيل المتوكلين على الله.

المطلب السّادس: سبيل المنيبين إلى الله.

المطلب السّابع: سبيل المؤمنين.

المطلب الثّامن: سبيل الرّشد والرشاد.

المطلب التّاسع: السّبيل المقيم.

المبحث الثّاني: السّبل المذمومة:

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأوّل: سبيل الطّاغوت.

المطلب الثّاني: سبيل المفسدين.

المطلب الثّالث: سبيل المجرمين.

المطلب الرّابع: سبيل الغي.

المطلب الخامس: السّبيل السيء.

المطلب السّادس: سبيل الذّين لا يعلمون.

المبحث الثّالث: سبل لا توصف بمدح أو ذم:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: ابن السّبيل.

المطلب الثّاني: سبيل الأرض.

المطلب الثّالث: سبيل الحوت.

الفصل الثّاني

ميادين السّبيل في السياق القرآني

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: ميادين الخير

وفيه اثنا عشر مطلبًا:

المطلب الأوّل: القتال في سبيل الله.

المطلب الثّاني: الإنفاق في سبيل الله.

المطلب الثّالث: الجهاد في سبيل الله.

المطلب الرّابع: الهجرة في سبيل الله.

المطلب الخامس: الإصابة في سبيل الله.

المطلب السّادس: الضرب في سبيل الله.

المطلب السّابع: الدّعوة إلى سبيل الله.

المطلب الثّامن: الإيذاء في سبيل الله.

المطلب التّاسع: الإحصار في سبيل الله.

المطلب العاشر: اتّباع سبيل الله.

المطلب الحادي عشر: اتّباع سبيل من أناب.

المطلب الثّاني عشر: الظمأ والنصب والمخمصة في سبيل الله.

المبحث الثّاني: ميادين الشر.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأوّل: القتال في سبيل الطّاغوت.

المطلب الثّاني: الصّدّ عن سبيل الله.

المطلب الثّالث: إضلال سواء السّبيل.

المطلب الرّابع: اتّباع سبيل الكافرين.

المطلب الخامس: قطع السّبيل.

المطلب السّادس: عدم الإنفاق في سبيل الله.

المطلب السّابع: اتّباع السّبل.

الفصل الثّالث
أسباب الإضلال وأسباب الهداية

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: أسباب الإضلال عن سبيل الحقّ

وفيه اثنا عشر مطلبًا:

المطلب الأوّل: الكفر بعد الإيمان.

المطلب الثّاني: اتخاذ الأنداد.

المطلب الثّالث: تزيين الشيطان للأعمال.

المطلب الرّابع: اتّباع الهوى.

المطلب الخامس: اتّباع السّبل.

المطلب السّادس: موالاة الأعداء.

المطلب السّابع: طاعة السّادة والكبراء.

المطلب الثّامن: شراء الضلالة ولهو الحديث.

المطلب التّاسع: اتّباع غير سبيل المؤمنين.

المطلب العاشر: الزنا ومقدماته.

المطلب الحادي عشر: كراهية الجهاد بالمال والنفس.

المطلب الثّاني عشر: ظلم النّاس.

المبحث الثّاني: أسباب الهداية إلى السّبيل الحقّ:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: اتّباع الرّسل.

المطلب الثّاني: حسن التوكل على الله.

المطلب الثّالث: الجهاد في سبيل الله.

الخاتمة:

وقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات التّي توصّلت الباحثة إليها من خلال هذا البحث.

الفهارس: وتشتمل على:

1. فهرس الآيات القرآنية.
2. فهرس الأحاديث النبوية.
3. فهرس الأعلام المترجم لهم.
4. فهرس المصادر والمراجع.
5. فهرس الموضوعات.

التمـهيــد

السّبيل بين المعاني اللغوية والاصطلاحية والسياق القرآني

وفيه:

أولًا: معنى السّبيل لغةً واصطلاحًا.

ثانيًا: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية.

ثالثًا: السّبيل ومشتقاتها في السياق القرآني.

رابعًا: موضوعات الآيات التّي وردت السّبيل في سياقها.

أولًا: معنى السّبيل لغة واصطلاحًا:

1.معنى السّبيل لغة:

"السّبيل هو الطّريق وما وضح منه، ويذكَّر ويؤنَّث، والتأنيث فيه أكثر"[1]، فمثال التذكير قوله تعالى ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾.(الأعراف:146)، ومثال التأنيث قوله تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾.(يوسف:108).

"وتجمع كلمة السّبيل على سُبُول وأَسْبُل وسُبُل وسُبْل وأسْبِلة"[2].

ويذكر ابن منظور في كتابه: "حيث تجمع على التأنيث سُبُول كما قالوا عنوق وجمع قلة أسْبُل، وعلى التذكير سُبُل وسُبْل وأسبلة، وسبيل الله كل ما أمر الله به من الخير"[3].

والسابلة من الطّرق أي المسلوكة، وأسبلت الطّريق أي كثرت سابلتها، وأسبل الإزار أي أرخاه، وأسبل الدمع أي أرسله، وأسبلت السماء أي أمطرت، والسّبْلُ أي الأنف والجمع سبال، والسّبل السب والشتم، والسّبل من رماح طائفة منها قليلة أو كثيرة، وسبّله تسبيلا جعله في سبيل الله.

والسّبيل الممتد طولا هو الطّريق وسمي بذلك لإمتداده، والسابلة: المختلفة في السّبل وسمي السنبل سنبلا لإمتداده [4].

بالنظر إلى المعاني اللغوية السابقة يتبين للباحثة أن السّبيل في اللغة قد وردت بمعنى الطّريق وما وضح منه، وأما المعاني الأخرى فلا تتعلق بشكل مباشر مع كلمة السّبيل.

---

(1)"معجم الطالب" – لجرجس الشويري (ص 422).

(2)"المرام في المعاني والكلام" – لمؤنس رشاد الدّين (1/ 447).

(3)"لسان العرب" – (7/ 116، 117)

(4)انظر:"القاموس المحيط"–للفيروز آبادي(482/2)، "معجم مقاييس اللغة"–لأحمد بن فارس(1012/1)، "تاج العروس"–للزبيدي(161/29).

2.معنى السّبيل اصطلاحًا:

وردت كلمة السّبيل على عدة معاني وهي :

1. يعرف الإمام الكفوي[1] السّبيل بقوله: "كل مأتىّ إلى الشيء فهو سبيله"[2].
2. وأما الفيروز آبادي[3] فيعرف السّبيل من خلال استعماله فيقول: "يستعمل السّبيل لكل ما يتوصل به إلى شيء خيرًا كان أو شرًا " [4].
3. ويعرفه الإمام المناوي[5] بقوله: "السّبيل هو طريق الجادة السابلة عليه الظاهر لكل سالك منهجه، وسبيل الله طريقه التّي أمر بسلوكها"[6].
4. كما عرَّف الإمام الطبري السّبيل بقوله :"الطّريق المسبول، صرف من مسبول إلى سبيل"[7].
5. أما الإمام الحافظ بن كثير فيعرف السّبيل مختصرًا ومقتضبًا حيث يقول: "السّبيل هو الطّريق المستقيم"[8].

بالنظر إلى المعاني الاصطلاحية السابقة يتبين للباحثة أن هذه المعاني ليست ضابطة ولا حاصرة، وقد اجتهدت الباحثة في وضع تعريف إصطلاحي للسّبيل وهو:

(هو أي طريق يتم سلوكها للوصول، إلى خير يرضي الله أو إلى شر يغضبه).

---

(1)الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي أبو البقاء، صاحب الكليات، كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في (كفه، تركيا، القدس، بغداد)، وعاد إلى اسطنبول فتوفي فيها ودفن في تربة خالد سنة 1094م، وله كتب أخرى بالتركية (انظر: "الأعلام" – للزركي (38/2)).

(2)"الكليات" : (ص 494).

(3)الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر مجد الدّين الشيرازي الفيروز آبادي، من أئمة اللغة والأدب، ولد بكارزين سنة 729هـ، وانتقل إلى العراق وجال في مصر والشام ودخل بلاد الروم والهند، ورحل إلى زبيد سنة 796 هـ فأكرمه ملكها الأشرف إسماعيل وقرأ عليه، فسكنها وولي قضاءها، وانتشر اسمه في الآفاق حتّى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفي في زبيد سنة 817هـ، وله كتب كثيرة منها: القاموس المحيط في اللغة، وكان شافعيًا وقويًا حافظًا. (انظر: "الأعلام" – للزركلي (147/7)).

(4)"بصائر ذوي التمييز": (3 ، 186).

(5)المناوي: هو يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، أبو زكريا شرف الدّين بن سعد الدّين الحدادي المناوي، فقيه شافعي من أهل القاهرة، ولد فيها سنة 798هـ، وتوفي فيها سنة 871هـ. ولّي قضاء الدّيار المصرية وحدت سيرته ومدحه بعض كبار الشّعراء، وصنف كتبًا منها: شرح مختصر المزني وأربعون حديثًا، وله نظم ونثر. (انظر: "الأعلام" – للزركلي (167/8)).

(6)"التوقيف على مهمات التعاريف" : (ص 131).

(7)"جامع البيان" (497/2)

(8)"تفسير القرآن العظيم"(382/1)

ثانيًا: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية:

بعد التعرف على معنى كلمة السّبيل لغة واصطلاحًا نجد أن العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لكلمة السّبيل واضحة ومرتبطة ارتباطًا وثيقًا ببعضها البعض، حيث تلاحظ الباحثة أن التعريف اللغوي بيَّن أن السّبيل هو الطّريق عامة، وأما التعريفات الاصطلاحية فقد بيّنت أن السّبيل قد يكون طريقًا إلى خير أو إلى شر وبهذا يتبين لنا أن العلاقة بينهما علاقة تفصيل الإجمال، وأن المعاني الاصطلاحية أشمل وأعمَّ من التعريفات اللغوية.

ثالثًا: السّبيل ومشتقاتها في السياق القرآني

وردت لفظة السّبيل ومشتقاتها في السياق القرآني في مائة وخمس وسبعين موضعًا، ومائة وخمسٍ وستين آية، موزعة على تسعٍ وأربعين سورة وذلك في الآيات المكّية والمدنية على النحو التالي:

لفظة السّبيل ومشتقاتها في الآيات المكّية:

وردت لفظة السّبيل ومشتقاتها في الآيات المكّية في خمسةٍ وسبعين موضعًا وإحدى وسبعين آية موزعة على اثنتين وثلاثين سورة وذلك على النحو التالي:

	الآية	رقم الآية	اسم السورة
.1	وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ	55	الأنعام
.2	وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ	116	الأنعام
.3	إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ	117	الأنعام
.4	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ	153	الأنعام
.5	الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا . . .	45	الأعراف
.6	وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ . .	86	الأعراف
.7	. . . وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ	142	الأعراف
.8	سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن	146	الأعراف

	يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ		
.9	. . . أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا . . .	148	الأعراف
.10	وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ . . .	88	يونس
.11	. . . فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ	89	يونس
.12	الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا . . .	19	هود
.13	قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي . .	108	يوسف
.14	وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ	76	الحجر
.15	. . . وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ . . .	3	ابراهيم
.16	وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا . . .	12	ابراهيم
.17	وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ . . .	30	ابراهيم
.18	وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ . . .	9	النحل
.19	وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا . . .	15	النحل
.20	ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا . . .	69	النحل
.21	الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا . . .	88	النحل
.22	وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ . . .	94	النحل
.23	ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . . .	125	النحل
.24	وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا	26	الإسراء
.25	وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا	32	الإسراء

.26	قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا	42	الإسراء
.27	انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا	48	الإسراء
.28	وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا	72	الإسراء
.29	قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا	84	الإسراء
.30	. . . وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا	110	الإسراء
.31	فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا	61	الكهف
.32	قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا	63	الكهف
.33	الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا . . .	53	طه
.34	وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ	31	الأنبياء
.35	ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ . . .	9	الحج
.36	انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا	9	الفرقان
.37	وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ	17	الفرقان
.38	وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا	27	الفرقان
.39	الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا	34	الفرقان
.40	إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا	42	الفرقان
.41	أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا	44	الفرقان
.42	قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا	57	الفرقان
.43	وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ	24	النمل

.44	وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ	22	القصص
.45	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ . . .	12	العنكبوت
.46	أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ . .	29	العنكبوت
.47	وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ	38	العنكبوت
.48	وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ	69	العنكبوت
.49	فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ . . .	38	الروم
.50	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ	6	لقمان
.51	وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ . . .	15	لقمان
.52	. . . وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحساب	26	ص
.53	. . . وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ	8	الزمر
.54	. . . رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ	7	غافر
.55	قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ	11	غافر
.56	. . . قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ	29	غافر
.57	وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ	37	غافر
.58	وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ	38	غافر
.59	وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ	41	الشورى

.60	إنّما السّبيل عَلَى الذّين يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأرض بِغَيْرِ الحقّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ	42	الشورى
.61	. . . وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ	44	الشورى
.62	. . . وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ	46	الشورى
.63	الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرض مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا . . .	10	الزخرف
.64	وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السّبيل وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ	37	الزخرف
.65	ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى	30	النجم
.66	إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ	7	القلم
.67	لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا	20	نوح
.68	إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا	19	المزمل
.69	. . . وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .	20	المزمل
.70	إِنَّا هَدَيْنَاهُ السّبيل إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا	3	الإنسان
.71	ثُمَّ السّبيل يَسَّرَهُ	20	عبس

لفظة السّبيل ومشتقاتها في الآيات المدنية:

وردت لفظة السّبيل ومشتقاتها في الآيات المدنية في تسعةٍ وتسعين موضعًا وثلاثٍ وتسعين أية موزعة على تسع عشرة سورة وذلك على النحو التالي:

	الآية	رقم الآية	اسم السورة
.1	. . . وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السّبيل	108	البقرة
.2	وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ . . .	154	البقرة
.3	. . . وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السّبيل . . .	177	البقرة
.4	. . . وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الذّين يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ . . .	190	البقرة

.5	وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ . .	195	البقرة
.6	مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ . . .	215	البقرة
.7	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ . . .	217	البقرة
.8	إِنَّ الذِّينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	218	البقرة
.9	وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	244	البقرة
.10	أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا . . .	246	البقرة
.11	مَّثَلُ الذِّينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ . . .	261	البقرة
.12	الذِّينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى . . .	262	البقرة
.13	لِلْفُقَرَاء الذِّينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ . . .	273	البقرة
.14	قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ . . .	13	آل عمران
.15	وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ . . .	75	آل عمران
.16	فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيه سَبِيلًا . . .	97	آل عمران
.17	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاء وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . . .	99	آل عمران
.18	وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ . . .	146	آل عمران

.19	وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ	157	آل عمران
.20	وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا . . .	167	آل عمران
.21	وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ	169	آل عمران
.22	. . . فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ . . .	195	آل عمران
.23	وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا	15	النساء
.24	وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء سَبِيلًا	22	النساء
.25	. . . فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا . . .	34	النساء
.26	وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ . . .	36	النساء
.27	يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا . .	43	النساء
.28	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ	44	النساء
.29	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا	51	النساء
.30	فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا	74	النساء
.31	وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ . . .	75	النساء
.32	الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ . . .	76	النساء
.33	فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ . . .	84	النساء
.34	. . . وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا	88	النساء

.35	وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ . . .	89	النساء
.36	. . . فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً	90	النساء
.37	يَا أَيها الذّين آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُوا . . .	94	النساء
.38	لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ	95	النساء
.39	إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً	98	النساء
.40	وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً . . .	100	النساء
.41	وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى . . .	115	النساء
.42	إِنَّ الذّين آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً	137	النساء
.43	. . . وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً	141	النساء
.44	مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً	143	النساء
.45	إِنَّ الذّين يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً	150	النساء
.46	فَبِظُلْمٍ مِّنَ الذّين هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيرًا	160	النساء
.47	إِنَّ الذّين كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلاَلاً بَعِيدًا	167	النساء
.48	. . . لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ	12	المائدة
.49	يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ . . .	16	المائدة
.50	يَا أَيها الذّين آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَابْتَغُوا إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	35	المائدة
.51	يَا أَيها الذّين آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى	54	المائدة

	الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ . . .		
.52	قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ	60	المائدة
.53	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ	77	المائدة
.54	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ . . .	36	الأنفال
.55	وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ . . .	41	الأنفال
.56	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ . . .	47	الأنفال
.57	. . . وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ . . .	60	الأنفال
.58	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ . . .	72	الأنفال
.59	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ	74	الأنفال
.60	. . . فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ . . .	5	التوبة
.61	اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ . . .	9	التوبة
.62	أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ . . .	19	التوبة
.63	الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ	20	التوبة
.64	قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا	24	التوبة

	حتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ . . .		
.65	يَا أيها الذّين آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ	34	التوبة
.66	يَا أيها الذّين آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ . . .	38	التوبة
.67	انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ	41	التوبة
.68	إِنّما الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السّبِيلِ فَرِيضَةً مّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ	60	التوبة
.69	فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ . . .	81	التوبة
.70	لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الذّين لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	91	التوبة
.71	إِنّما السّبِيلُ عَلَى الذّينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء . . .	93	التوبة
.72	إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجنّة يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ . . .	111	التوبة
.73	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ . . .	120	التوبة
.74	. . . بَلْ زُيّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السّبِيلِ . . .	33	الرعد
.75	إِنَّ الذّين كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ . . .	25	الحج
.76	وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ	58	الحج

.77	وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا . .	22	النور
.78	. . . وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ	4	الأحزاب
.79	وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا	67	الأحزاب
.80	الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ	1	محمد
.81	وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ	4	محمد
.82	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا . . .	32	محمد
.83	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ	34	محمد
.84	هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ . . .	38	محمد
.85	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .	15	الحجرات
.86	وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .	10	الحديد
.87	اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ	16	المجادلة
.88	مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ . . .	7	الحشر
.89	. . . إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ	1	الممتحنة
.90	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا . . .	4	الصف
.91	تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ	11	الصف

.92	اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	2	المنافقون
.93	إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا	29	الإنسان

رابعًا: موضوعات الآيات التّي وردت لفظة السّبيل أو إحدى مشتقاتها في سياقها:

موضوعات الآيات المكّية:

- تحدّثت الآيات المكّية عن سبيل المجرمين وبيّنت سبلهم الفاسدة وحذرت منها.
- كما بيّنت سبيل المضلين عن سبيل الله، ووضحت أن طاعتهم تؤدي إلى غضب الله ﷻ.
- وفرّقت الآيات الكريمة بين سبيل الله وسبل الكافرين الفاسدة، وأمر الله فيها بالتزام تقواه واتّباع أوامره والابتعاد عن سبل الكافرين.
- كما تحدّثت الآيات المكّية عن كيفية اتخاذ الكافرين لسبل الغي والفساد بدل سبيل الرّشاد.
- كما بيّنت الآيات المكّية اتّباع الكافرين لسبلهم الفاسدة وصدهم عن سبيل الله المستقيم واتخاذهم كل الوسائل للصد عن سبيله.
- وتحدّثت الآيات المكّية عن التوكل على الله، وأكدت أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يهدي الإنسان إلى السّبيل الصّحيح.
- وبيّن سبحانه في الآيات المكّية سبيله المستقيم من بين كل السّبل الجائرة والفاسدة.
- وتحدّثت الآيات المكّية عن خلق الله للطرقات لجميع الكائنات الحية، وتيسيره لها الطّرق الملائمة لعيشها.
- وتحدّثت الآيات المكّية عن المسافر المنقطع في سفره وكيفية الإحسان إليه وإعطائه حقه.
- وبيّنت سبيل الشيطان الفاسد المفسد للأخلاق، وحذّرت منه أشدّ الحذر، وأنَّ المتَّبع لسبيل الشيطان يناله الخزي في الدّنيا و الآخرة.
- وأرشدت إلى السّبيل الوسط وهو سبيل الله، ودعت إليه ووعدت من يتّبعه بدخول الجنّة ونيله رضوان الله.
- كما بيّنت الآيات المكّية سبيل الرّسول ﷺ والأنبياء من قبله عليهم السلام، ودعت إلى اتّباعه وحثت عليه.

- وتحدّثت عن سبيل الكافرين وعن جزائهم في جهنم وهم يحشرون على وجوههم وبئس المصير.
- وتحدّثت عن سبيل التائبين والراجعين إلى الله، وحثّت عليه.
- وبيّنت جزاء متّبع سبل الشيطان والكافرين المتخذين مع الله آلهة أخرى، وكيف أنهم سيحشرون مع الآلهة التّي يعبدون من دون الله، فلا تنفعهم يوم القيامة.
- وحذّرت الآيات من اتّباع سبل الكافرين الذّين يعتقدون أنهم يتبعون سبيل الرّشاد، ثم بيّنت سبيل الرّشاد الحقّيقي الواجب على المسلمين اتّباعه.
- ودعت الآيات إلى القتال في سبيل الله اجمالًا لا تفصيلًا.

من خلال النظر في موضوعات الآيات المكّية يلاحظ أنها تتناسب مع طور الدّعوة الإسلامية في المرحلة المكّية، فأغلب الآيات تحدّثت عن الدّعوة إلى سبيل الله وعن الأمور العقدية مثل التوكل على الله، وبيان سبيل الله وهو السّبيل المستقيم الواجب اتّباعه، وبيّنت سبيل المجرمين والضالين، وجاءت الآيات تدعو إلى الله وتبين العقائد الفاسدة وترشد إلى العقيدة الصّحيحة وهي عقيدة التوحيد، وذلك كله يتناسب مع المرحلة المكّية التّي كان المسلمون فيها ضعفاء ولا مكان يلجؤون إليه.

موضوعات الآيات المدنية:

- تحدّثت الآيات المدنية عن السّبيل المستقيم وبيّنت أنّه هو السّبيل الصّحيح، وبيّنت أن من يتبدل الكفر بالإيمان فقد حاد عن الصواب وعن السّبيل المستقيم.
- ودعت الآيات المدنية إلى الجهاد والقتال في سبيل الله، وبيّنت أن الشهداء ليسوا أمواتًا وأنهم أحياء عند ربّهم يرزقون.
- وتحدّثت عن المسافر المنقطع في سفره وسمّته ابن السّبيل، وأرشدت إلى إعطائه حقه وأوضحت أنّه من البر الإحسان إليه.
- ودعت إلى الإنفاق في سبيل الله وأوضحت أن عدم الإنفاق في سبيله يعدُّ من ظلم الإنسان لنفسه وتدخله جهنم.
- وتحدّثت عن الصّدّ عن سبيل الله، وبيّنت أن الذّين يصدون عن سبيل الله هم الكافرون الذّين لا يراعون حدود الله، ولا يرقبون في مؤمن إلًا ولا ذمة.

- وتحدّثت عن المؤمنين الذّين لا يستطيعون الجهاد في سبيل الله لشدة فقرهم ووصفتهم بأنهم هم الذّين أحصروا في سبيل الله.
- ودعت الآيات إلى التحدّث عن سبيل الله وتوضيحه للناس لكي يتبعوه ويؤمنوا به.
- وبيّنت الآيات جزاء الذّين أوذوا في سبيل الله وأنهم سوف يكفِّر الله عنهم سيئاتهم ويدخلهم جناته.
- وبيّنت الآيات دعوة الكافرين للمسلمين بالابتعاد عن سبيل الله واتّباع سبلهم الفاسدة، وبيّنت أنهم لن ينفعوا المؤمنين يوم القيامة إن اتبعوا سبيلهم.
- وحثت الآيات إلى الابتعاد عن الظلم بكل صوره، وبيّنت جزاء الظالمين.
- وأوضحت الآيات سبيل المضلين عن سبيل الله وحذرت من اتّباعه.
- وفرّقت الآيات بين الذّين يقاتلون في سبيل الله والذين يقاتلون في سبيل الطّاغوت، وأوضحت جزاء متبع كل سبيل منهم.
- وتحدّثت الآيات عن المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وبيّنت جزاءهم وأنهم فائزون بأعظم درجة عند الله.
- وبيّنت الآيات كيفية الدّعوة إلى سبيل الله وأن الله هو الذي يهدي إلى سبيله المستقيم.
- وتحدّثت الآيات عن سبيل الله الذي هو سبيل السّلام من كل شر ومن كل ضير.

من خلال النظر إلى موضوعات الآيات المدنية يلاحظ أنها تتناسب مع طور الدّعوة الإسلامية في المرحلة المدنية، فجاءت الآيات تتحدّث عن الجهاد في سبيل الله والإنفاق في سبيل الله، وعن الإحصار والإيذاء في سبيل الله، وتحدّثت عن سبيل الله المستقيم الواجب اتّباعه، وغيرها من الموضوعات السابقة، وهذا كله يتناسب مع هذه المرحلة، حيث انتقل من المرحلة المكّية وهو الحديث عن العقائد واقرار عقيدة التوحيد إلى المرحلة المدنية حيث أصبح للمسلمين دولة وكيانٌ يلجأ إليه المسلمون ويتوحدون فيه، وأصبح واجبًا على المسلمين أن ينشروا هذه الدّعوة في البلاد الأخرى، ويكون ذلك بالجهاد في سبيل الله عزَّ وجل، وأكدت على الأخلاق الواجب على المسلم اتّباعها وهي الانفاق في سبيل الله والعبادات كالصلاة والزكاة والحج وغيرها.

الفصل الأوّل

أنواع السّبيل في السياق القرآني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: السّبل المحمودة.

المبحث الثّاني: السّبل المذمومة.

المبحث الثّالث: سبل لا توصف بمدح أو ذم.

المبحث الأوّل: السّبل المحمودة

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأوّل: سبيل الله.

المطلب الثّاني: سبيل الرّسول -ﷺ- والرسل من قبله عليهم السّلام.

المطلب الثّالث: سبيل السّلام.

المطلب الرّابع: السّبيل المستقيم.

المطلب الخامس: سبيل المتوكلين على الله.

المطلب السّادس: سبيل المنيبين إلى الله.

المطلب السّابع: سبيل المؤمنين.

المطلب الثّامن: سبيل الرّشد والرشاد.

المطلب التّاسع: السّبيل المقيم.

المبحث الأوّل: السّبل المحمودة

تتعدّد السّبل المحمودة الواجب اتّباعها في السّياق القرآني لتشمل سبيل الله، وسبيل الرّسول – ﷺ– والرّسل من قبله عليهم السّلام، وسبيل السّلام، والسّبيل المستقيم، وسبيل المتوكّلين على الله، والمنيبين إليه، والمؤمنين، وسبيل الرّشد والرّشاد، والسّبيل المقيم، والتي ستتناولها الباحثة بالتّفصيل خلال المطالب الآتية:

المطلب الأوّل :سبيل الله ﷻ.

إن سبيل الله سبحانه وتعالى هو السّبيل المستقيم الواجب على المسلمين الالتزام به والتمسك به والابتعاد عن كل السّبل الأخرى التّي تفرّق بين المسلمين وتفكك عضدهم فينالوا الخزي في الدّنيا قبل الآخرة وقد أكد الله على سبيله في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (الأنعام:153).

في هذه الآية الكريمة أشار –ﷻ– إلى الصّراط المستقيم الواجب اتّباعه، وبهذا عطف على ما ذكر في السورة كلها، فإنها بأسرها جاءت في إثبات التّوحيد والنبوة وبيان الشريعة[1].

ويأمر الله المؤمنين في هذه الآية بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنّه إنّما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله، فعليهم الالتزام بالإسلام عقائدًا وعبادات وأحكامًا وأخلاقًا وآدابًا، كما تضمنت هذه الآية النهي عن اتّباع غيره من سائر الملل والنحل المعبر عنها بالسّبل، وما دام الأمر بالتزام الإسلام يتضمن النهي عن ترك الإسلام فقد تضمنت الآية تحريمًا ألا وهو ترك الإسلام واتّباع غيره، هذا ما حرم الله تعالى على عباده لا ما حرم المشركون بأهوائهم وتزيين شركائهم، فعند التزام المسلمين الإسلام وترك ما عداه يجعلهم يلتزمون بما وصاهم الله به، وكذلك فيه اتّقاء غضب الرب وعذابه [2].

(1)انظر : "الجامع لأحكام القرآن"–للقرطبي:(7/ 137)، "أنوار التنزيل وأسرار التاويل"–للبيضاوي (189/2)
(2)انظر:"أيسر التفاسير" – للجزائري (142/2)

وقد بين رسولنا الكريم ﷺ سبيل الله الواجب اتّباعه من سبل الشيطان المتعددة الواجب على كل مسلم أن يحذر من الوقوع في شراكه، عن أبي وائل عن عبد الله قال: خط لنا رسول الله –ﷺ– يومًا خطًا فقال: "**هذا سبيل الله**"، ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطًا فقال: "**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها**" ثم تلا الآية: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(الأنعام153) [1].

إنّه سبيل واحد يؤدي إلى الله، فحينما يفرد الناس الله ﷻ بالربوبية، ويدينوا له وحده بالعبودية ويعلموا أنّ الحاكمية لله وحده و يدينوا لهذه الحاكمية في حياتهم الواقعية، يكونون قد اتبعوا سبيل الله وفازوا بالنجاة.[2]

وقد أوصى الله سبحانه وتعالى في نهاية الآية بالتقوى لأنها هي مناط الاعتقاد والعمل، والتقوى هي التّي تفيء بالقلوب إلى سبيل الله.

ويعدُّ سبيل الله ﷻ من السّبل الواجب على كل إنسان اتّباعه، وقد وضع الله سبحانه وتعالى للدّعاة والنبيﷺ من قبلهم أسس الدّعوة إلى سبيل الله حيث يقول:﴿ **ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ (النحل:125).

ففي هذه الآية الكريمة يرسي القرآن الكريم أسس وقواعد الدّعوة إلى سبيل الله ومبادئها ويعين وسائلها وطرائقها ويرسم المنهج للرسول الكريم –ﷺ– وللدعاة من بعده بدينه القويم، فلننظر في دستور الدّعوة الذي شرعه الله في هذا القرآن.

ففي هذه الآيات يأمر الله رسوله محمدًا–ﷺ–أن يدعو الخلق إلى الله بما أنزله عليه من الكتاب والسنة وبما فيهما من زواجر ووقائع لتذكير الناس بها ليحذروا بأس الله تعالى والتي جعلها الله

(1)مسند أحمد (حديث رقم :4142_4437) صحّحه الألباني.

(2)انظر:"في ظلال القرآن "– لسيد قطب (3/ 1234)

حجّة عليهم في كتابه وذكّرهم بها في تنزيله، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطّف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يعظ المسلمون إلى يوم القيامة[1].

والله –ﷻ– هو أعلم بمن حاد عن سبيله وقصد سبيل الضّالين والمضّلين، وهو أعلم بمن كان منهم سالكًا صد السّبيل ومحجة الحقّ، وهو مجازٍ إياهم جزاءهم عند ورودهم عليه[2].

وقد ذكر فخر الدّين الرازي هذه الآية فقال:"واعلم أنّه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطّرق الثلاثة وهي الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطرق الأحسن، وقد ذكر الله تعالى هذا الجدل في آية أخرى فقال : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت:46)، ولما ذكر الله تعالى هذه الطّرق الثلاثة وعطف بعضها على بعض، وجب أن تكون طرقًا متغايرة متباينة"[3].

وقد ذكر الجزائري بعض الهدايات التّي تستنبط من الآية وهي :

1–" وجوب الدّعوة إلى سبيل الله تعالى أي إلى دين الإسلام وهو واجب كفائى، إذا قامت به جماعة أجزأ ذلك عنهم.

2– بيان أسلوب الدّعوة إلى سبيل الله وهو أن يكون بالكتاب والسنة وأن يكون خاليًا من العنف والغلظة والشّدّة، وأن تكون المجادلة بالتي هي أحسن من غيرها.

3–معيّة الله تعالى ثابتة لأهل التقوى والإحسان الداعين إلى سبيله، وهي معيّة نصرٍ وتأييد وتسديد."[4]

فمن خلال ما سبق يتضح لنا سبيل الله –ﷻ–، وهو سبيل واحد غير متعدّد ولا متفرّع، وهذا السّبيل هو السّبيل المؤدّي إلى الجنّة والواقي من غضب الله ومن عذابه، فعلى كل مسلم يؤمن بالله

---

(1)انظر :"جامع البيان"–للطبري (321/17)، "الجامع لأحكام القرآن"–للقرطبي(200/10)، "تفسيرالقرآن العظيم"–لابن كثير (613/4).

(2)انظر:"جامع البيان"– للطبري (322/17).

(3)"التفسير الكبير"– (286/20).

(4)"أيسر التفاسير"– (171/3).

عزَّ وجلَّ ربًا و بالرسول –ﷺ– نبيًا أن يتبع هذا السّبيل ولا يحيد عنه أبدًا مهما كانت الظروف والأحوال ومهما اشتدت الأزمات والصعاب.

المطلب الثّاني :سبيل الرّسول–ﷺ– والرسل من قبله عليهم السّلام.

يعدُّ سبيل الرّسول محمد –ﷺ–والرسل من قبله عليهم السلام من السّبل االمحمودة لأنها قامت من أجل هدف واحد وهو الدّعوة إلى عبادة الله وحده وتنزيهه سبحانه عن كل مالا يليق به ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف:108).

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد –ﷺ– : قل يا محمد يا أعلى الخلق وأصفاهم وأعظمهم نصحًا وأخلاقًا أن هذه الدّعوة التّي أدعو إليها وهي شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له والطريقة التّي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته هي سبيلي وطريقتي ودعوتي التّي أدعو بها إلى الله وحده لا شريك له وهذه هي سنتي ومنهاجي التّي تؤدي إلى الجنّة وهي القريبة المأخذ، الجلية الأمر الجليلة الشأن الواسطة الواضحة جدًا، وأنا على يقين وحق بمن أدعو إليه وبما أدعو إليه وبالنتائج المترتبة على هذه الدّعوة وكذلك المؤمنين الداعين إلى الله، ويدعون إلى الله على بصيرة كما دعا الرّسول ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي و أدلة ناصعة وبراهين ساطعة وترك التقليد الدال على الجمود، لأن البصيرة هي المعرفة التّي يتميز بها الحقّ من الباطل دينًا ودنيا بحيث يكون كأنه يبصر المعنى بالعين[1].

وكذلك ينزه الرّسول ﷺ في دعوته الله سبحانه ويجله ويعظمه ويقدسه عن أن يكون له شريك أو نظير أو عديل أو نديد أو ولد أو والد أو صاحبة، أو وزير أو مشير، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه عن ذلك كله علوًا كبيرًا، قال تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّه كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء:44) [2].

---

(1)انظر: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"–للبقاعي(242/10).

(2)انظر: "جامع البيان"–للطبري(291/16)،"الجامع لأحكام القرآن"–للقرطبي (274/9)، "تفسيرالقرآن العظيم"–لابن كثير (422/4) .

ومن الآيات التّي توضح مسار سبل الأنبياء السابقين وصبرهم على إيذاء أقوامهم وحسن توكلهم على الله قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم:12).

في هذه الآية يبين الله عزَّوجلَّ ما قاله الأنبياء السابقون لأممهم الذّين بعثوا اليهم وهو قولهم ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ﴾ أي وما يمنعنا من أن نتوكل على الله سبحانه وقد هدانا إلى أقوم السّبل والطرق وأوضحها وأبينها لطريق الحقّ[1]، ويتبين لنا من خلال هذا الطّريق طريق النجاة من عذابه والطريق الواجب علينا سلوكه في الدّين حتّى ننال رضا الله -ﷻ- ونبتعد عن سخطه ونقمه، ولنصبرن على تكذيبكم لنا وقتلكم لنا وللمؤمنين وعلى إهانتكم وضربكم لنا بسبب دعائنا لكم إلى ما ندعوكم إليه من البراءة من الأوثان والأصنام وإخلاص العبادة له فإن "الحقّ لابد أن يكون غالبًا قاهرًا، والباطل لابد أن يصير مغلوبًا مقهورًا"[2].

وإن المؤمن الحقّ والصادق في إيمانه لا يتوكل إلا على الله -ﷻ- فالمؤمن يتوكل على خالقه وهو واثق به فأما من كان كافرًا به فإن وليه الشيطان، وهذا هو طريق السّلام وسبيل الخيرالواجب اتّباعه.

وقد ذكر الجزائري بعض الهدايات التّي تستنبط من الآية يحسن ذكرها في هذا المقام وهي:

1-" بطلان الشكّ في وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته ووجوب عبادته وحده وذلك لكثرة الأدلة وقوة الحجج، وسطوع البراهين.

2- بيان ما كان أهل الكفر يقابلون به رسل الله والدعاة إليه سبحانه وتعالى وما كانت الرّسل ترد به عليهم.

3- وجوب التوكل على الله تعالى، وعدم صحة التوكل على غيره إذ لا كافي إلا الله" [3].

---

(1)انظر:"الكشاف"للزمخشري(544/20)،"التفسيرالكبير"-للرازي(75/19)،أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل البيضاوي(195/3).
(2)"التفسير الكبير": للرازي(75/19)
(3)"أيسر التفاسير" : (3/ 48-47)

ومن الآيات التّي توضح ندم الطغاة الذّين فارقوا سبيل الرّسول ﷺ وما جاء به من عند الله من الحقّ المبين الذي لا مرية فيه وسلك طرقًا أخرى غير سبيل الرّسول ﷺ قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾(الفرقان:27).

وقد قيل في سبب نزولها أنّها نزلت في عقبة بن أبي معيط حيث كان خليلًا لأبي بن خلف، فأسلم عقبة، فقال أميّة: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدًا، فكفر وارتدّ لرضى أميّة فأنزل الله فيهما هذه الآية، فقتل عقبة يوم بدر، وأما أبيّ بن خلف فقتله النبي ﷺ بيده يوم أحد في القتال[1].

وفي هذه الآية الكريمة يوضح تعالى حال المشرك الكافر يوم القيامة، وهو يوم عسير شديد، وهو يعض على يديه ندمًا وأسفًا على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربّه وسبيل رسوله، ويقول يا ليتني اتخذت في الدّنيا مع الرّسول سبيلًا يعني طريقًا إلى النجاة من هول هذا اليوم من عذاب الله، وذلك بالإيمان والتقوى ولكن لا ينفع الندم[2].

وهكذا يندم أهل الباطل على باطلهم ندمًا يعضون معه أياديهم أنهم سلكوا سبيل الشيطان وتركوا سبيل الرّسل التّي خطَّها لهم وارتضاها الرّحمن، فأنَّى لهم النجاة بعد فوات الأوان وأنَّى لهم التوبة بعد أن نشرت الصحف ووضع الميزان.

المطلب الثّالث: سبيل السّلام.

سبيل السّلام هو سبيل الهداية، وأهل التقوى الذّين هداهم الله إلى صراطه المستقيم بعد أن أخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه حيث يؤكد الله –ﷻ– على هذا السّبيل بقوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة:16).

(1)انظر: "أسباب النزول" – للواحدي (344/1).

(2)انظر:"جامع البيان"– للطبري(262/19)، "الجامع لأحكام القرآن الكريم"–للقرطبي(26/13)، "تفسير القرآن العظيم"– لابن كثير(108/6)، "أيسر التفاسير"–للجزائري(611/3).

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن الطّريق التّي ارتضاها لعباده هي طريق السلامة الموصلة إلى دار السّلام وهي الجنّة وما فيها من نعيم وخيرات المنزهة عن كل آفة، والمؤمنة من كل مخافة[1].

يقول الإمام الطبري في هذا الموضع: "تحبيبه إياه الإيمان برفع طابع الكفر عن قلبه وخاتم الشرك عنه، وتوفيقه لإبصار سبل السّلام"[2].

وهذه الطّريق التّي اختارها الله لعباده المؤمنين هي طريق الإسلام الذي يخرج الناس من الظلمات الكفرية إلى النور الإسلامي ويهديهم إلى صراط مستقيم وإلى طريق يتوصلون بها إلى الحقّ وهو دين الله القويم الذي لا عوج فيه ولا مخافة، ويكون ذلك بإذن من الله عزَّ وجل [3].

فهذه هي الثّمرات التّي ترجى من الرسالة الإلهية إلى أهل الأرض وكونها نورًا يهتدي به السائر وفيه شريعة قائمة في كتاب محفوظ إلى يوم القيامة، وهذه الثمرات ثلاث أوّلها هداية إلى الحقّ وثانيها إخراج من الظلمات إلى النور وثالثها هداية إلى صراط مستقيم.

فالهداية إلى الحقّ وإلى سبيل السّلام تكون بالقرآن الكريم الذي هو وعاء الشريعة وحجة النبي ﷺ القائمة إلى يوم القيامة، وقد ذكر سبحانه أن من يهتدي به لا بدّ أن يكون فيه عقل يدرك لم تظله غشاوة رانت عليه، وبصيرة نافذة وقلب قد استقام لطلب الحكمة، فهذا هو الذي اتَّبع رضوان الله واتَّبع سبيل السّلام، وهو الذي اتجه اتجاهًا مستقيمًا إلى الحقّ لا يبغي سواه، ولا يطلب إلا رضوان الله تبارك وتعالى، فإن الإخلاص يجعل العقل يشرق والقلب يمتليء بالحكمة، ولا بدّ أن يكون الذي يهتدي به هو هذا السّبيل لاغيره، فسبيل السّلام هو سبيل الصفاء وعدم وجود البغضاء، فالسلام هو السلامة من كل أضرار الحقّد والحسد والسلامة من كل ما يؤدي إلى البغضاء والعداوة، والسّبل الموصلة إلى سبيل السّلام هي الأعمال الصالحة، فيعمل في الدّنيا بأخلاق مستقيمة ونفس لا يخالطها فساد ولا تستولي عليه الشهوات، فيكون مع الناس في أمن وسلام، وفي الآخرة يكون في دار السّلام كما قال تعالى:

---

(1)انظر: "جامع البيان"- للطبري (145/10)،"الجامع لأحكام القرآن"- للقرطبي (118/6)، "تفسيرالقرآن العظيم"- لابن كثير (68/3)، "فتح القدير"-للشوكاني (28/2)، "التحرير والتنوير"- لابن عاشور (151/6)

(2)"جامع البيان" - (154/10)

(3)انظر : "فتح القدير"-للشوكاني (28/2)

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلام عِندَ رَبِّهم وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(الأنعام:127) فمن فعل ذلك فقد اهتدى إلى طريق مستقيم لا التواء فيه، والهداية في الحقّيقة من الله تعالى فهو الذي يهدي ويرشد، والمهتدي هو من يطلب الحقّ ارضاءً لله تعالى، فالمتبع لهذا الدّين القيم دين التوحيد دين الإسلام والتسليم والتفويض لله تعالى بعد القيام بالعمل، وهو دين الخير في الدّنيا والآخرة، فمن اتَّبعه فقد رشد ومن تركه فقد ضل[1].

"وما أدقّ هذا التعبير وأصدقه أنّه «السّلام» هو ما يسكبه هذا الدّين في الحياة كلها، سلام الفرد، وسلام الجماعة، وسلام العالم، سلام الضمير، وسلام العقل، وسلام الجوارح، سلام البيت والأسرة، وسلام المجتمع والأمة، وسلام البشر والإنسانية، السّلام مع الحياة، والسلام مع الكون، والسلام مع الله ربّ الكون والحياة، السّلام الذي لا تجده البشرية- ولم تجده يومًا- إلا في هذا الدّين وإلا في منهجه ونظامه وشريعته، ومجتمعه الذي يقوم على عقيدته وشريعته.

حقًا إن الله يهدي بهذا الدّين الذي رضيه، من يتّبع رضوان الله، سبل السّلام كلها في هذه الجوانب جميعها، ولا يدرك عمق هذه الحقّيقة كما يدركها من ذاق سبل الحرب في الجاهليات القديمة أو الحديثة، ولا يدرك عمق هذه الحقّيقة كما يدركها من ذاق حرب القلق الناشئ من عقائد الجاهلية في أعماق الضمير، وحرب القلق الناشئ من شرائع الجاهلية وأنظمتها وتخبطها في أوضاع الحياة" [2].

فهذا هو سبيل الله سبيل السّلام سبيل الحقّ والخير، فعلى كل عاقل أن يتَّبع هذا السّبيل وألَّا يحيد عنه، فهو سبيل السعادة في الدّنيا، وهو الطّريق الموصل إلى مرضاة الله ليحقق العبد من خلاله الفوز والنَّجاة في الآخرة وليرتقيَ إلى مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ أعَّده الله لعباده الصّالحين.

المطلب الرّابع : السّبيل المستقيم.

يعدُّ سبيل الله المستقيم من السّبل الهامة الدالة على الله- ﷻ- وعلى دينه وشرعه ومنهاجه والدالة على طريقه المستقيم طريق الجنّة وطريق الأمان والسعادة الابدّية ومن الآيات التّي تبيّن هذا السّبيل وتدعو له قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام:153).

(1)انظر: " الكشف والبيان عن تفسير القرآن" – للثّعلبي (39/4)،"زهرة التفاسير"- لأبي زهرة (4/ 2091).
(2)"في ظلال القرآن"- لسيد قطب (2/ 862)

يبين سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة السّبيل المستقيم الذي لا عوج فيه، فطريق الله تعالى وسبيله مستقيم والمستقيم دائمًا أقرب طريق إلى الحقّ، والسّبيل المستقيم الذي هو صراط الله والذي هو الخط الذي بينه سبحانه وتعالى لعباده يجيء بجواره سبل مختلفة هي مثارات الشيطان ليضل بها عباد الله تعالى عن الطريقة المثلى والمنهاج السوي الهادي[1].

"فعن ابن مسعود –ﷺ– قال: خطّ رسول الله –ﷺ– خطًا بيده ثم قال –ﷺ– : (هذا سبيل مستقيم) وخط عن يمينه خطوطًا وعن شماله خطوطًا ثم قال :(هذه السّبل ليس فيها سبيل إلا على رأسه شيطان يدعو إليه) ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السّبل فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ. . . .الآية﴾ "[2].

فقد أمر الله –ﷻ– باتّباع ما ذكر من الصّراط المستقيم ونهى عن اتّباع السّبل الأخرى ؛ لأن غيره من الأديان المختلفة والأهواء المتشتتة لا حجّة لها ولا برهان، وما ذكر من الصّراط المستقيم هو حجّة وبرهان.

والإشارة (بهذا) هي إلى الشرعِ الذي جَاءَ به نبيّنا محمّد –ﷺ –، حيث يقول ابن عطية: "الإشارة هي إلى هذه الوصايا التّي تقدَّمت مِنْ قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحق ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام:151)، وقال ابن مسعود –ﷺ–: إنَ اللَّه سبحانه جَعَلَ طريقه صراطًا مستقيمًا طَرَفُه محمّد –ﷺ– وشرعه، ونهايتُه الجنّة، وتتشعَّب منه طُرُقٌ، فمن سَلَك الجادَّة نجا، ومن خَرَج إلى تلْكَ الطّرق أفْضَتْ به إلى النَّار "[3].

ويبين سبحانه وتعالى كذلك أن على كل مسلم أن يتذكر ويتعظ ويحذر من بطش الله، فصراط الله موصل إلى توحيده، وصراطه مستقيمٌ سويٌ بلا ميلٍ ولا اعوجاجٍ فمن اتّبعه فقد فاز ونجا ومن حاد عنه واتبع السّبل المتفرقة والطرق المختلفة المنحرفة المعوجة فإنها سوف تفرقكم وتضلكم عن سبيل الله

---

(1)انظر : "جامع البيان" – للطبري (396/5) ، "زهرة التفاسير" –لأبي زهرة (2714/5) .

(2)سبق تخريجه ص29.

(3)"المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" (2/:263 ،264).

وعن سبيل توحيده فلا تتبعوا كل ما يوصلكم لهذه السّبل الفاسدة من آراء باطلة وأهواء فاسدة والتي تضلكم عن سبيل الحقّ والتوحيد. [1]

ويتحدّث الألوسي عن السّبيل المستقيم فيقول:

"سبيل الله تعالى الذي لا اعوجاج فيه ولا حرج هو دين الإسلام، وقيل: هو اتّباع الوحي واقتفاء البرهان، وفيه تنبيه على أن صراطه –عليه السلام– عين سبيل الله تعالى " [2]

ويذكر أيضًا: "ولما كان الصّراط المستقيم هو الجامع للتكاليف وأمر سبحانه باتّباعه ونهى عن اتّباع غيره من الطّرق ختم ذلك بالتقوى التّي هي اتّقاء النار إذ من اتبع صراطه نجا النجاة الأبدّية وحصل على السعادة السرمدية، وكرر سبحانه الوصية لمزيد التأكيد ويا لها من وصية ما أعظم شأنها، وأوضح برهانها." [3]

حقًا إنّه سبيل مستقيم فيه هدى للناس ونور يوصلهم إلى الجنان ويبعدهم عن النيران فإن استقام الإنسان واتبع السّبيل المستقيم فقد فاز في الدارين وإن حاد عن السّبيل المستقيم إلى سبيل الشيطان فقد خاب وخسر في الدّنيا والآخرة.

المطلب الخامس : سبيل المتوكلين على الله.

يعدُّ سبيل المتوكلين على الله من السّبل الواضحة المبينة والمميزة للإنسان المؤمن عن غيره، وخصوصًا في وقت الشدائد والمصاعب، ففي هذه الأوقات يظهر الإيمان الكامن في القلب ويخرج، ويثبّت الله سبحانه وتعالى المتوكّلين عليه وينصرهم على أعدائه لأن من عرف الله في الرّخاء عرفه الله في الشّدّة، ومن الآيات التّي تؤكّد على هذا السّبيل قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(إبراهيم:12).

يبيّن سبحانه وتعالى في هذه الآية ما حصل مع الأنبياء السابقين وأممهم الذّين بعثوا لهم، وما كان ردهم عليهم إلا أن قالوا في أي شيء نترك التّوكّل على الله وقد بصرنا طريق النجاة من عذابه

(1)انظر: "معاني القرآن"– للفراء (366/1) ,

(2)"روح المعاني" – (300/4) .

(3) المرجع السّابق.

وطريق الفوز بجنّته، وبصرنا طريق الحقّ وهو الإسلام وقد أفاض علينا من جميل الإحسان، وأي شيء لنا في ألا نتوكّل عليه وقد عرفنا أنّه لا ينال شيء بجهد إلا بعد أن يقضيه الله تعالى ويقدّره [1].

وقد هدانا –ﷻ– سبيل الحياة الصالحة التّي جعلتنا نؤمن بأن الحياة الدّنيا طريق الآخرة، وأن الحياة الآخرة هي الحياة الحقّيقية الباقية، أما الحياة الدّنيا فهي فانية زائلة، ومن خلال هذا السّبيل آمنا بالله وعرفنا طريق الحقّ وطريق الباطل، ومن خلاله عرفنا بطلان عبادة الأوثان، وأنه لا قوة في الوجود إلا قوته –ﷻ–، ويجب أن يكون هذا السّبيل هو المطلب والغاية التّي نبتغيها، فإذا ما اعتمد هؤلاء المؤمنون هذا السّبيل واتخذوه سبيلًا لهم فإنهم يكونون معتمدين على الله، وهم الصّابرون على كل ما يقدمه هؤلاء الكفار من إيذاء متوال مستمر، فإن على أهل الحقّ أن يصبروا على أذى هؤلاء المبطلين.

وقد أكد الرّسل والمؤمنون اعتزامهم الصبر حتّى يبلغوا رسالات ربّهم وأنهم أمام هؤلاء المتعنّتين لابدّ لهم من اعتماد على القوي القادر القهّار، فيتوكلوا عليه مع اتخاذ الأسباب وعدم تركها[2].

"وعندما يحسّ القلب أن يد الله سبحانه وتعالى تقود خطاه وتهديه السّبيل وأنه موصول به، لا يخطيء الشعور بوجوده سبحانه وألوهيته القاهرة المسيطرة، وهو شعور لا مجال معه للتردد في المضي في الطّريق أيًّا كانت العقبات في هذا الطّريق، وأيًّا كانت قوى الطّاغوت التّي تتربّص فيه.

وهذه الحقّيقة لا تستشعرها إلا القلوب التّي تزاول الحركة فعلًا في مواجهة طاغوت الجاهلية، والتي تستشعر في أعماقها يد الله –ﷻ– وهي تفتح لها كوى النّور[3] فتبصر الآفاق المشرقة، وتستروح أنسام الإيمان والمعرفة، وتحس الألفة والقربة، وحينئذ لا تهتم بما يتوعدها به طواغيت الأرض ولا تملك أن تستجيب للإغراء ولا للتهديد، وهي تحتقر طواغيت الأرض وما في أيديهم من وسائل البطش والتنكيل"[4].

---

(1)انظر : "الهداية إلى بلوغ النهاية" – لمكي بن أبي طالب (3786/5) .

(2)انظر : "تفسير القرآن" – للسمعاني (1180/3) .

(3)الكوى جمع كُوَّةُ:ومعناها الثقب والفتحة (وكوى النّور :ثقب النّور)("منجد الطّلاب" – لفؤاد البستاني (662)).

(4)"في ظلال القرآن" – لسيد قطب (2092/4).

ومن خلال هذه الآية يتبيّن لنا أن الرّسل عليهم السّلام كانوا يربطون بين شعورهم بهداية الله لهم وتوكلهم على الله في مواجهة التهديد السافر من الطّواغيث، ومن ثمّ إصرارهم على المضي في طريقهم رغم كل التهديدات الموجهة لهم، حيث صبروا ولم يضعفوا أو يتراجعوا أو يشكّوا في نصر الله لهم.

فهم على يقين بما يدعون إليه، وعلى يقين بأن الباطل لابدّ وأن يصير مغلوبًا مقهورًا، وأن الحقّ لابدّ وأن يصير غالبًا قاهرًا. [1]

ويذكر المراغي: "أن على كل مؤمن متوكل على الله أن يثبت ذلك ويتحمل كل أذى في سبيله، ولا يبالي بما يصيبه من أذى، ولا بما يلاقي من ساعات وعقبات وليصبر على أذى الناس كما صبر الأنبياء وأوذوا، فالهداة ما خلقوا إلا ليعملوا فهم هداة بطباعهم ولذاتهم في قلوبهم، ومنهم تنتقل إلى الناس"[2].

هذا هو سبيل المتوكلين على الله، سبيل يفرق بين الحقّ والباطل والصّحيح والسقيم، فيجب على كل إنسان مؤمن بالله ألا يتوكل إلا عليه سبحانه ولا يلجأ إلا إليه، فهو المعين والناصر، ولا مثيل له، وصدق الله حيث قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾(الشورى:11)، فهو -ﷻ- كافينا وناصرنا وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المطلب السّادس : سبيل المنيبين إلى الله.

إنَّ سبيل الراجعين إلى الله عزَّ وجلَّ والمنيبين إليه هو سبيل الخير والصَّلاح وهو سبيل المؤمنين الموحدين والمخلصين له، وقد حثّ الإسلام الإنسان المؤمن على التزام طاعة الله -ﷻ- وعدم البعد عن تعاليم دينه، كما حثّ على الاقتداء بالرسول -ﷺ- وبصحبه الكرام، وعدم الانقياد للأهواء والشهوات مهما كانت المغريات، فمن سار على هذا الطّريق فقد التزم سبيل الله المحمود الواضح الموافق للفطرة السليمة ومن الآيات التّي تحث على اتّباع هذا السّبيل والتمسك به قوله تعالى:

(1)انظر: "جامع البيان" – للطبري (539/16).

(2)"تفسير المراغي" – (126/13) .

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدّنيا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان: 15).

سبب نزول الآية:

ذكر الواحدي في كتابه سبب نزول هذه الآية حيث قال:

" نَزَلَتْ فِي سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ –ﷺ–، وَذَلِكَ أنّه لَمَّا أَسْلَمَ قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: يَا سَعْدُ، بَلَغَنِي أنك صبوت، فو اللَّه لَا يُظِلُّنِي سَقْفُ بَيْتٍ، وَلَا آكُلُ وَلَا أَشْرَبُ حتّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَرْجِعَ إلى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ وَلَدِهَا إِلَيْهَا، فأبى سعد، وصبرت هِيَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ وَلَمْ تَسْتَظِلَّ بظل حتّى خُشي عَلَيْهَا، فَأَتَى سعد النبيَّ –ﷺ–، وَشَكَا ذَلِكَ إليه. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ"[1].

في هذه الآية الكريمة يخاطب الله المؤمنين بقوله وإنْ جاهداك أيّها الإنسان المؤمن والداك وبذلا جهدهما في حملك على أن تشرك بي وحرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما وتشرك بالله فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي، فطاعة الوالدين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا في ترك فريضة على الأعيان، وتلزم طاعتهما في المباحات ولكنه لا يسقط حق الوالدين في المعاملة الطيبة والصحبة الكريمة ويوجهه إلى أن يبقى محسنًا لهما وبارًا بهما ويكون ذلك بالصلة والعشرة الجميلة ولكن في غير معصية الله تعالى ورسوله –ﷺ–، ومن صور الإحسان إليهما أن تعودهما إذا مرضا وتواسيهما إذا افتقرا وتشيعهما إذا ماتا. [2]

وقد أكد الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة على صحبتهما في الدّنيا وإن كانا مشركين، للإشارة إلى الرفق بهما في الأمور الدنيوية دون الدينية.[3]

([1]) "أسباب النزول" – (351/1)

([2]) انظر: "معالم التنزيل في تفسير القرآن"– للبغوي (588/3) ، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" – لابن عطية (349/4)، "تفسير القرآن" – للعز بن عبد السّلام (539/2)، "تفسير القرآن العظيم" –لابن كثير (337/6) .

(3)انظر: "روح المعاني" – للألوسي (86/11)

وعلى المؤمن اتّباع طريق المؤمنين الموحدين بالله والعابدين له والداعين إليه ولرسوله – ﷺ–، فمرجع جميع الخلق إلى الله يوم القيامة وهو يجزيهم بعملهم الخير بالخير والشر بالشر فاتقوا الله بطاعته وتوحيده والإنابة إليه في كل الأمور[1].

ويذكر سيد قطب ما تدل عليه هذه الآية ويقول : "أما مدلولها فهو عام في كل حال مماثلة، وهو يرتب الوشائج والروابط كما يرتب الواجبات والتكاليف، فتجيء الرابطة في الله هي الوشيجة الأولى ويجيء التكليف بحق الله هو الواجب الأوّل، والقرآن الكريم يقرر هذه القاعدة ويؤكدها في كل مناسبة وفى صور شتى لتستقر في وجدان المؤمن واضحة حاسمة لا شبهة فيها ولا غموض"[2].

ومن الأحكام المستفادة من هذه الآية :

- "وجوب طاعة الوالدين وبرهما وصلتهما.
- تقرير مبدأ أنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.
- أن طاعة الوالدين لا تكون إلا في معروف.
- وجوب اتّباع سبيل المؤمنين من أهل السنة والجماعة وحرمة اتّباع سبيل أهل البدع والضلالة".[3]

هذا هو سبيل المنيبين إلى الله الراجعين إليه، الراجين لثوابه، والطامعين في مغفرته، والراجين البعد عن غضبه وسخطه، فعلى كل مؤمن أن يتوب إلى الله ولا يتبع أصحاب الأهواء والشهوات، وألا يطيع أحدًا في معصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

المطلب السّابع : سبيل المؤمنين.

يعدُّ سبيل المؤمنين من السّبل المحمودة الواجب على كل إنسان اتّباعها باعتبارها امتدادًا لسبيل الله –ﷻ– والدعوة إليه سبحانه وحده لا شريك له وكذلك امتداد لسبيل الرّسول –ﷺ– والصحابة الكرام –رضي الله عنهم– والتابعين وأتباع التابعين من بعدهم وقد أكَّد سبحانه وتعالى على اتّباع هذا السّبيل وحذَّرَ من اتّباع غيره من السّبل الضالة المضلة وذلك في قوله تعالى :

---

(1) انظر:"أيسر التفاسير" – للجزائري (209/4)

(2) "في ظلال القرآن" – (5 /2789).

(3) "أيسر التفاسير" – للجزائري (206/4).

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسول مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء :115).

"وقد نزلت هذه الآية في الخائنين الذّين ذكرهم الله في قوله:﴿ ...وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء:105)، لما أبى التوبة من أبى منهم، وهو طعمة بن الأبيرق، ولحق بالمشركين من عبدة الأوثان بمكة مرتدًّا، مفارقًا لرسول الله –ﷺ– ودينه" [1].

ويوضح سبحانه وتعالى في سورة النساء أنَّ من يشاقق الرّسول محمدًا – ﷺ – ويباينه ويخالفه في التوحيد والإيمان ويكون معاديًا له ويفارقه على العداوة له ولأصحابه ولجميع المسلمين و يكون ذلك عن عمد ومن بعد ما وضح له الدليل وبانت له الحدود وظهر له صدق الرّسول – ﷺ – وصحة ما جاء به فكل ما جاء به من عند الله يهدي إلى الحقّ وإلى الطّريق المستقيم وتأكد من صحة الإسلام والتوحيد، فهذا الإنسان الذي ابتعد عن الطّريق الحقّ واتبع طريقًا غير طريق أهل التصديق وسلك منهاجًا غير منهاجهم فذلك هو الكفر بالله لأن الكفر بالله وبرسوله–ﷺ– واتّباع غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم فكأنه صار في شقّ والشريعة في شقّ آخر [2].

فمصير هذا الإنسان إذا سلك هذه الطّريق جازيناه على ذلك، بأن نحسنها في صدره ونزينها له –استدراجًا له – فيجعله الله واليًا لما تولى من الضلال ويدعه وما اختار في الدّنيا كما قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم: 44)، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (الصف:5)، وقوله ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(الأنعام: 110).

ونجعل النار مصيره في الآخرة، ونجعل ناصره ما استنصره وما استعان به من الأوثان والأصنام، وهي لا تغنيه ولا تدفع عنه من عذاب الله شيئًا، ولا تنفعه ، لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة ، كما قال تعالى: ﴿احشروا الذّين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون.

(1) "المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة" – للواحدي (438/1).

(2) انظر : "جامع البيان" – للطبري (204/9–205) ، "أحكام القرآن" – للجصاص (268/3) ، "بحر العلوم" – للسمرقندي (336/1) ، "التسهيل لعلوم التنزيل" – لابن جزي (209/1) .

من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ (الصافات: 22، 23). **وقال: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا﴾** (الكهف:53) [1].

وذكر الخازن وغيره حكم اتّباع سبيل المؤمنين يحسن ذكره في هذا المقام حيث قال :

"روي أن الشافعي سئل عن آية من كتاب الله تدل على أن الإجماع حجّة فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتّى استخرج هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك لأن اتّباع غير سبيل المؤمنين وهي مفارقة الجماعة حرام فوجب أن يكون اتّباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبًا وذلك لأن الله تعالى الحقّ الوعيد بمن يشاقق الرّسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا أن إجماع الأمة حجّة"[2].

وفي هذه الآية الكريمة بيان لسنة الله في عمل الإنسان، وإيضاح لما أوتيه من الإرادة والاستقلال والعمل بالاختيار، فالوجهة التّي يتولاها ويختارها لنفسه يوليه الله إياها: أي يجعله واليًا لها وسائرًا على طريقها، فلا يجد من القدرة الإلهية ما يجبره على ترك ما اختار لنفسه بحسب الاستعداد والإدراك وعمل ما يرى أنّه خير له وأنفع في عاجله أو آجله أو فيهما معا، ثم يدخله جهنم ويعذبه أشد العذاب، لأنه استحب العمى على الهدى وعاند الحقّ واتبع الهوى، وما أقبحها من عاقبة لمن تفكر وتدبر [3]!

هذا هو سبيل المؤمنين، سبيل يستحق الاتّباع، فهو اتّباع للنهج القويم ولسنة الحبيب -ﷺ-، وسير على طريق الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، فمن اتبعه فقد فاز فوزًا عظيمًا أبدًا سرمدًا.

---

(1) انظر : "جامع البيان" – للطبري (205/9) ،"تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (2/ 413)

(2) "لباب التأويل في معاني التنزيل" – (1/ 427)

(3) انظر : "جامع البيان" –للطبري (205/9) ، "معالم التنزيل في تفسير القرآن" – للبغوي (702/1)،" تفسير المراغي "– للمراغي (5/ 155).

المطلب الثّامن: سبيل الرّشد والرّشاد.

أكّد الله –ﷻ– على سبيل الرّشد والرشاد في أكثر من موضع في كتابه العزيز، ودعا إلى اتّباع هذا السّبيل، الذي يعدُّ من السّبل المحمودة التّي تقي الإنسان المتبع لهذا السّبيل من غضب الله وسخطه، ومن حرّ جهنّم وبئس المصير وتوصله إلى مرضاته سبحانه وتعالى ومن الآيات التّي تتحدّث عن هذا السّبيل قوله تعالي:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الذِّين يَتَكَبَّرُونَ فِي الأرض بِغَيْرِ الحقّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرّشد لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (الأعراف :146).

يخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنّه سيصرف عن آياته، وهى أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده، وفرض عليهم من طاعته في توحيده وعدله، وغير ذلك من فرائضه التّي فرضها على المؤمنين، ومن آياته سبحانه السماوات والأرض وكل موجود من خلق الله، وسوف يصرف الله سبحانه عن قبول آياته والتصديق بها هؤلاء المتكبرين في الأرض بغير الحقّ، وهم الذّين حقت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون، فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والادكار بها مصروفون، وأنهم كانوا إن يروا كل حجّة لا يصدقوا بها ويقولون: هي سحر وكذب فبسبب ذلك التكبر والتجبر، فقد طبع الله على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها [1].

ويصف سبحانه هؤلاء المتكبرين أنهم إن يروا طريق الهدى والسداد والصلاح الذي جاء من الله –ﷻ– والذي إن سلكوه نجوا من الهلكة والعطب وصاروا إلى نعيم الأبد لا يتخذوا هذا السّبيل وهذا الطّريق دينًا ولا يسلكوا هذا الطّريق، بالمقابل وصفهم بأنّهم إن يروا سبيل الشيطان وطريق الهلاك الذى إن سلكوه ضلوا وهلكوا فيتخذوا هذا الطّريق مسلكًا لأنفسهم فصرف الله إياهم عن آياته وطبعه على قلوبهم فلا يفلحون ولا ينجحون عقوبة لهم لجحدهم وتكذيبهم لآيات الله والأدلة الشاهدة على حقيقة ما أمر الله به ونهى عنه، وكانوا عنها غافلين وغير ناظرين فيها ولا معتبرين بها، ولا يعلمون شيئا مما فيها خيرًا[2].

(1) انظر: "الهداية إلى بلوغ النهاية" – لمكي بن أبي طالب (2556/4) ، "تفسير القرآن" – للسمعاني (215/2) .
(2) انظر: "معاني القرآن" –الزجاج (376/2) ، "معالم التنزيل في تفسير القرآن" – للبغوي (234/2) .

وقد ذكر الجزائري بعض الهدايات المهمة لهذه الآية منها:

1. "بيان سنة الله تعالى في صرف العباد عن آيات الله حتّى هلكوا كما هلك فرعون وقومه.
2. الكبر من أقوى عوامل الصرف عن آيات الله.
3. التكذيب بآيات الله والغفلة عنها هما سبب كل ضلال وشر وظلم وفساد.
4. بطلان كل عمل لم يسلك فيه صاحبه سبيل الرّشد، التّي هي سبيل الله التّي تحدد الآيات القرآنية وتبين معالمها وترفع أعلامها"[1].

ومن الآيات التّي توضح دعوة الكافرين الناس لسبلهم الفاسدة وادعائهم أنها من السّبل المحمودة وتضليلهم عليهم سبيل الرّشد والرشاد وإبعادهم عنه قوله تعالى :﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (غافر:29)

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قول المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه حيث قال: يا قوم لكم السلطان اليوم والملك ظاهرين على بني اسرائيل في أرض مصر فلا تفسدوا على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد.

بالمقابل يعرض سبحانه قول فرعون الطاغية مجيبًا لقول هذا المؤمن الناهي عن قتل موسى – عليه السلام– ويقول لهم: ما أشير عليكم برأي ولا بنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحًا وصوابًا وما أدعوكم إلا إلى طريق الحقّ والصواب في أمر موسى–عليه السلام– وقتله فإنكم إن لم تقتلوه بدَّل دينكم وأظهرَ في أرضكم الفساد [2]، "وهل يرى الطغاة إلا الرّشد والخير والصواب !؟ وهل يسمحون لأحد بأن يظن أنهم قد يخطئون !؟ وهل يجوز لأحد أن يرى إلى جوار رأيهم رأيًا !؟ وإلا فلم كانوا طغاة" [3].

والواضح من كذب فرعون على قومه أنّه كان مستشعرًا بالخوف الشديد من جهة موسى –عليه السلام– ولولا استشعاره هذا لم يستشر أحدًا ولم يقف الأمر على الإشارة، فهو لم يكذب إلا بعد أن

---

(1) "أيسر التفاسير" – (238/2) .

(2) انظر : "الكشاف" – للزمخشري (164/4) ، "مفاتيح الغيب" – للرازي (164/27) .

(3) "في ظلال القرآن" – لسيد قطب (3080/5).

تبين له صدق موسى –عليه السلام– وما جاء به من الحقّ وأنها ما أنزلها إلا الله ولكن فرعون جحدها هو ومن معه من قومه ليستخفوا بها عقول الجهلة منهم [1].

ويذكر سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن سبيل الرّشاد إنّما هو سبيل المؤمنين الصالحين المتبعين لسبيل الله فهؤلاء قد أراهم الله– سبحانه وتعالى– بنور إيمانهم سبيل الصلاح والخير وجعلهم يميزون بين سبيل الرّشاد الذي فيه صلاحهم وسبيل الشيطان الذي فيه هلاكهم ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: 38).

في هذه الآية الكريمة يبين –سبحانه وتعالى– نصيحة المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحياة الدّنيا ونسي الجبار الأعلى وقد ابتدأ موعظته بندائهم ليلفت إليه أذهانهم ويستصغي أسماعهم وبعنوان أنهم قومه لتصغي إليه أفئدتهم، وقوله لهم: اتّبعوني في اتّباعي لموسى –عليه السلام– واقتدوا بي في دخولي لهذا الدّين فإنكم إن فعلتم ذلك واتبعتموني ودخلتم في هذا الدّين فقد سلكتم الطّريق الصّحيح الذي يوصل سالكه إلى المقصود وإلى الاهتداء لمصالح الدّين والدّنيا وفي كلام المؤمن تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه هو سبيل الغي والضلال[2].

وفي هذا الكلام تحدي صريح وواضح بكلمة الحقّ بحيث لا يخشى فيها سلطان فرعون الجبار ولا ملأه المتآمرين معه أمثال هارون وقارون وزيري فرعون،فهذا المؤمن يتحدى فرعون بقوله : أهدكم سبيل الرّشاد وقد كان فرعون قبلها بلحظات قد ذكر بأنه ما يهديهم إلا إلى سبيل الرّشاد [3].

فمن خلال ما سبق يتّضح أن سبيل الرّشد والرشاد هو سبيل المؤمنين الموحدين وهو طريق الصلاح في هذه الحياة، فالعاقل يتّبع هذا السّبيل ولا يحيد عنه لأن في اتّباع هذا السّبيل نجاته من عذاب النار وفوزه بالنعيم المقيم في جنّات الخلد، فدار الآخرة هي دار الاستقرار والإقامة الابدّية وهي دار السعادة التّي يرجوها كل مؤمن.

---

(1) انظر: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" – للشنقيطي (386/6) .

(2) انظر : "تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (144/7) ، "التحرير والتنوير" – لابن عاشور (24 /148).

(3) انظر : "في ظلال القرآن" – لسيد قطب (3082/5)

المطلب التّاسع : السّبيل المقيم.

إن سبيل الله المقيم لهو الطّريق الواضح الدال على دينه وشرعه وهو سبيل واحد وطريق واحد لا متعدد ولا متفرع فمن حاد عن هذا السّبيل الواضح فمصيره العذاب في الدّنيا قبل الآخرة حتّى يكون عبرة لمن يعتبر، ومن الآيات التّي تؤكد على هذا السّبيل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ (الحجر:76).

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة الطّريق والسّبيل الصّحيح والثابت وغير المتغيّر وهو سبيل واحد لا أكثر من ذلك.

وبالنظر إلى السّياق الذي وردت فيه هذه الآية الكريمة يتضح أن الحديث عن قوم لوط – عليه السلام– وعن عذابهم وعن كل ذنوبهم ومعاصيهم التّي اقترفوها بحق أنفسهم وبحق نبيهم لوط –عليه السلام – ،وترى الباحثة أنّه يحسن في هذا المقام ذكر السياق القرآني الذي وردت فيه هذه الآية الكريمة ليتضح مراد الله وليتبين معنى السّبيل المقيم، يقول –سبحانه وتعالى– :﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبراهِيمَ﴿ 51 ﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاَمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴿ 52 ﴾ قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ﴿ 53 ﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴿ 54 ﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالحقّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴿ 55 ﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبّه إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴿ 56 ﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أيها الْمُرْسَلُونَ﴿ 57 ﴾ قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إلى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴿ 58 ﴾ إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴿ 59 ﴾ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴿ 60 ﴾ فَلَمَّا جَاء آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴿ 61 ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴿ 62 ﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴿ 63 ﴾ وَأَتَيْنَاكَ بَالحقّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴿ 64 ﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴿ 65 ﴾ وَقَضَيْنَا إليه ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴿ 66 ﴾ وَجَاء أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴿ 67 ﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ﴿ 68 ﴾ وَاتَّقُوا اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ﴿ 69 ﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴿ 70 ﴾ قَالَ هَؤُلاء بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴿ 71 ﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴿ 72 ﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴿ 73 ﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴿ 74 ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴿ 75 ﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴿ 76 ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴿ 77 ﴾﴾ (الحجر:51-

77)، وذكرت الآيات عذابهم ومصيرهم بعد أن نالهم غضب من الله -ﷻ- وهو الخسف، ويذكر سبحانه في هذه الآية أن قرية قوم لوط -عليه السلام- هي بطريق واضح بين وعلم ليس بخفي ولا زائغ يراها كل من يمر بها من ناحية هذا المكان وكل من يجتازها فلا يخفى مكانها فطريقها دائم وثابت لن تزول ولن تضيعه عوامل التعرية أو الأغيار ولن تضيعه تلك العوامل إلا إذا شاء الحقّ سبحانه له أن يكون محكم التكوين ومحكم التثبيت [1].

وقرية سدوم[2] التّي أصابها ما أصابها من القذف بالحجارة والقلب، حتّى صارت بحيرة منتنة خبيثة وهي بطريق مسالكه مستمرة إلى اليوم، وسمي هذا السّبيل مقيمًا لثبوت الآيات فيه وقد كانوا يمرون عليها عند مضيهم إلى الشام ورجوعهم، وفي ذلك يقول الحقّ -ﷻ-: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴿137﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴿138﴾﴾ (الصافات :137،138).

وفي هذه الآية تنبيه لقريش حيث إنهم يسلكون هذا الطّريق المقيم والثابت ويرون الآثار التّي لم تندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار، حيث إنها بحال هلاكها لم تعمر حتّى الآن فالاعتبار بها ممكن ولكم فيها عبرة ومزدجر يوجب عليكم الحذر من أن تفعلوا كفعلهم لئلا ينزل الله بكم مثل ما أنزل بهم وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾(محمد : 10) فهذه القرى وما ظهر فيها من آثار قهر الله وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يندرس ولم يخف والذين يمرون من الحجاز إلى الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره، ويعتبر بها من أراد الاعتبار [3].

فمن خلال ما سبق يمكن القول أنّ السّبيل المقيم هو سبيل واضح المعالم وضوح الشّمس في صفحة السماء، وظاهر لكل من يريد أن يرى بنور الله ويتبع طريق الرّشاد وهو سبيل الوصول إلى الله

---

(1)انظر : جامع البيان – الطبري (17 /122) ، معاني القرآن – الزجاج (185/3) ،تفسير القرآن – السمعاني (147/3) .

(2)قرية سدوم تقع في مدينة أريحا، فلسطين.

(3)انظر : معلم التنزيل في تفسير القرآن – البغوي (63/3) ، الكشاف – الزمخشري (586/2) ، زاد المسير في علم التفسير – الجوزي (540/2) ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل – النسفي (196/2).

-ﷻ- وإلى مرضاته سبحانه في الدّنيا والآخرة و الابتعاد عن كل ما يغضبه، فعلى كل واحد منا الاتعاظ وأخذ العبر من أخطاء السابقين واجتناب كل ما يغضب الله من قول أو فعل أو عمل تجنبًا لغضب الله وخسران عفوه ومرضاته وجنّته.

المبحث الثّاني: السّبل المذمومة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأوّل: سبيل الطّاغوت.

المطلب الثّاني: سبيل المفسدين.

المطلب الثّالث: سبيل المجرمين.

المطلب الرّابع: سبيل الغي.

المطلب الخامس: السّبيل السيء.

المطلب السّادس: سبيل الذّين لا يعلمون.

المبحث الثّاني: السّبل المذمومة

تتعدّد السّبل المذمومة في السّياق القرآني لتشمل سبيل الطّاغوت والمفسدين والمجرمين، وسبيل الغيّ، والسّبيل السّيء، وسبيل الذّين لا يعلمون، والتي ستتناولها الباحثة بالتّفصيل خلال المباحث الآتية:

المطلب الأوّل: سبيل الطّاغوت.

يعدُّ سبيل الطّاغوت سبيلًا للشيطان والبعد عن الله –ﷻ–، فهو طريق المنحرفين الضّالين الذّين تنكبوا طريق الحقّ واتبعوا طريق الغواية فضلوا وأضلوا غيرهم من الناس متناسين قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (العلق:14)، وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُور﴾ (غافر:19)، فهؤلاء القوم الذّين اتبعوا هذا السّبيل ولازموه حتّى ران الله على قلوبهم فلم يستطيعوا أن يروا بنور الله نور الحقّ حيث قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين:14)، ومصيرهم يوم القيامة إلى جهنم ألا ساء ما يعملون.

ومن الآيات التّي تبيّن هذا السّبيل وتدعو إلى اجتنابه قوله تعالى: ﴿الذّين آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطّاغوت فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء:76)، ففي هذه الآية الكريمة يمدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذّين صدقوا الله ورسوله وأيقنوا بموعود الله لأهل الإيمان به، فهؤلاء يقاتلون في سبيل طاعة الله ونصرة لدينه وشريعته التّي شرعها لعباده لأن من يتّبع سبيل الله يحصل على ثوابه وجنّته التّي أعدّها لأوليائه الصّالحين.

وبالمقابل يذمّ سبحانه وتعالى المنافقين الذّين جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربّهم، وهؤلاء يقاتلون في سبيل طاعة الشّيطان وفي طريقه ومنهاجه الذي شرعه لأوليائه من أهل الكفر به، فالشّيطان هو الذي يأمر ويدعو للسلوك في سبيله فما يكون منهم إلا طاعته والسير في سبيله[1]، بعد ذلك يهيِّج ويحرّض سبحانه وتعالى المؤمنين على قتال الشيطان وحزبه وجنده وهم

(1)انظر : "جامع البيان"–للطبري (546/8–547)، " تأويلات أهل السنة"–للماتريدي (258/3)

الكفار وأهل الشرك أعداء الله وأعداء دينه الذّين ينصرون الشيطان ويطيعون أمره في خلاف طاعة الله، ويقول سبحانه للمؤمنين لا تهابوا أولياء هذا الشيطان فإنما هم حزبه وأنصاره وحزب الشيطان هم أهل وهن وضعف.

وسبب وصفه تعالى لهم بالوهن لأنهم لا يقاتلون رجاء ثواب ولا يتركون القتال خوف عقاب، وإنما يقاتلون حمية أو حسدًا للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله.

والمؤمنون يقاتل من قاتل منهم رجاء العظيم من ثواب الله، ويترك القتال إن تركه على خوف من وعيد الله في تركه، فهو يقاتل على بصيرة بما له عند الله إن قتل، وبما له من الغنيمة والظفر إن سلم، والكافر يقاتل على حذر من القتل، وإياس من المعاد، فهو ذو ضعف وخوف[1].

"وأمّا الذّين لَا يذعنون للحق، ولا يؤمنون به، ولا يقيمون للفضيلة وزنًا، فإن قتالهم في سبيل الغلب، والسلطان الغاشم، والتحكم والسيطرة، وإن الماضي والحاضر يشهدان بصدق ذلك، وإن العيان ليؤيد هذه الشهادة الصادقة، ألم تر إلى أولئك الذّين يتحكمون الآن في مصاير العالم، لَا يفكرون إلا في الغلب على قطعة من الأرض يستولون عليها، أو يبسطون نفوذهم فيها، وما ذلك إلا طغيان المتحكمين المسيطرين في بلاده، وانظر نظرة عميقة إلى أولئك الذّين وضعوا أيديهم على أدوات الحرب المخربة، التّي إن ألقيت لَا تبقي ولا تذر، وتأكل الأخضر واليابس، فإنهم يتغالبون على النفوذ، ولو استشيرت أمَمُهم فردا فردا، لاستنكروا ما هم مقدمون عليه أو يكادون! فالحروب التّي يثيرها الكافرون في هذا الزمان لَا يدفعها إلا طغيان أفراد معدودين، يتحكّمون في الشعوب ومصايرها، بطريقة أقسى مما كان يتحكم الملوك من قبل"[2].

وهكذا يندم اتّباع هذا الشّيطان بعد انقيادهم له، ولكن بعد فوات الأوان يوم لا ينفع مال ولا بنون، فهؤلاء المنقادون لهذا الطّاغوت وإن كانوا كثير في العدد والعتاد فهذا كله وهن وضعف، لأنّ قوتهم وكثرتهم من قوة الشّيطان، والشّيطان من أوهن خلق الله وأضعفهم، فحالهم سواء وكثرتهم هباءً.

---

(1)انظر : "أحكام القرآن"-للجصاص (182/3)، "بحر العلوم"-للسمرقندي (318/1)

(2) "زهرة التفاسير"-لأبي زهرة (1767/4).

المطلب الثّاني: سبيل المفسدين.

يعدُّ سبيل المفسدين سبيل كل ظالم وكل متبعٍ للشيطان، وسبيل كل مبتعدٍ عن سبيل الحقّ والخير والصلاح، إنّه طريق كل منحازٍ إلى طرق الفساد والشر وسبيل الذّين يفسدون عقائد ضعفاء الأنام بالتمويهات الباطلة والتغريرات العاطلة، هنا يحذرنا –ﷻ– من اتّباع هذا السّبيل فقال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾(الأعراف:142).

في هذه الآية يذكر –ﷻ– ممتنًا على بني اسرائيل بما حصل لهم من الهداية، بتكليمه لموسى –عليه السلام– وإعطائه التوراة وفيها أحكامهم وتفاصيل شرعهم، فذكر تعالى أنّه واعد موسى –عليه السلام– ثلاثين ليلة من ذي القعدة، والغاية من هذا الوعد هو الانعزال عن شواغل الأرض ليستغرق في هواتف السماء ويعتكف فيها عن الخلق ليستغرق فيها في الخالق الجليل وتصفو روحه وتشف وتستضيء وتتقوى عزيمته [1].

ويذكر الزمخشري : " أن موسى –عليه السلام– وعد بني اسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما هلك فرعون سأل موسى ربّه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يومًا وهو شهر ذي القعدة، فلما أتم الثلاثين أنكر خلوفَ فيه فسوك، فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، وأوحى الله تعالى إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك"[2].

وأمره سبحانه وتعالى أن يعمل فيها ما يقربه من الله، ثم أنزلت عليه التوراة في العشر التّي أمره بصيامها، وفيها كلم الله سبحانه وتعالى.

وقبل أن يمضي موسى عليه السّلام لموعد ربّه وقبل مغادرته لقومه واعتزاله واعتكافه قال لأخيه هارون كن خليفتي في قومي إلى أن أرجع، وأوصاه بالإصلاح وأن يقيم في قومه الحقّ والعدل وأن يصلح بينهم وأن يحفظ وحدتهم ويحارب دعاة التفرق، وأوصاه –عليه السلام– أن يتجنب مسايرة

(1)انظر : "في ظلال القرآن"–للسيد قطب:(1367/3).

(2) "الكشاف"– (151/2).

المفسدين، بل عليه قطع طريقهم ولا يمكنهم من الفساد الذي يريدونه، وكأنه بفطنة النبوة أدرك أنهم سيحدثون أحداثا من بعده.

وفي هذا تنبيه وتذكير وإلا فهارون –عليه السلام– نبي شريف كريم على الله له وجاهة وجلالة صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء[1].

وأيضًا إن موسى –عليه السلام– يقدر ثقل هذه المهمة وهو يعرف طبيعة قومه بني إسرائيل، وقد تلقى هارون –عليه السلام– النصيحة ولم تثقل على نفسه، فالنصيحة إنّما تثقل على نفوس الأشرار المفسدين لأنها تقيدهم بما يريدون أن ينطلقوا منه، وتثقل على نفوس المتكبرين الصغار الذّين يحسون في النصيحة تنقصًا لأقدارهم![2].

وهكذا يتبين لنا من خلال ما سبق أن سبيل المفسدين هو سبيل ضال لا يسلكه إلا أصحاب الأهواء والشهوات المتّبعين لآرائهم الفاسدة والمتمسكين بما ورثوه عن آبائهم السابقين من عادات سيئة، فيكونون بذلك قد اتّبعوا سبيل الشيطان في كل الأمور، واستحقوا أن يطبع على قلوبهم حتّى لا يفقهوا شيئًا من البراهين والآيات الدالة على طريق الله وطريق جنته.

المطلب الثّالث: سبيل المجرمين.

يعدُّ سبيل المجرمين من السّبل المذمومة التّي حذر منها شرعنا الكريم في العديد من الآيات التّي بيّنت أن متّبع هذا السّبيل هم أهل الباطل المغلبين لأهوائهم الفاسدة والمذمومة على طاعة الله واتّباع رسوله –ﷺ–، وبيّنت جزاءهم في الدّنيا وسوء عاقبتهم في الآخرة.

ومن الآيات التّي تبين هذا السّبيل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام:55).

يذكر –سبحانه وتعالى– في هذه الآية : أنّه وكما فصلنا لك في هذه السورة من ابتدائها وفاتحتها يا محمد دلائلنا ومحاجتنا مع المشركين من عبدة الأوثان وميّزناها لك وبيّناها، كذلك نفصّل لكم الآيات لكل ما تحتاجون له من أمر الدّين ونبيّن لكم الأدلة والحجج في كل حق ينكره أهل الباطل من سائر أهل

(1)انظر: "تفسير القرآن العظيم"–لابن كثير:(4168/3).

(2)انظر : "الكشاف"– للزمخشري(151/2)، "الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية"– للشيخ علوان (265/1)

الملل، فنبيّنها لك حتّى تبيّن حقه من باطله، وصحيحه من سقيمه، كل ذلك حتّى تستبين لكم أحوال المجرمين ممن هو مطبوع على قلبه ولا يرجى إسلامه، ومن يرى فيه أمارة القبول وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر القيامة، ومن دخل في الإسلام إلا أنّه لا يحفظ حدوده، ولتستوضح سبيلهم وطريقهم وسيرتهم في الظلم والحسد والكبر واحتقار الناس والتصلب في الكفر، فتعامل كلًا منهم بما يجب أن يعامل به[1].

فيجب أن تبدأ الدّعوة إلى الله باستبانة سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، ويجب ألا تأخذ أصحاب الدّعوة إلى الله في كلمة الحقّ والفصل هوادة ولا مداهنة، وألا تأخذهم فيها خشية ولا خوف وألا تقعدهم عنها لومة لائم، ولا صيحة صائح.

ويذكر السعدي: " أن سبيل المجرمين إذا استبانت واتّضحت أمكن اجتنابها والبعد عنها بخلاف ما لو كانت مشتبهة ملتبسة فإنه لا يحصل هذا المقصود الجليل"[2].

ووجه الاستبانة والإيضاح في هذه الآية ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة، فعلى العاقل أن يسلك طريق الفوز والفلاح ويصل إلى ما وصل إليه أهل الصلاح[3].

"أجل يجب أن يجتاز أصحاب الدّعوة إلى الله هذه العقبة وأن تتم في نفوسهم هذه الاستبانة كي تنطلق طاقاتهم كلها في سبيل الله لا تصدها شبهة، ولا يعوّقها غبش، ولا يميّعها لبس، فإن طاقاتهم لا تنطلق إلا إذا اعتقدوا في يقين أنهم هم «المسلمون» وأن الذّين يقفون في طريقهم ويصدونهم ويصدون الناس عن سبيل الله هم «المجرمون»، كذلك فإنهم لن يحتملوا متاعب الطّريق إلا إذا استيقنوا أنها قضية كفر وإيمان، وأنهم وقومهم على مفرق الطّريق، وأنهم على ملة وقومهم على ملة، وأنهم في دين وقومهم في دين" [4].

هذا هو سبيل المجرمين سبيل واضح لكل من أراد اجتنابه واتّباع سبيل الحقّ، وكذلك لمن أراد أن يتّبعه ويتعامى عن سبيل الحقّ وينقاد وراءه حتّى يوصله إلى النيران ويبعده عن الجنان.

---

(1)انظر : "الكشاف"- للزمخشري (29/2)، "التحرير والتنوير"- لابن عاشور (261/7)

(2) "تيسير الكريم الرّحمن"-(258/1).

(3)انظر : "روح البيان"- لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستنبولي (39/3).

(4)"في ظلال القرآن"- لسيد قطب:(1107/2).

المطلب الرّابع: سبيل الغي.

إن سبيل الغي مثل غيره من سبل الشيطان الأخرى الفاسدة المذمومة، فهذا السّبيل كله انحراف وفساد وظلم وشر يقع في الأرض، ويقع إلى نهاية هذه الحياة، سبيل يجب الحذر منه ويجب الابتعاد عنه حتّى لا يقع الإنسان في شراك الشيطان، ويصبح فريسة له ولكل مغرياته التّي تجرف بهذا الإنسان في تيار الشرك والبعد عن الله وتردي به في الهاوية، وقد بيّن سبحانه وتعالى هذا السّبيل في قوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الذّين يَتَكَبَّرُونَ فِي الأرض بِغَيْرِ الحقّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرّشد لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾(الأعراف:146).

في هذه الآية الكريمة يذكر –ﷻ– أنّه سوف يصرف ويصد ويمنع عن فهم آياته وعلاماته ودلائله الدالّة على وجوده كل الذّين يتجبرون على عباد الله ويحاربون أوليائه حتّى لا يؤمنوا به وسيصرفهم عن قبول آياته في كتاب الكون المنظور وآياته في كتبه المنزلة على رسله وعن التصديق بها، فهؤلاء قد عوقبوا بالحرمان من الهداية لعنادهم للحق وتكبرهم عليه لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾(الصف:5).

وما يتكبر عبد من عبيد الله في أرضه بالحقّ أبدًا، فالكبرياء صفة الله وحده لا يقبل فيها شريكًا وحيثما تكبر إنسان في الأرض كان ذلك تكبرًا بغير حق، فالتكبر أساس الشرّ كله ومنه ينبعث[1].

ولقد صور الله تعالى تفكيرهم فقال في نظرتهم إلى الحقّ وإلى الباطل أنهم لا يؤمنون بأيّ آية يرونها، لأن قلوبهم صرفها هواهم عن الحقّ فصارت متدرّنة بالباطل لا تستسيغ الحقّ ولا تقبله.

وإن كل آية، أي آية مهما تكن واضحة الدلالة بيّنة الهداية لا يصدقوا بها لأنهم عميت عن الحقّ أبصارهم وأصبحوا في صمم عنها، فإن القلب إذا أعمي كره الحقّ وغفل عن آياته[2].

(1)انظر : " أنوار التنزيل وأسرار التأويل"– للبيضاوي:(34/3).

(2)انظر : " معالم التنزيل في تفسير القرآن"– للبغوي:(282/3).

ويذكر –ﷻ– في هذه الآية تصوير نزوعهم إلى الباطل ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾، فالرشد يحتاج إلى عزيمة وقوة نفس، وسيطرة على الشهوات وحمل على الإيثار، والذين يستكبرون ويطغون فيهم شهوات مستحكمة، فلهذا إذا رأى المكذّبون سبيل الرّشد الذي يعطي لله وللناس حقوقهم فإنهم لا يتخذونه سبيلًا لسلوكهم وطريق حياتهم، لأنه يحتاج إلى بصيرة مدركة، وعزيمة صادقة، وإرادة عاقلة.

وبالمقابل إن يرى هؤلاء المتكبرون سبيل الضلال وهو الغي يتخذوه مسلكًا لهم، لأنه سبيل الهوى والشهوات والطغيان، فهو يتفق مع نزعة التكذيب لآيات الله تعالى والغفلة عن هدايتها، والاستكبار الذي أعماهم عن التأمل فيها، والتعرف على أسرار الله في مكنونها[1].

ولقد ذكر –ﷻ– سبب ذلك الضلال الذي يحولهم من الرّشد إلى الغي ويجعلهم يستحسنون الشر وسبيله، ويستهجنون الخير وطريقه، وهو أنهم كذبوا بآيات الله، وسارعوا بهذا التكذيب فاجتالهم الشيطان عنها، وساروا منحرفين عنها غافلين عن معانيها، ومن سار في طريق منحرفٍ عن الخط المستقيم أوغل في الانحراف حتّى يضل ضلالًا بعيدًا، وكلما أمعن في السير أمعن في الضلال حتّى لا تكون هداية، وأخذهم الكبر فكذبوا بآيات الله وفسدت نفوسهم وأذواقهم حتّى صاروا يذوقون المر فيحسبونه حلوًا، وفسدت مداركهم فصاروا لا يفرقون بين الخير والشر، ولا بين الحسن والقبيح، فإن رأوا سبيل الرّشد لا يختاروه، وإن رأوا سبيل الغيّ اختاروه، وهكذا تلفت مشاعرهم، وضلت أفهامهم، وإنما يستقيم الفكر إذا استقامت النفس[2].

ولا يظلم الله هذا الصنف من الخلق بهذا الجزاء المردي المؤدي إلى الهلاك في الدّنيا والآخرة، إنّما هو جزاء الحقّ لمن يكذب بآيات الله ويغفل عنها، ويتكبر في الأرض بغير الحقّ، ويتجنب سبيل الرّشد حيثما رآه، ويهرع إلى سبيل الغي حيثما لاح له، فإنما بعمله جوزي وبسلوكه أورد موارد الهلاك[3].

---

(1)انظر : " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"– لابن عطية:(454/2).

(2)انظر : " الدر المنثور في التفسير بالمأثور"– للسيوطي:(562/2)، "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية" – للشيخ علوان (267/1).

(3)انظر : "في ظلال القرآن"– لسيد قطب:(1372/3)، "زهرة التفاسير"– لأبي زهرة(2951/6).

تبيّن لنا من خلال ما سبق سنّة الله تعالى في صرف العباد عن آيات الله حتّى هلكوا، فمن أهم عوامل الوصول إلى سبيل الغي هو التّكبر عن آيات الله والتكذيب بها والغفلة عنها، فهذا هو سبب كل ضلال وشرّ وظلم وفساد وهو سبب بطلان كل عمل لم يسلك فيه صاحبه سبيل الرّشد التّي هي سبيل الله والتي من خلالها تحدد الآيات القرآنية وتبين معالمها وترفع أعلامها.

المطلب الخامس: السّبيل السيء.

يعدُّ السّبيل السيء من السّبل المذمومة التّي ذمها الإسلام وحذر من اتّباعها والانقياد وراءها، فهي مذمومة ومذموم من اتبعها لكونها تخرج الإنسان عن الفطرة السليمة التّي خلقه الله –ﷻ– عليها، ومن الآيات التّي تدعو إلى اجتناب هذا السّبيل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّه كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء سَبِيلًا﴾ (النساء:22).

وقد قيل في سبب نزول هذه الآية عن رجل من الأنصار قال: لما توفّي أبو قيس – يعني ابن الأسلت– [1]وكان من صالحي الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأته، فقالت: إنّما أعدّك ولدًا وأنت من صالحي قومك، ولكن آتي رسول الله –ﷺ– فأستأمره. فأتت رسول الله –ﷺ– فقالت: إن أبا قيس توفّي فقال: ''خيرًا''، ثم قالت: إن ابنه قيسًا خطبني وهو من صالحي قومه، وإنما كنت أعدّه ولدًا فما ترى؟ فقال لها ارجعي إلى بيتك. فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ....﴾ [2].

في هذه الآية الكريمة نهى –ﷻ– عما كانت عليه الجاهلية وما كان فاشيًا فيها من نكاح نساء آبائهم إذا ماتوا وهو شروع في بيان من يحرم نكاحه من النساء ومن لا يحرم، وإنّما خص هذا النكاح في النهي مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرّين على تعاطيه على الرغم من قبحه فذمّه الإسلام بالتنفير عنه، وأيضًا زجر الإسلام عنه تكرمة للآباء وإعظامًا وإحترامًا أن توطأ من بعده حتّى إنها لتحرم على الابن بمجرد العقد عليها.

---

(1)أبو قيس: هو صفي بن عامر الأسلت بن جشم بن وائل الأوسي الأنصاري، أبو قيس، شاعر جاهلي من حكمائهم، كان رأس الأوس وشاعرهم وخطيبهم وقائدهم في حروبهم، وكان يكره الأوثان ويبحث عن دين يطمئن إليه فلقي علماء من البهود ورهبانًا وأحبارًا، ووصف له دين إبراهيم فقال أنا على هذا،ولما ظهر الإسلام اجتمع برسول الله –ﷺ– وتريث في قبول الدعوة، فمات بالمدينة قبل أن يسلم سنة 1هـ. (انظر: "الأعلام" – للزركلي (211/3).

(2)انظر: "المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة" – للمزيني (376/1)..

وأما ما وقع في الجاهلية قبل نزول التحريم فاجتنبوه ودعوه فإنه مغفور ومعفو عنه ولا تؤاخذون عليه، فمن كان متزوجًا ممن كانت امرأة أبيه، فإنها حرام عليه من وقت نزول ذلك النّص الكريم وعفى الله عما سلف، ولا يجوز لكم ابتداء مثله في الإسلام [1].

وقد وصف الله هذا النوع من العقود بثلاثة أوصاف:

أولها: أنّه فاحشة، وسمّي فاحشة لأنّ زوجة الأب في منزلة الأم، ونكاح الأمهات حرام، فلما كان نكاح زوجات الآباء كنكاح الأمّهات سمّي فاحشة لأنه من أقبح المعاصي وأشدّها.

وثانيها: أنّه يورث المقت من الله وهو أشدّ الغضب وغاية الخزي والخسارة وممقوت من ذوي المروءات لا يقبلونه ولا يرضونه.

وثالثها: أنّه أسوأ سبيل لطلب الولد، وبئس الطّريق لمن سلكه من الناس، فمن تعاطاه بعد هذا فقد ارتد عن دينه، فيقتل ويصير ماله فيئًا لبيت مال المسلمين[2].

ومن الآيات التّي تدعو إلى اجتناب السّبيل السيّء وعدم الاقتراب منه ومن كل ما يؤدي إليه من الأمور السيئة التّي حرمها الله ومن كل ما يؤدي إلى السير في هذا السّبيل المذموم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى أَنه كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾ (الإسراء:32).

في هذه الآية الكريمة ينهى –ﷻ– عن الزنا وعن مقاربته ومخالطة أسبابه ودواعيه التّي تؤدي إلى ارتكابه، وذَكَرَ الزنا دون غيره من الفواحش لأن فيه تضييع حرمة الحقّ وهتك حرمة الخلق ولما فيه من الإخلال بالنسب وإفساد ذات البين، والزنا يؤدي إلى تضييع النسل ويذهب بقوة الأمة، وما كثر الزّنا بأمّة إلا عمّها الخراب وضاعت فيها الأنساب[3].

وقد وصف الله –ﷻ– الزّنا بأنه فاحشة أي أنّه حال قبيحة مفرطة في القبح زائدة، واللجوء إلى هذه الفاحشة يجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة لها، ويجعل الأسرة تبعة لا داعي إليها، والأسرة هي الحضن الصالح للفراخ الناشئة لا تصح فطرتها ولا تسلم إلا فيه.

---

(1)انظر: "تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (245/2)..

(2)انظر : "جامع البيان"– للطبري:(137/8)، "لباب التأويل في معاني التنزيل"– للخازن (358/1)، "فتح البيان في مقاصد القرآن"– لأبي الطيب القنوجي (66/3–67)، "تفسير المنار"– لمحمد رشيد رضا (380/4).

(3)انظر: "تفسير القرآن العظيم"– لابن كثير:(72/5).

فما أسوأه من طريق وسبيل لأنّه اعتداء على الفضيلة ويؤدي إلى انحلال الأسرة، وانحلالها انحلال للمجتمع، وسلوك هذا السّبيل يؤدي بفاعله إلى دخول نار جهنّم وبئس المصير، فلا خلاف في كونه من كبائر الذنوب[1].

يقول الأستاذ سيد قطب: "فالقرآن الكريم يحذر من مجرد مقاربة الزنا، وهي مبالغة في التحرّز، فالتحرّز من المقاربة أضمن، فعند المقاربة من أسبابه لا يكون هناك ضمان. فيكره الاختلاط في غير ضرورة ويحرم الخلوة وينهى عن التبرج والزينة ويحض على الزواج لمن استطاع، ويوصي بالصوم لمن لا يستطيع، ويكره الحواجز التّي تمنع من الزواج كالمغالاة في المهور، وينفي الخوف من العيلة والإملاق بسبب الأولاد، ويحض على مساعدة من يبتغون الزواج ليحصنوا أنفسهم ويوقع أشدّ العقوبة على الجريمة حين تقع، وعلى رمي المحصنات الغافلات دون برهان، إلى آخر وسائل الوقاية والعلاج ليحفظ الجماعة الإسلامية من التردّي والانحلال"[2].

من خلال ما سبق يتضح لنا أنّ السّبيل السيء هو سبيل قد ذمه الإسلام، وأوجب الابتعاد عنه وحذر منه، فهذا السّبيل لا يورث إلا الفساد في الأرض ابتداءً بالأسرة وانتهاءً بالمجتمع، سبيل على رأسه الشيطان وأعوانه من الجن والإنس، فيجب الحذر كل الحذر منه ومن السير و السلوك فيه، فاتّباعه لا يورث إلا غضب الله وسخطه.

المطلب السّادس: سبيل الذّين لا يعلمون.

إنّ سبيل الذّين لا يعلمون هو سبيل للجهلة البعيدين عن سبيل الله الذّين يرون الحقّ ولا يتبعونه ويتعامون عنه ويجعلون للشيطان عليهم سبيلًا، فالإسلام حرر اتّباعه ودعا إلى الابتعاد عن هذا السّبيل والتزام الاستقامة، ومن الآيات التّي تدعو إلى اجتناب هذا السّبيل قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الذّين لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس:89).

جاءت هذه الآية في سياق إخبار الله تعالى أنّه استجاب لدعوة موسى –عليه السلام– على فرعون وملئه لمّا أبوا قبول الحقّ واستمرّوا على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين ظلمًا وعلّوًا، وتكبّرًا وعتوًّا.

(1)انظر: "فتح البيان في مقاصد القرآن"– لأبي الطيب القنوجي (385/7).

(2) "في ظلال القرآن"– (2224/4).

ودعوة موسى التّي دعاها على قومه وردت في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدّنيا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حتّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ (يونس:88).

حيث قال موسى –عليه السلام– يا ربّ إنّك أعطيت فرعون وأشرافه الذّين يعاونونه في ظلمه وبغيه زينة وأموالًا في الحياة الدّنيا فما كان منهم إلا أن ضلوا عن سبيلك بالكفر والعتوّ والطّغيان ولم يرعوا حقًّا، وادّعى فرعون كذلك أنّ له ملك مصر وأن هذه الأنهار تجري من تحته، فرجى موسى ربّه ضارعًا أن يزول عنهم من سبّب طغيانهم وهو طمس أموالهم ومحقها وأن تصبح غير صالحة لأي انتفاع لهم بها، وأن يجعل قلوبهم تذوق الشدة المريرة، فلا يؤمنوا حتّى يروا ذهاب أموالهم وفراغ نفوسهم وذوق قلوبهم القسوة الشّديدة[1].

وهذه الدّعوة من موسى –عليه السلام– غضبًا لله ولدينه على فرعون وملئه الذّين تبيّن له أنّه لا خير فيهم.

ولهذا استجاب الله تعالى لموسى –عليه السلام– هذه الدّعوة التّي أمّن عليها أخوه هارون –عليه السلام–، وأنزل الله بهم ما طلب موسى وأخوه عليهما السّلام من تدمير فرعون وملئه[2].

وقد أمر الله –سبحانه وتعالى– موسى وهارون عليهما السّلام أن يستقيما في طريقه وعلى هداه حتّى يأتي الأجل، وأن يكونا مؤمنين وأن يلتزما الإخلاص في القول والعمل وصدق الاتجاه إلى الله تعالى، وأكد سبحانه على طلب الاستقامة بأن قال لهما أن لا يسلكا مسلك الذّين لا يعلمون حقيقة وعدي ووعيدي، فإنّ مسلكهم ليس فيه استقامة بل هو الاعوجاج والعدول عن الطّريق المستقيم، فإن من اتبع هذا الطّريق يتخبّط على غير علم ويتردّد في الخطط والتدبيرات ويقلق على المصير ولا يعرف إن كان يسير في الطّريق الهادي أم هل ضلّ السّبيل[3].

حقًا إنّه سبيل فاسد ومضل، يؤدي بكل اتّباعه إلى الخسران وإلى الضياع والمحق ولكن بعد فوات الأوان بعد أن عصوا الله وتجبروا على خلقه وأفسدوا في أرضه، بعد أن رأوا الآيات واضحة

(1)انظر: "الجامع لأحكام القرآن"– للقرطبي (377/8).
(2)انظر: "تفسير القرآن العظيم"–لابن كثير (291/4).
(3)انظر: "في ظلال القرآن"– لسيد قطب (1817/3).

وضوح الشمس في صفحة السماء ولكنهم أعرضوا عنها ونسوا وعد الله ونسوا يومَ يرجعون فيه إلى الله ويوم يحاسبهم على أعمالهم الفاسدة ويدخلهم في نيرانه المستعرة.

المبحث الثّالث: سبلٌ لا توصف بمدحٍ أو ذم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: ابن السّبيل.

المطلب الثّاني: سبيل الأرض.

المطلب الثّالث: سبيل الحوت.

المبحث الثّالث: سبلٌ لا توصف بمدحٍ أو ذم

تتعدّد السّبل المباحة التي لا حرج فيها لتشمل ابن السّبيل وسبيل الأرض وسبيل الحوت، والتّي ستناولها الباحثة بالتّفصيل في المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: ابن السّبيل.

يعدُّ ابن السّبيل من الأصناف التّي أولاها الإسلام عناية خاصة وشرع لها من الحقّوق ما يكفل راحتهم في المكان المنقطعين فيه، فأمر -ﷻ- بإعطاء ابن السّبيل مالًا يسد حاجاته ويحفظ كرامته، ومن الآيات الداعية إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:215).

إنّ ابن السّبيل هو المنقطع في سفره ولا مأوى له وقد يكون له مال ولكنه انقطع عنه وحالت بينه وبين ماله حوائل، فهو كالفقير لغيبة ماله، فالمتصدق يتصدق عليه من باب الأخوة الإنسانية[1].

ففي هذه الآية حثّ للمؤمنين على قضاء حاجة ابن السّبيل على سبيل التطوع، فيعان على سفره بالنفقة التّي توصله إلى مقصده.

وأطلق عليه ابن السّبيل لأنه انقطع عن السّبيل الذي يسير فيه، وإنّ إيتاء المال لهذا يكون بإعطائه ما يسعفه من قوت وبإيوائه حتّى يئوب وإعطائه قدرًا يصل به إلى بلده، ويصح أن يُسهَم في إنشاء مضيف يأوي إليه أبناء السّبيل الذّين ينقطع بهم الطّريق ولا يجدون مأوى [2].

ويقول الشعراوي: "لقد جعل الله نصيبًا من المال لابن السّبيل حتّى يفهم المؤمن أن تكافله الإيماني متعدٍّ إلى بيئة وجوده، فحين يوجد في مكان وينتقل إلى مكان آخر يكون في بيئة إيمانية متكافلة"[3].

---

(1)انظر : "محاسن التأويل"- لمحمد جمال الدّين القاسمي (98/2).

(2)انظر : "روح البيان"- للإستنبولي(332/1).

(3)"تفسير الشعراوي"- (737/2).

"فالنفقة لابن السّبيل هي نجدة له في ساعة العسرة، ساعة الانقطاع عن الأهل والمال والديار، وإشعار له بأن الإنسانية كلها أهل، وبأن الأرض كلها وطن يلقى فيها أهلًا بأهل ومالًا بمال وصلة بصلة وقرارًا بقرار" [1].

ومن الآيات التّي تدعو إلى الإحسان إلى ابن السّبيل والرفق به والتصدق عليه قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾(النساء:36).

فقد أوصى الله –ﷻ– في هذه الآية الكريمة إلى الإحسان إلى ابن السّبيل وهو المنقطع عن أهله ولا مال له، فكأن الطّريق تبناه، والإحسان إليه يكون بإيوائه وإطعامه وتسهيل الحياة له حتّى يعود إلى أهله، وقد أوجب الإسلام إعداد مأوىً لهؤلاء المنقطعين في سفرهم من بيت مال الزكاة وامدادهم بالطعام والكساء حتّى يثوبوا ويرجعوا إلى أهلهم،فابن السّبيل قد يكون غنيًا وقد تشتد حاجته في هذا الوقت، والإحسان إليه يكون بإطعامه وايوائه وعدم إيذائه بأي نوع من أنواع الأذى، وبمساعدته بما يوصله إلى موطنه.

وقد أوصى سبحانه بابن السّبيل لأنه ضعيف الحيلة قليل النصير إذ لا يهتدي إلى أحوال قوم غير قومه وبلد غير بلده [2].

"وفي أمر الشارع بمواساة ابن السّبيل والإحسان إليه وإعانته في سفره ترغيب منه في السياحة والضرب في الأرض" [3].

ومن صور الإحسان إلى ابن السّبيل أن يضيفه إذا نزل به وأن يجعله ضيفًا عنده، وأن يقدم إليه من البشاشة والرعاية والإكرام ما يقدم للضيف العزيز دون منٍّ أو أذى، ودون ضيق أو كره.

وفي تسميته ضيفًا رعاية لهذا الواجب الذي ينبغي للمضيف أن يؤديه له وصيانة لابن السّبيل من أن ينُظر إليه أو ينَظر هو إلى نفسه نظرة المتطفل، بل هو صاحب حق، وهو إذ ينزل بأحد المسلمين فإنما ليستقضي حقه عنده [4].

---

(1)"في ظلال القرآن"– لسيد قطب (160/1).

(2)انظر : "التحرير والتنوير"– لابن عاشور (51/5).

(3)"تفسير المراغي"– للمراغي (56/2).

(4)انظر : "التفسير القرآني للقرآن"– لعبد الكريم يونس الخطيب – (819/5).

وقد جعل الإسلام نصيبًا لابن السّبيل من بيت مال المسلمين صيانة لحقه لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:60).

ذكرت الآية المسافر الذي على هذه الصفة أنّه إنسان في معرض الضياع والهلاك إن لم يجد اليد الرحيمة التّي تمتدّ إليه بالبر والإحسان، فتدفع عنه عادية الجوع التّي تهجم عليه وتريد اغتياله.

وفي جعل بيت المال هو الذي يقوم بهذا الأمر ويتولى رعاية أبناء السّبيل في هذا ضمان موثق لحماية هذه الطائفة، إذ كان بيت المال بموارده الكثيرة أقدر على كفالة هذه الجماعة وتوفير أسباب الحماية لها، ثم هو –من جهة أخرى– صيانة لكرامة الإنسان من أن يمد يده إلى غيره من الناس، أو أن يستشعر أنّه عالة على أحد الأمر الذي عافاه الله منه، فجعل إلى بيت المال كفالة هذا الإنسان والبر به والإحسان إليه [1].

ومن جهة أخرى فإن الإسلام قد نظر نظرة أوسع من هذا، فلم يجعل لبيت المال وحده القيام بهذا الواجب حيال أبناء السّبيل، فقد يكون ابن السّبيل في مكان لا تصل إليه يد بيت المال، وقد يكون بيت المال ولا مال فيه يتسع للوفاء لحاجة المحتاجين من أبناء السّبيل، فمن أجل هذا قد فرض الإسلام على المسلمين جميعًا القيام بهذا الواجب إذا عرض لهم وطلع عليهم أبناء السّبيل [2].

بعد هذا الاستعراض لابن السّبيل نجد أن القرآن الكريم قد اهتم بان السّبيل وأعطاه حقوقه كاملة وحفظ له كرامته في هذا المكان الذي انقطع فيه عن أهله وماله بعد أن كان مكرمًا في أهله وبلده، فالإسلام يحفظ حق الإنسان أينما كان ويكفل له احتياجاته المادية والمعنوية حتّى يرجع سالمًا إلى أهله.

(1)انظر : "جامع البيان" – للطبري (350/14).

(2)انظر : "تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" – لابن باديس (80/1).

المطلب الثّاني: سبيل الأرض.

يعدُّ سبيل الأرض من السّبل الدالة على قدرة الله على خلق الجمادات والتي فيها منفعة لبني آدم حيث سخرها الله لتدل دلالة واضحة على قدرة الله وعظمته، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(النحل:15).

في هذه الآية الكريمة يذكر -ﷻ- النّاس بنعمه عليهم، ومن هذه النّعم أنّه ألقى في الأرض الرواسي الشّامخات والجبال الرّاسيات لتقرّ الأرض ولا تميد ولا تضطرب بما عليها من الحيوان، فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك، فالله جلّ ثناؤه أرسى الأرض بالجبال لئلا يميد خلقه الذّين على ظهرها، بل وقد كانت الأرض كالمائدة قبل أن ترسى بها الجبال[1].

وجعل سبحانه في الأرض أنهارًا تجري من مكان إلى مكان آخر رزقًا للعباد، ينبع في موضع وهو رزق لأهل موضع آخر، فيقطع البقاع والبراري والغفار والقفار ويخترق الجبال والآكام، فيصل إلى البلد الذي سخر لأهله، وهي سائرة في الأرض يمنة ويسرة وجنوبًا وشمالًا وشرقًا وغربًا، ما بين صغار وكبار، وأودية تجري حينًا وتنقطع في وقت، وما بين نبع وجمع وقويّ السير وبطيئه بحسب ما أراد الله وقدر وسخّر ويسّر، فلا إله إلا هو ولا ربّ سواه [2].

وكذلك جعل فيها طرقًا يسلك فيها من بلاد إلى بلاد حتّى أنّه تعالى ليقطع الجبل حتّى يكون ما بينهما ممرًا ومسلكًا، كما قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾(الأنبياء:31)، فالله -ﷻ- جعل لكم أيّها الناس في الأرض سبلًا وفجاجًا تسلكونها وتسيّرون فيها في حوائجكم، وطلب معايشكم رحمة بكم، ونعمة منه بذلك عليكم، ولو عمّاها عليكم لهلكتم ضلالًا وحيرة،فجعله سبحانه لكم هذه السّبل لكي تهتدوا بها فتقصدوا بها الأماكن والمواضع التّي تريدون فلا تضلوا وتتحيروا[3].

---

(1)انظر : "الهداية إلى بلوغ النّهاية" – لمكي بن أبي طالب (3964/6).

(2)انظر : "جامع البيان"– للطبري (182/17–183).

(3)انظر: "تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (564/4–565).

ومن الآيات الدالة على عظيم قدرة الله على تمهيد هذه السّبل قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾ (طه:53).

هذه الآية من تمام كلام موسى –عليه السلام– فيما وصف به ربّه –عز وجل– حين سأله فرعون عنه فقال: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾(طه:50)، ثم اعترض الكلام بين ذلك فقال تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾، فموسى –عليه السلام– يذكر من قدرة الله تعالى ما يتصل بفرعون وأرض مصر فأرض مصر منبسطة وهي واد بين جبلين وعيشها ميسور سهل وهي أرض زراعية يجري نيلها مبسوطًا في ديارها من جنوبها إلى شمالها ممهدة ليست وعرة، فالله –سبحانه وتعالى– جعل لكم الأرض فراشًا لكي تستقروا عليها وتقوموا وتناموا عليها وتسافروا على ظهرها، وأدخل فيها لأجلكم طرقًا وسهلها لكم لتسلكوها وتمشوا في مناكبها، وجعلها لكم ممهدة لينة سهلة وليست وعرة متعثّرة بالأحجار، فهي لأهلها الذّين يعيشون فكهين في نعيمها كما يعيش الطفل في مهده، وهذا كناية عن الراحة والاستقرار [1].

ثم يبين –سبحانه وتعالى– تسهيل الانتقال فيها من مكان إلى آخر في عيشة راضية وأنشأ لكم فيها طرقًا مختلفة مسلوكة، وإن مصر كذلك مبسوطة الأرض فيها الطّرق والوديان حتّى الصحراء يوجد فيها وسط كثبان الرمال المسالك الصحراوية والواحات التّي تعد كالجنات في وسط الصحاري المجدبة[2].

ومن الآيات التّي تدل على خلق الله –سبحانه وتعالى– للسبل الواسعة الفسيحة في أرضه قوله تعالى: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ (نوح:20).

هذا من كلام نوح –عليه السلام– وهو يدعو قومه ويذكّرهم بنعم الله عليهم حيث يقول لهم: إنَّ الله خلق الأرض لكم أيّها الناس لتستقرّوا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها ولتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه، ومن نعمه عليكم أن أوجد لكم هذه الطّرق الواسعة بين الجبال والوديان والسهول، فهي طرق واسعة مختلفة غير ضيقة حتّى يسهل عليكم السفر عبرها[3].

---

(1)انظر : "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية" – للشيخ علوان (514/1).

(2)انظر : "لباب التأويل في معاني التنزيل"– للخازن (306/3).

(3)انظر : "الكشاف"– للزمخشري (619/4) .

فبعد استعراض هذه الآيات الكريمة نجد أن الله –ﷻ– قد خلق الأرض والجبال، وكل ما على وجه هذه الأرض يعدُّ منفعة لهذا الإنسان الذي كرمه الله على كثير من مخلوقاته ويسّر له سبل حياته، فسبيل الأرض هو إحدى هذه الطّرق التّي خلقها الله وسخرها للإنسان، فعلى الإنسان أن يحفظ نعمة الله عليه ويشكره عليها وأن لا يعصيه وأن يطيعه على الدوام.

المطلب الثّالث: سبيل الحوت.

يعدُّ سبيل الحوت من السّبل الدالّة على عظيم قدرة الله وهو آية من آياته، وقد وضع الله لكل شيء سبيلًا سواءً كان في البر أو في البحر، وهنا سنستعرض آية من عجائب قدرة الله في ضربه سبيلًا لكائن عظيم يكون آية ودليلًا ألا وهو الحوت، يقول الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا** ﴾(الكهف:61).

يتضح من خلال السياق الذي وردت فيه هذه الآية الكريمة أن الله –ﷻ– يذكر قصّة موسى –عليه السلام– حين قال لفتاه يوشع بن نون –عليه السلام– : لا أزال سائرًا حتّى أصل إلى المكان الذي فيه مجمع البحرين ولو سرت دهرا من الزمن، ومجمع البحرين هو ملتقى البحر الأحمر بالمحيط الهندي عند باب المندب وهو بحر فارس والروم. فلمّا وصل موسى –عليه السلام– وفتاه مجمع البحرين وهو مكان اللّقاء بالعبد الصالح وهو الخضر –عليه السلام–، وقد أمر الله –ﷻ– موسى –عليه السلام– أن يحمل معه حوتًا مملوحًا، وقيل له: متى فقدت الحوت فهناك ستلقى الخضر –عليه السلام–. وعند وصولهما إلى هناك ناما، وهناك عاد الحوت حيًا وسقط في البحر فاستيقظ يوشع –عليه السلام– ورآه وهو يسقط في البحر، وجعل الحوت يسير في الماء والماء له مثل الطاق أو النفق لا يلتئم بعده أي مثل السّرب في الأرض، وهذه آية وعلامة لموسى –عليه السلام–، فاتّخاذ الحوت سبيله في البحر سربًا كان آية من آيات الله لموسى يعرف بها موعده بدليل عجب فتاه من اتخاذه في البحر طريقًا كالنفق في الجبل. وبغلب النوم على يوشع بن نون – عليه السلام– فينام، فلما استراحا قاما مواصلين سيرهما ونسي الفتى وذهب من نفسه خروج الحوت من الوعاء ودخوله في البحر لغلبة النوم، ولما تجاوز موسى وفتاه يوشع عليهما السّلام مجمع البحرين حيث نسيا الحوت فيه وسارا بقية اليوم والليلة، وفي ضحوة الغد أحس موسى بالجوع طلب من فتاه أن يأتيه بطعام الغداء لما لاقوه من عناء السفر، وهنا يتذكر يوشع ما حصل مع الحوت فيخبر موسى الخبر بأن قال له أرأيت إذ لجأنا إلى الصخرة عند مجمع البحرين فإني نسيت أن أخبرك بما حدث من قصة

الحوت، فإنه اضطرب وعاد حيًا وسقط في البحر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿62﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿63﴾﴾ (الكهف:62-63) [1].

ويذكر -ﷻ- اعتذار فتى موسى على نسيانه أن يذكر ما حدث للحوت وما أنساه ذكر ذلك إلا الشيطان، ونرى تعجب الفتى من اتخاذ الحوت مسلكه في البحر بهذه الطريقة العجيبة[2].

ويذكر أبو زهرة: " إن النسيان هنا بمعنى الترك والذهول، وما كان يحسب أنّه سيتخذ طريقه إلى البحر بهذه الأعجوبة، وما كان يحسب أنّه سيفعل ذلك إذ كان في مكتل أي وعاء فخرج منه وأخذ طريقه إلى البحر"[3].

فسبيل الحوت في البحر آية من آيات الله تظهر قدرة الله على الخلق والبعث، فالله -ﷻ- قادر على إحياء المخلوقات حتّى بعد موتها وبعد أن تصبح عظامها رمادًا ويذهب مع الريح، فله سبحانه الخلق والبعث والقدرة، وليس له فيها منازع.

(1)انظر : "ارشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم" – لأبي السعود (232/5)، "الوسيط" – للزحيلي (1442/2).
(2)انظر : "جامع البيان"– للطبري (60/18)،"تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (174/5)،.
(3)"زهرة التفاسير" (4556/9) .

الفصل الثّاني

ميادين السّبيل في السياق القرآني

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: ميادين الخير.

المبحث الثّاني: ميادين الشر.

المبحث الأوّل: ميادين الخير.

وفيه اثنا عشر مطلبًا:

المطلب الأوّل: القتال في سبيل الله.

المطلب الثّاني: الإنفاق في سبيل الله.

المطلب الثّالث: الجهاد في سبيل الله.

المطلب الرّابع: الهجرة في سبيل الله.

المطلب الخامس: الإصابة في سبيل الله.

المطلب السّادس: الضرب في سبيل الله.

المطلب السّابع: الدّعوة إلى سبيل الله.

المطلب الثّامن: الإيذاء في سبيل الله.

المطلب التّاسع: الإحصار في سبيل الله.

المطلب العاشر: اتّباع سبيل الله.

المطلب الحادي عشر: اتّباع سبيل من أناب.

المطلب الثّاني عشر: الظمأ والنصب والمخمصة في سبيل الله.

المبحث الأوّل: ميادين الخير

تتعدَّدُ ميادين الخير في السياق القرآني لتشمل القتل والإنفاق والجهاد والهجرة والإصابة والضرب والدعوة والإيذاء والإحصار واتّباع سبيل الله واتّباع سبيل من أناب وكذلك الظمأ والنصب والمخمصة، كل ذلك في سبيل الله تعالى والتي ستتناولها الباحثة بالتفصيل خلال المطالب الآتية.

المطلب الأوّل: القتال في سبيل الله.

إنّ القتل في سبيل الله تعالى هو عبادة عظيمة سامية شرعها الله تعالى لعباده حماية لدينهم وأعراضهم وأموالهم، وخصص لذلك أعظم الأجر وجزيل الثواب، فتكاد لا تخلو سورة في القرآن الكريم من الحث على القتال في سبيل الله وبيان ثوابه، يقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الذِّينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة:190).

سبب النّزول:

ذكر الواحدي في كتابه سبب نزول هذه الآية حيث قال: "نزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ رسول اللَّه -ﷺ- لَمَّا صُدَّ عَنِ الْبَيْتِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ نَحَرَ الْهَدْيَ بِالْحُدَيْبِيَةِ، ثُمَّ صَالَحَهُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ عَامَهُ ثُمَّ يَأْتِي الْقَابِلَ عَلَى أَنْ يُخْلُوا لَهُ مَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَيَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، صَالَحَهُمْ -ﷺ-، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ تَجَهَّزَ رسول اللَّه -ﷺ-، هُوَ وَأَصْحَابُهُ لِعُمْرَةِ الْقَضَاءِ، وَخَافُوا أَنْ لَا تَفِيَ لَهُمْ قُرَيْشٌ بِذَلِكَ، وَأَنْ يَصُدُّوهُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَيُقَاتِلُوهُمْ، وَكَرِهَ أَصْحَابُهُ قِتَالَهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فِي الْحَرَمِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الذِّينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ يَعْنِي قُرَيْشًا" [1].

ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله -ﷻ- المؤمنين بالقتال في سبيل طاعة الله وإعلاء كلمته وإعزاز دينه، وكان ذلك بعد الهجرة إلى المدينة لما قوي المسلمون للقتال أمرهم الله به بعدما كانوا مأمورين بكف أيديهم عنه.

---

(1)"أسباب النزول" – (56/1).

وحدد سبحانه للمؤمنين من يقاتلون من المشركين وهم الذّين أعدوا أنفسهم لقتالكم ومناجزتكم وتحققتم منهم سوء النية وفساد الطوية، وهم المكلفون من الرجال غير الشيوخ الذّين لا رأي لهم ولا قتال.

فالآية الكريمة تهييج للمؤمنين وإغراء لهم على قتال أعدائهم بدون تردد أو تلكؤ، وإرشاد لهم إلى أن يجعلوا جهادهم من أجل نصرة الحقّ لا من أجل المطامع أو الشهوات [1].

ونهى سبحانه عن قتل من لا يقاتل من النساء والمجانين والأطفال والرهبان ونحوهم، وكذلك التمثيل بالقتلى وقتل الحيوانات وقطع الأشجار ونحوها بغير مصلحة تعود للمسلمين، ومن الاعتداء مقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوها، ويلحق بهؤلاء المريض والمقعد والأعمى، فهؤلاء يتجنب قتالهم إلا من قامت الشواهد على أن له أثرًا من رأي أو عملٍ في الحرب يؤازر به المحاربين لينتصروا على المجاهدين[2].

ومن الآيات التّي تحث المؤمنين على الجهاد وتهوّن عليهم المصاعب في سبيل حياة العزة والكرامة قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة:246).

في هذه الآية الكريمة يقص –ﷻ– على نبيه محمد –ﷺ– قصة الملأ من بني إسرائيل وهم وجوه بني إسرائيل وأشرافهم ورؤسائهم، وخص الملأ بالذكر لأنهم في العادة هم الذّين يبحثون عن مصالحهم ليتفقوا فيتبعهم غيرهم على ما يرونه، وذلك أنهم أتوا إلى نبي لهم بعدما قبض موسى –عليه السلام– فقالوا له عين لنا ملكًا ليجمع متفرّقنا ويقاوم بنا عدونا ونقاتل معه في سبيل الله، وكان السبب في طلبهم هذا من نبيهم أن اتّباع جالوت كانوا قد أخرجوهم من ديارهم وأنزلوا بهم هزائم شديدة، فطلبوا ذلك كي يستردوا مجدهم الضائع وعزهم المسلوب على يد هذا المختار من جهة نبيهم [3].

---

(1)انظر:"جامع البيان" – للطبري (563/3)، "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" –للنسفي (165/1.

(2)انظر: "تيسير الكريم الرّحمن" – للسعدي (89/1)، "التفسير الوسيط " – للطنطاوي (409/1).

(3)انظر:"تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (665/1).

والقرآن الكريم لم يذكر اسم النبي وجاء بلفظه بصيغة التنكير، وهذا إشارة إلى أن محل العبرة ليس هو شخص النبي وإنما المقصود معرفة حال أولئك القوم وما جرى لهم مع نبيهم من أحداث من شأنها أن تدعو إلى الإعتبار والاتعاظ، وهذه طريقة القرآن في سرد القصص لا يهتم بالأشخاص والأزمان إلا بالقدر الذي يستدعيه المقام، أما الاهتمام الأكبر فيجعله لما اشتملت عليه القصة من وجوه العظات والعبر[1].

ويبدو أن هذا النبي كان يتوجس منهم خيفة لأنّه أعرف بطبيعتهم ويتبين ذلك من خلال سؤاله لهم فأراد أن يستوثق من صحة عزيمتهم على القتال فقال لهم: فهل عسيتم إن أقام الله لكم ملكًا ألا تفوا بما التزمتم من القتال معه فراجعوا أنفسكم وقوتكم قبل أن تطلبوا هذا الطلب لأنه إذا فرض عليكم ثم نكصتم على أعقابكم فإن عاقبتكم ستكون شرًا لا شك في ذلك، فردوا عليه على سبيل الإنكار والتعجب مما قاله نبيهم لهم: وأي صارف يصرفنا عن القتال وقد أخرجنا من ديارنا وحيل بيننا وبين أبنائنا وفلذات قلوبنا فكيف لا نقاتل.

فهم يرون أن الطّريق الوحيد لعزتهم إنّما هو في القتال، وأن هذا الأمر لا مراجعة فيه ولا جدال، وهكذا شأن الجبناء والمغرورين في كل زمان ومكان يرحبون بالمعارك قبل قدومها، فإذا ما جد الجد كذبت أعمالهم أقوالهم وأعطوا أدبارهم لأعدائهم [2].

وبعد ذلك يذكر القرآن الكريم أن نبيهم كان صادقًا فيما توقعه منهم من الجبن والكذب وأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، فحين فرض الله عليهم القتال بعد أن ألحوا في طلبه أعرضوا عنه ونفروا منه إلا عددًا قليلًا منهم فإنه ثبت على الحقّ ووفى بعهده وعصمهم الله وقوى قلوبهم فالتزموا أمر الله ووطنوا أنفسهم على مقارعة أعدائه فحازوا شرف الدّنيا والآخرة، وقد توعد الله الذّين نقضوا عهودهم ونكصوا عن القتال عندما فرض عليهم ولكل من يفعل فعلهم ويسير على طريقهم.

فالله –ﷻ– عليم بالظالمين الذّين يظلمون أنفسهم وأمتهم بترك القتال في سبيله تعالى وبترك ما أمرهم الله به بعد أن عاهدوه على عدم الترك[3].

---

(1)انظر "تيسير الكريم الرّحمن" – للسعدي (107/1).

(2)انظر:"زاد المسير في علم التفسير" – للجوزي (222/1)، "مفاتيح الغيب" – للرازي (501/6).

(3)انظر:"جامع البيان" – للطبري (293/5)، "التفسير الوسيط" – للطنطاوي (565/1).

ومن الآيات التّي يمدح الله –ﷻ– المقاتلين في سبيله قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبصَارِ﴾ (آل عمران:13).

في هذه الآية يخاطب الله –ﷻ– اليهود ويحذرهم ويقول لهم: قد كان لكم أيّها اليهود عبرة عظيمة وعلامة واضحة فيما حصل يوم بدر حيث التقت فرقتان أو جماعتان، جماعة تقاتل في سبيل طاعة الله وهم رسول الله –ﷺ– وأصحابه، وقد كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا، سبعة وسبعون رجلًا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلًا من الأنصار.

وكان صاحب راية النبي –ﷺ– والمبارزين علي بن أبي طالب –ﷺ–، وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة –ﷺ–، وكانت الإبل في جيش النبي –ﷺ– سبعين بعيرًا والخيل فرسين: فرس للمقداد ابن عمر الكندي وفرس لمرثد بن أبي فهد العنزي، وجميع من استشهد من المسلمين يوم بدر أربعة عشر رجلًا من المهاجرين وثمانية من الأنصار[1].

وأما الفئة الأخرى الكافرة فهم مشركو مكة ورأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكانوا تسعمائة وخمسين رجلًا مقاتلًا، وكانت خيلهم مائة فرس.

ومن الملاحظ أن هناك فرق شاسع بين عدد المؤمنين وعدتهم وعدد المشركين وعدتهم، وقد كان المؤمنون يرون كل هذه الكثرة ومع ذلك لم يهابوهم ولم يجبنوا عن لقائهم بل أقدموا على قتالهم بإيمان وشجاعة فرزقهم الله النصر على أعدائهم[2].

يقول الشيخ طنطاوي: "ووصف الله سبحانه الفئة المؤمنة بأنها تقاتل في سبيل الله على سبيل المدح لها والإعلاء من شأنها وبيان الغاية السامية التّي من أجلها قاتلت ومن أجلها تم لها النصر، فهي لم تقاتل من أجل عرض من أعراض الدّنيا وإنما قاتلت لإعلاء كلمة الله ونصرة الحقّ، ووصف الفئة الأخرى بأنها كافرة لأنها لم تؤمن بالحقّ ولم تتبع الطّريق المستقيم بل كفرت بكل ما يصلحها في دينها ودنياها، ولم يصفها بالقتال كما وصف الفئة المؤمنة اسقاطًا لقتال تلك الفئة الكافرة عن درجة

(1)انظر:"لباب التأويل في معاني التنزيل" – للخازن (228/1)، "فتح القدير" – للشوكاني (369/1).
(2)انظر:"مدارك التنزيل وحقائق التأويل" – للنسفي (240/1).

الاعتبار وإيذانًا بأن الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم عند لقائهم للمؤمنين جعلهم بأنهم ليسوا أهلًا لأن يوصفوا بقتال"[1].

وستذكر الباحثة باختصار تأويل القرائتين لكلمة (يَرَوْنَهُم)(تَرَوْنَهُم) وذلك لأهميتها:

فالقراءة الأولى تأويلها: فيرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفًا وعشرين أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم، وأما قراءة ترونهم: أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة أو مثلي أنفسهم، ولا يناقض هذا ما قال في سورة الأنفال ﴿ **وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾ (الأنفال:44)،لأنهم قللوا أولًا في أعينهم حتّى اجترؤا عليهم فلما اجتمعوا كثروا في أعينهم حتّى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالتين مختلفتين، وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية، ولكن هذا التكثير والتقليل واضح وظاهر ومكشوف لا لبس فيه يراه الإنسان بدون أي غموض، وبذلك فقد نصر الله تعالى المؤمنين وأيدهم بنصره فهزموهم وقتلوا صناديدهم وأسروا كثيرًا منهم، وما ذلك إلا لأن الله ناصر من نصره وخاذل من خذله، ففي هذا عبرة لأولي الأبصار وهم أصحاب البصائر النافذة والعقول الكاملة[2].

ويضيف الإمام السعديّ قائلًا: "فالطائفة المنصورة معها الحقّ والأخرى مبطلة، وإلا فلو نظر الناظر إلى مجرد الأسباب الظاهرة والعدد والعدة لجزم بأن غلبة هذه الفئة القليلة لتلك الفئة الكثيرة من أنواع المحالات، ولكن وراء هذا السبب المشاهد بالأبصار سبب أعظم منه لا يدركه إلا أهل البصائر والإيمان بالله والتوكل على الله والثقة بكفايته وهو نصره واعزازه لعباده المؤمنين على أعدائه الكافرين"[3].

ويمدح –ﷻ– المقاتلين في سبيله ويبيّن عظيم ثوابهم بقوله تعالى: ﴿ **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (النساء:74).

---

(1)"التفسير الوسيط" – (42/2).

(2)انظر:"التفسير القرآني للقرآن" – لعبد الكريم يونس الخطيب (412/2).

(3)"تيسير الكريم الرّحمن" – (123/1).

في هذه الآية يحثُّ –ﷻ– المؤمنين على القتال ويقول لهم: فليتقدم للقتال الذّين لا ينظرون إلى مغنم يبتغونه ولا مال يريدونه وإنما يبيعون الحياة الدّنيا ومتعها وشهواتها ويطلبون ثمنًا وهو الآخرة وما فيها من جنات وعيون ونعيم ثابت ومعها رضوان الله تعالى، وسبيل الله التّي يجب القتال فيها هي سبيل الحقّ وإعلاء دينه وجعل كلمة الله هي العليا.

فهؤلاء يبيعون أنفسهم لله،والذي يبيع نفسه لله ليفتدي الحقّ وأهله له جزاؤه وأجره العظيم، فإن حاد الذّين مرضت قلوبهم وضعفت نيتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون[1].

ويقول طنطاوي: " وإنما اقتصر سبحانه على بيان حالتين بالنسبة للمقاتل وهي حالة الاستشهاد وحالة الغلبة على العدو، للإشعار بأن المجاهد الصادق لا يبغى من جهاده إلا هاتين الحالتين، فهو قد وطن نفسه حالة جهاده على الاستشهاد أو على الانتصار على أعداء الله، ومتى وطّن نفسه على ذلك ثبت في قتاله، وأخلص في جهاده، وقد قدّم– سبحانه– القتل على الغلب، للإيذان بأن حرص المجاهد المخلص على الاستشهاد في سبيل الله، أشد من حرصه على الغلب والنصر، والتعبير بسوف في قوله ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لتأكيد الحصول على الأجر العظيم في المستقبل"[2].

ومن يتقدم للقتال في سبيل الحقّ وطالبًا رضاه سبحانه فإن قتل واستشهد في سبيل الله أو غلب وانتصر بتأييد الله تعالى له ونال السلطان من الله بالغلب فهو في كلتا الحالين سينال جزاءً عظيمًا، ولا ينال هذا الجزاء إلا من خرج مجاهدًا في سبيل الحقّ لا يبتغي غير رضى الله ولا يبغي علوًا في الأرض ولا تفاخرًا[3].

ويحثّ –ﷻ– المؤمنين على القتال في سبيله للذود عن إخوانهم المؤمنين المستضعفين فيقول تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الذّين يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ (النساء:75).

---

(1)انظر: "الهداية إلى بلوغ النهاية" – لمكي بن أبي طالب (1386/2)، "مفاتيح الغيب" – للرازي (140/10).
(2)"التفسير الوسيط" – (218/2).
(3)انظر:"أضواء البيان" – للشنقيطي (246/1).

في هذه الآية يحرّض سبحانه المؤمنين على القتال بأبلغ أسلوب كما هو واضح في الآية الكريمة فيخاطب الله المؤمنين المأمورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتأكيدًا لوجوبه وإنكارًا عليهم في تركه مع توفر دواعيه، فالمعنى: أي شيء جعلكم غير مقاتلين فعدم قتالكم لأعدائكم يتنافى مع إيمانكم، أما الذي يتناسب مع إيمانكم وطاعتكم لله هو أن تقاتلوا من أجل إعلاء كلمة الله ومن أجل المستضعفين من الرجال الذّين صدّهم المشركون عن الهجرة، ومن النساء اللائي لا يملكن حولًا ولا قوة، ومن الولدان الصغار الذّين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، وهؤلاء المستضعفين هم الذّين بقوا في مكة بعد هجرة الرّسول -ﷺ- إلى المدينة لعدم قدرتهم على الهجرة أو لمنع المشركين إياهم من الخروج[1]، فيدعو سبحانه إلى القتال في سبيله ولتخليص هؤلاء المستضعفين من ظلم المشركين لهم، وقد خصهم الله بالذكر مع أن القتال في سبيل الله يشملهم لمزيد من العناية بشأنهم للتحريض على القتال بحكم الشرف والمروءة بعد التحريض عليه بحكم الدّين والتقرب إلى الله تعالى، لأن مروءة الإنسان الكريم تحمله على نصرة الضعيف ومنع الاعتداء عليه، فهذا أقوى تحريض على الجهاد وأعظم وسيلة لإثارة الحماس والنخوة من أجل القتال لأنهم إذا تركوا هؤلاء المستضعفين أذلاء في أيدي المشركين فإنهم سيعيرون بهم وهذا ما يأباه كل شريف كريم[2].

وهؤلاء المستضعفين ما انفكوا يتضرعون إلى الله قائلين يا ربنا أخرجنا من هذه القرية التّي ظلمنا أهلها بسبب شركهم وكفرهم وسخر لنا من عندك حافظًا يحفظ علينا ديننا وناصرًا يدفع عنا أذى أعدائنا، فأنت الذي لا يُذل من استجار به ولا يضعف من كنت نصيره ووليه[3].

ويأمر الله -ﷻ- رسوله -ﷺ- بتحريضه المؤمنين على القتال لقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ (النساء:84).

ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله -ﷻ- نبيه محمدًا -ﷺ- بألا يترك جهاد العدو حتّى ولو كان وحده وترك منفردًا لا أحد معه فإن معية الله خير وأبقى فهو الذي أمره بالقتال وهو الذي تكفل بنصره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر:51)، فالخطاب هنا

(1)انظر:"فتح البيان في مقاصد القرآن" – لأبي الطّيب القنوجي (178/3).

(2)انظر: "التفسير المنير" – للزحيلي (150/5).

(3)انظر:"الموسوعة القرآنية " – لإبراهيم بن اسماعيل الأبياري (321/9)، "صفوة التفاسير" – للصابوني (266/1).

لسيدنا محمد –ﷺ– ولأمته: أي أنت يا محمد وكل واحد من أمتك وكل إنسان ليس مكلفًا إلا عن نفسه، فإن تقدم نفسك للجهاد فإن الله هو ناصرك وليس الجنود، فإن شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الألوف من الجند، فلا تنظر إلى تباطؤ المتابطئين أو تخذيل المتخاذلين، فالنصر أولًا وأخيرًا من عند الله، وليس عليك بالنسبة للمؤمنين إلا التحريض وأمرهم دون تعنيف[1].

"وقد دلت الآية على أنّه –ﷺ– كان أشجع الخلق وأعرفهم بكيفية القتال، لأنه تعالى ما كان يأمره بذلك إلا وهو –ﷺ– موصوف بهذه الصفات، ولقد اقتدى أبو بكر –رضي الله عنه– به، حيث حاول الخروج وحده إلى قتال مانعي الزكاة، ومن علم أن الأمر كله بيد الله وأنه لا يحصل أمر من الأمور إلا بقضاء الله إلا سهل ذلك عليه" [2].

وكذلك يأمر الله –ﷻ– نبيه الكريم بحث المؤمنين على القتال وترغيبهم فيه حتّى ينفروا معه خفافًا وثقالًا من أجل نصرة الحقّ والدفاع عن المظلومين.

فالله سبحانه يأمر رسوله –ﷺ– بالقتال في سبيله وتحريض المؤمنين على ذلك فعسى الله أن يمنع قتال الكافرين وصولتهم وطغيانهم، فالله سبحانه أشد صولة وأعظم سلطانًا وأقدر بأسًا وأشد عقوبة وتعذيبًا، فبأس الكافرين والمشركين لا قيمة له بجانب بأس الله تعالى وقدرته ونفاذ أمره، وعذابهم لغيرهم من الضعفاء لا وزن له بجانب عذابه سبحانه للظالمين، لأن عذابهم لغيرهم يمكن التخلص منه، أما عذابه سبحانه فلا يمكن التخلص منه، ولأن عذابهم لغيرهم سينتهي مهما طال، أما عذابه سبحانه للكافرين الظالمين فهو دائم لا ينتهي ولا يزول، وبهذا التذييل تهديد للكافرين لسوء المصير وتشجيع للمؤمنين على قتالهم وبشارتهم بالنصر عليه[3].

ويبين –ﷻ– أجر المقاتلين في سبيله حيث يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:111).

---

(1)انظر:"تفسير ابن عرفة" – لابن عرفة (42/2)

(2)"مفاتيح الغيب" – للرازي (157/10).

(3)انظر:"بحر العلوم" – للسمرقندي (322/1)، "زاد المسير في علم التفسير" – للجوزي (440/1).

سبب النّزول:

ذكر الواحدي في كتابه سبب نزول هذه الآية حيث يقول: "نزلت هذه الآية في البيعة الثانية وهي بيعة العقبة الكبرى، وهي التّي أناف فيها رجال الأنصار على السبعين، وذلك أنهم اجتمعوا إلى رسول الله –ﷺ– عند العقبة، فقال عبد الله بن رواحة –رضي الله عنه– للرسول –ﷺ– : اشترط لربك ونفسك ما شئت، فقال النبي –ﷺ– :**(أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم)**، قالوا: فإذا فعلنا فما لنا؟ قال:**(لكم الجنّة)**، قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل. فنزلت الآية"[1].

ففي هذه الآية يخبر الله سبحانه خبرًا صادقًا ويعد وعدًا حقًا بمبايعة عظيمة ومفاوضة جسيمة، فقد صور سبحانه جهاد المؤمنين وبذل أموالهم وأنفسهم فيه وإثابته سبحانه لهم على ذلك بالجنة صور كل ذلك بالبيع والشراء، فالله تعالى وهو المالك لكل شيء قد اشترى من المجاهدين أنفسهم وأموالهم التّي بذلوها في سبيله وأعطاهم في مقابل ذلك الجنّة[2].

وقد أمرنا الرسول –ﷺ– بالجهاد، فعن أنس –رضي الله عنه– عن النبي –ﷺ– قال: "**جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم**" [3].

"وقد عبر سبحانه عن قبوله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التّي بذلوها في سبيله وإثابته إياهم بمقابلتها الجنّة بالشراء، ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد: أنفس المؤمنين وأموالهم، والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنّة. ولم يجعل الأمر على العكس بأن يقال إن الله باع الجنّة للمؤمنين بأنفسهم وأموالهم ليدل على أن المقصد في العقد هو الجنّة، وما بذله المؤمنون من الأنفس والأموال وسيلة إليها إيذانًا لتعليق كمال العناية بهم وبأموالهم، وإنه لم يقل للجنة وقال بأن لهم الجنّة مبالغة في تقرر وصول الثمن إليهم واختصاصه بهم، فكأنه قيل: للجنة الثابتة لهم المختصة بهم"[4].

---

(1)"أسباب النزول" – (266/1).

(2)انظر:"التفسير الوسيط" – للزحيلي (921/1).

(3)أخرجه النسائي في سننه في كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد حديث رقم(3096)، (7/6) صححه الألباني.

(4)"التفسير الوسيط" – لطنطاوي (409/6).

وكذلك يبين سبحانه الوسيلة التّي توصل المؤمنين إلى الجنّة وهي القتال في سبيل الله، فالقتال في سبيل الله من آثار العقد المبرم بين الله تعالى والمؤمنين، "فالمقاتلة لا تكون في سبيل الله تعالى إلا بشرطين:

أولهما: إخلاص النية: فلا يقاتل لذات الغلب أو الفروسية، إنّما يقاتل لتكون كلمة الله تعالى هي العليا، فالمقاتلة لغير ذلك لا يكون قتالًا في سبيل الله.

و**ثانيهما:** أن يدخل غير مستبق لنفسه: كما كان يفعل المجاهدون الأولون أمثال حمزة وعلي والزبير الذّين يدخلون المعركة فلا يدرون أيقعون على الموت أم يقع الموت عليهم"[1].

فهؤلاء المقاتلون إذا دخلوا في القتال رضوا بمرارته وإرادة النصر وأن تكون إرادة الله هي العليا فيقتلون الكفار في سبيل الله ويُقتلون هم في هذا ولا يحسبون أنهم يخسرون في الحالين: فإن قتلوهم فذلك سبيل النصر، وإن قتلوا سارعوا إلى قبض الثمن في الصفقة التّي عقدوها مع ربّهم، وقد أكد سبحانه أن وعده حقٌّ لا يتخلف لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد، وإذا كنتم قد قدمتم ما عندكم فإن الله تعالى مقدم ما وعدكم [2].

وذكر سبحانه أن جهادكم أيّها المؤمنون مذكور في التوراة والإنجيل والقرآن كما قال تعالى: ﴿ **الذّين يَتَّبِعُونَ الرّسول النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الّتي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (الأعراف:157)، فهذا النص يدلّ على أن الجهاد واجب لأنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدل على أن الذّين آمنوا عليهم أن يعزروه ويؤازروه وينصروه، ولأن الجهاد من اتّباع النور الذي جاء به، وأكد –ﷻ– أنّه لا أحد أوفى بعهده منه،لأنه إذا كان خلف الوعد لا يكاد يصدر من كرام الخلق مع إمكان صدوره منهم، فكيف يكون الحال من جانب الخالق –ﷻ– المنزه عن كل نقص، المتصف بكل كمال.

---

(1)"زهرة التفاسير" – لأبي زهرة (3453/7).

(2)انظر: "المنتخب في تفسير القرآن" – لجنة من علماء الآزهر (280/1).

وإذا كان الأمر كذلك فافرحوا ببيعكم الذي بايعتم به غاية الفرح وارضوا به نهاية الرضا، فإن ذلك البيع هو الفوز العظيم الذي لا فوز أعظم منه[1].

ويقول طنطاوي: "قال بعض العلماء: ولا ترى ترغيبًا في الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية لأنه أبرزه في صورة عقد عقده ربّ العزة، وثمنه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط، بل إذا كانوا قاتلين أيضًا لإعلاء كلمته ونصر دينه، وجعله مسجلًا في الكتب السماوية، وناهيك به من صكٍّ، وجعل وعده حقًا، ولا أحد أوفى من وعده، وأشار إلى ما فيه من الفوز والربح العظيم.....ويروى عن الحسن البصري[2] أنّه قرأ هذه الآية فقال: انظروا إلى كرم الله تعالى، أنفس هو خالقها وأموال هو رازقها، ثم يكافئنا عليها متى بذلناها في سبيله بالجنة"[3].

ومن الآيات التّي تبين عوامل نصرة المقاتلين في سبيل الله وأنهم يجب أن يكونوا يدًا واحدة وعلى قلب رجل واحد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الذّين يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (الصف:4).

في هذه الآية الكريمة يحثُّ الله –ﷻ– عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله وأنه ينبغي لهم أن يصفوا في الجهاد صفًا متراصًا متساويًا من غير خلل يقع في الصفوف، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب، به تحصل المساواة بين المجاهدين والتعاضد وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضًا، ولهذا كان النبي –ﷺ– إذا حضر القتال صف أصحابه ورتبهم في مواقعهم بحيث لا يحصل اتكال

(1)انظر:"التفسير الواضح" – لمحمد محمود حجازي (772/1).

(2)الحسن البصري: الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، ولد سنة 21هـ، تابعي كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، شب في كنف علي بن أبي طالب –ﷺ– وكان لا يخاف في الحقّ لومة، وكان في غاية الفصاحة، وله مع الحجاج بن يوسف مواقف وقد سلم من أذاه، وله كلمات سائرة وكتاب في فضائل مكة، توفي بالبصرة سنة 110هـ.(انظر: "الأعلام" – للزركلي (225,226/2).

(3)"التفسير الوسيط" – (411/6)

بعضهم على بعض، بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها وقائمة بوظيفتها، وبهذه الطريقة تتم الأعمال ويحصل الكمال [1].

"فالذين يواجهون الإسلام يواجهونه بقوى جماعية ويؤلبون عليه تجمعات ضخمة، فلا بدّ لجنود الإسلام أن يواجهوا أعداءه صفًا سويًا منتظمًا، وصفًا متينًا راسخًا..... وهذه الصورة التّي يحبها الله للمؤمنين ترسم لهم طبيعة دينهم وتوضح لهم معالم الطّريق وتكشف لهم عن طبيعة التضامن الوثيق، فهو بنيان تتعاون لبناته وتتماسك وتؤدي كل لبنة دورها وتسد ثغرتها، لأن البنيان كله ينهار إذا تخلت منه لبنة عن مكانها تأخرت أو تقدمت سواء"[2].

بعد هذا الاستعراض لآيات القتل في سبيل الله، نجد أنّه لا يسمى كل قتل في سبيل الله، فالقتل في سبيل الله يكون فقط عند إخلاص النية لله وفي سبيل إعلاء كلمته ونصرة دينه ومساندة نبيه في نشر دعوته الحنيفية السمحة.

المطلب الثّاني: الإنفاق في سبيل الله.

يعدُّ الإنفاق في سبيل الله تعالى من الأمور التّي تقرب العبد المؤمن من ربّه، ومن الأمور التّي حثّ عليها الإسلام ودعا إليها في كثير من الآيات مما يؤكد على أهمية الإنفاق في سبيل الله تعالى وفوائده العائدة على الفرد والمجتمع وكذلك الجزاء الأخروي والرضا من الله تعالى فقد حثّ الإسلام على الإنفاق وأمر الله به فقال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة:195).

ذكر المزيني سبب نزول هذه الآية فقال: "عن أسلم أبي عمران قال: غزونا القسطنطينية وعلى الجماعة عبد الرّحمن بن الوليد، والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتّى دخل فيهم، فقال النّاس: مَهٍ مَهْ، لا إله إلا الله يلقي بيديه إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري –رضي الله عنه–: سبحان الله! إنكم لتأولون هذه الآية هذا التأويل، نزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار لما نصر الله نبيّه –ﷺ– وأظهر دينه قلنا: هلمّ نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله –عز وجل–:﴿

(1)انظر: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" – للشنقيطي (106/8)، "التحرير والتنوير" – لابن عاشور (176/28).

(2)"في ظلال القرآن" – لسيد قطب (3555/6).

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، والإلقاء باليد إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد. فلم يزل أبو أيوب مجاهدًا في سبيل الله حتّى دفن في القسطنطينية فقبره هناك" [1].

في هذه الآية يأمر الله –ﷻ– المؤمنين بالإنفاق في سبيل طاعة الله وإعلاء كلمته ونصرة دينه، وذلك أنهم لما أُمروا بقتال عدوهم في الآيات السابقة لهذه الآية وكان العدو أوفر منهم عدة وعتادًا، أمرهم –ﷻ– بإنفاق الأموال في سبيل الله وعدم الإمساك عنه سواء في الجهاد وغيره، فأمْره –ﷻ– بالإنفاق في سبيله لأن كثيرًا من المسلمين الفقراء كانوا يرغبون في الجهاد في سبيل الله والذود عن منهج الله ورواية العقيدة، ولكنهم لم يكونوا يجدوا ما يزودون به أنفسهم ولا ما يتجهزون به من عدة الحرب ومركبه، وكانوا يجيئون إلى النبي –ﷺ– يطلبون أن يحملهم إلى ميدان المعركة البعيد الذي لا يبلغ على الأقدام، فإذا لم يجد ما يحملهم عليه﴿ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ (التوبة:92)، كما حكى عنهم القرآن، فلهذا كثرت التوجيهات القرآنية والنبوية إلى الإنفاق في سبيل الله والإنفاق لتجهيز الغزاة[2].

وفي هذه الآية يشير –ﷻ– إلى أمر مهم وهو كما ذكر الرازي "ربما كان ذو المال عاجزًا عن القتال وكان الشجاع قادرًا على القتال فقيرًا عديم المال، فلهذا أمر الله تعالى الأغنياء بأن ينفقوا على الفقراء الذّين يقدرون على القتال"[3] وبذلك ينالهم الأجر والثواب. وقرن سبحانه الإنفاق بقوله ﴿فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾، وذلك لأنَّ المال مال الله فيجب إنفاقه في سبيل الله، ولأن المؤمن إذا سمع ذكر الله اهتز ونشط فيسهل عليه إنفاق المال، والله –ﷻ– لما أمر بالإنفاق في سبيله نهى أن ينفق المسلم كل ماله، فإن إنفاق كل المال يفضي إلى التهلكة عند الحاجة الشديدة إلى المأكول والمشروب والملبوس، فكان المراد منه كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان:67) وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾(الإسراء:29)، وينهى –

(1)"المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة" – (246/1).
(2)انظر:"جامع البيان" – للطبري (585/3)
(3)"مفاتيح الغيب" (295/5)

ﷻ- عن عدم الإنفاق لأن فيه تهلكة، ويكون الإلقاء باليد إلى التهلكة في الإقامة في الأموال وإصلاحها وترك الإنفاق والجهاد في سبيل الله، فالإمساك عن الإنفاق هو تهلكة للنفس بالشح، وتهلكة للجماعة بالعجز والضعف، وترك الجهاد والغزو فيه تقوية للعدو وهلاك للمسلمين، فإن هذا العدو المتربص بهم إذا رآهم قعدوا عن الجهاد غزاهم وقاتلهم وانتصر عليهم فهلكوا، ويأمر الله المؤمنين بأن يرتقوا إلى أعلى مراتب الإيمان وهي الإحسان، فإن النفس إذا وصلت إلى هذه المرتبة فإنها تفعل الطاعات كلها وتنتهي عن المعاصي كلها وتراقب الله في الصغيرة والكبيرة وفي السر والعلن على السواء، فإنهم إن وصلوا إلى هذه المرتبة فإنّه سيكون مؤيدهم وناصرهم على أعدائهم، ومن أحبه الله أكرمه ونصره وما أهانه وما خذله[1].

ومن الآيات التّي تحث على الإنفاق في سبيل الله قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الذِّين أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (الحديد:10).

في هذه الآية يقول -ﷻ- للمؤمنين في أي شيء تتركون أيّها المؤمنون الإنفاق في سبيل الله الذي يقربكم منه وهو ماله في الحقّيقة، والحال أنّه لا يبقى لكم شيء منها بل يبقى كله لله تعالى، فأنتم ميتون تاركون أموالكم لغيركم فالأولى أن تنفقوها فيما يقربكم إلى الله تعالى وتستحقون به الثواب والمدح ورضا الله -ﷻ- فإنه يا معشر المسلمين لا يستوي منكم عند الله في الفضل من أنفق من قبل فتح مكة وقاتل أعداء الله مع رسوله -ﷺ- وذلك قبل عزة الإسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجًا، ومن أنفق وقاتل بعد فتح مكة وقوة الإسلام[2].

وقال الخازن: " إن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- لأنه أول من أسلم وأول من أنفق ماله في سبيل الله"[3].

(1)انظر:"تفسيرالقرآن العظيم" – لابن كثير (529/1)، "في ظلال القرآن" –لسيد قطب (192/1).
(2)انظر:"الجامع لأحكام القرآن" – للقرطبي (241/17)، "التسهيل لعلوم التنزيل" –لابن جزي (344/2).
(3)"لباب التأويل في معاني التنزيل" – (247/4).

فهؤلاء الذّين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار هم الذّين نالوا المشقة أكثر مما نال من بعدهم، فهم أعظم درجة عند الله من الذّين أنفقوا بعد الفتح، ولكن كلا الفريقين المتقدمون السابقون والمتأخرون اللاحقون لهم الثواب الحسن والجزاء الوافر وهي الجنّة مع تفاوت الدرجات والله يعلم كل شيء فيجازيكم على قدر أعمالكم[1].

ومن الآيات التّي تبين جزاء المنفقين في سبيل الله وما أعد الله لهم من الأجر والثواب المضاعف قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الذِّينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة:261).

ففي هذه الآية مثل ضربه الله –ﷻ– لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فيقول الحقّ سبحانه: إنّ مثل هؤلاء المؤمنين الذّين ينفقون أموالهم في جهاد أعداء الله بأنفسهم وأموالهم كمثل حبة من حبات الحنطة أو الشعير أوغير ذلك من نبات الأرض الذي يزرعه ابن آدم ويكون منه قوتهم وأكثر ما يكون في البُر[2].

ويقول ابن كثير في هذه الآية: "وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله –ﷻ– لأصحابها كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة، وقد ورد في السنة النبوية تضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف حيث قال ابن مسعود –ﷺ–أن رجلًا تصدق بناقة مخطومة في سبيل الله، فقال رسول الله –ﷺ– : **(لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة[3])**[4] "[5].

---

(1)انظر:"مدارك التنزيل وحقائق التأويل" – للنسفي (434/3)، "محاسن التأويل"– للقاسمي (142/9).

(2)انظر:"جامع البيان" – للطبري (513/5).

(3)معنى مخطومة: أى فيها خطام وهو قريب من الزمام، والخطام: حبل يجعل في طرفه حلقة ثم يقلد البعير ثم يثنى على مخطمه، حيث يتم حز أنف البعير حزًا غير عميق ليوضع عليه الخطام. (انظر: "لسان العرب" – لابن منظور (106/5).

(4)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها، حديث رقم(1892)، (1505/3).

(5)"تفسيرالقرآن العظيم" –(692/1).

فقد شبه الله -ﷻ- الصدقة التّي تنفق في سبيل الله بحبة تلقى في الأرض فتخرج عودًا مستويًا قائمًا تتعلق به سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، أي أنّه يتولد عن هذه الحبة التّي باركها خالق الحب والنوى سبعمائة حبة، فالإنسان المنفق يكافئه الله تعالى على إنفاقه بتلك المكافئة السخية فهو سبحانه المعطي الوهاب، والله -ﷻ- يضاعف أجر الصدقة لمن يشاء من خلقه بحسب إخلاصه في عمله فالله واسع الفضل كثير العطاء لمن أحسن من خلقه عليم بمن يستحق ومن لا يستحق. [1]

فالصدقة لا تنقص المال بل تزيده إلى سبعمائة ضعف لقول النّبي -ﷺ- : **(ما نقصت صدقة من مالٍ)** [2].

ويقول أبو زهرة: "إن الصدقة في سبيل الله تنتج سبعمائة مثل لها لا من حيث الثواب الذي يناله المنفق ممن يملك الثواب فقط بل من حيث النتائج التّي تنتج عنها، فإن نتائج الإنفاق في سبيل الله عظيمة تعود على الأمة بسبعمائة مثل لهذه الصدقة أو تزيد، فإن الإنفاق في سبيل الحرب لإعداد العدة يدفع كيد الأعداء فتنجو الأمة، وفي نتاجتها خير كثير هو أكثر من سبعمائة ضعف من المال الذي أنفق، ومن يعط يتيمًا ويدر عليه من ماله فإنه يربيه، فتكون منه قوة عاملة في الأمة، تأتي من وجوه الخير بأضعاف ما أنفقت في تربيته، ودفع شرًا خطيرًا وهو أن يكون ذلك اليتيم إن لم يتعهد بالتربية الصالحة عنصر تخريب في الأمة، ومن ينشيء مستشفى فإنما يدفع أدواء تعوق القدرة الإنسانية فلا تنتج، فإذا حمى هذه القدرة فقد قدم للجماعة خيرًا كثيرًا لهذا الإنتاج"[3].

ويبشر الله تعالى المنفقين في سبيله الذّين لا يتبعون ما أنفقوه منًا ولا أذىً على من تصدقوا عليهم فيبشرهم بالأجر والثواب وذلك في قوله تعالى: ﴿**الذّين يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِم وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (البقرة:262).

---

(1)انظر: "تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (694/1)

(2)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة، باب استحباب العطف والتواضع، حديث رقم(2588)، (ص1002).

(3)"زهرة التفاسير" (972/2).

ففي هذه الآية يمدح الله تعالى الذّين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منًا على من أعطوه، فلا يمنون على أحد بقولٍ ولا بفعلٍ، ولا يفعلون مع من أحسنوا إليهم مكروهًا يحبطون به ما سلف من الإحسان.

"فالمنفق لا يستحقّ ثواب الإنفاق إلا إذا كان طيب النفس في عطائه فلا يكون منه أذى ولا رياء، فالصدقة تنتج آثارها في الجماعة مهما تكن نية صاحبها، ولكن صاحبها لا ينال أجر المنفق إلا إذا خلصت نفسه من هذه العناصرالثلاثة: المن والأذى والرياء، فإن النتائج للأعمال وأما الثواب فللنيات"[1].

فهؤلاء المؤمنون الموحدون المنفقون في سبيل الله المخلصو النية لله تعالى في إنفاقهم ولا يمنون على أحد من خلق الله في صدقتهم لهم، وعدهم الله –ﷻ– بالجزاء الحسن والمكافئة لهم على أعمالهم وأنهم لا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة ولا يحزنون على ما خلفوه من الأولاد وما فاتهم من الحياة الدّنيا وزهرتها، فلا يأسفون على كل هذا، فهم قد صاروا إلى ما هو خير من ذلك، فالسعادة تكون في الآخرة وأما الخوف والحزن فهي في الدّنيا فأبدلهم الله محلها الأمن والسرور[2].

ومن الآيات التّي تذم الذّين يدعون إلى الإنفاق في سبيل الله ولا يستجيبون لأمر الله ورسوله ويبخلون أن ينفقوا من مال الله في سبيله قوله تعالى: ﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد:38).

في هذه الآية يخاطب الله المؤمنين ويقول لهم: ها أنتم أيّها المؤمنون تدعون لتنفقوا جزءًا من أموالكم في سبيل طاعة الله وفي الجهاد والزكاة وطرق الخير، لا كل أموالكم لما يعلم الله تعالى من شح النفس بالمال، ومع ذلك فإن منكم من يبخل بالإنفاق فوصفه الله تعالى بالبخيل لأنه إنّما قد بخل على نفسه في منعها الأجر والثواب وكسبها الوزر والإثم، والله –ﷻ– غني عنكم لا يحضكم على

(1)"زهرة التفاسير" –لأبي زهرة (975/2).

(2)انظر:"مفاتيح الغيب" – للرازي (40/7).

النفقة لحاجته إليها ولكن لحاجتكم أنتم إليها إذ بها تزكُّوا أنفسكم وتقوِّموا أموركم وتنتصروا على عدوكم، وإن توليتم ورجعتم عن الإسلام إلى الكفر والعياذ بالله يستبدل الله بكم قومًا غيركم ويذهبكم ويأت بآخرين ثم لا يكونوا أمثالكم بل يكونوا أطوع إلى الله تعالى منكم وأسرع امتثالًا لما يطلب منهم.

وحاشاهم أن يتولوا وما تولوا ولا استبدل الله تعالى بهم غيرهم، وإنما هذا من باب حثهم على معالى الأمور والأخذ بعزائمها نظرًا لمكانتهم من هذه الأمة فهم أشرفها وأكملها وأطوعها لله وأحبها له ولرسوله –ﷺ–[1].

بعد هذا الإستعراض للآيات الداعية إلى الإنفاق في سبيل الله يتبين لنا أن الإنفاق في سبيل الله من الأعمال التّي يتحقق بها الترابط بين أفراد المجتمع، وبه يقوى على عدوه، كما ويتحقق به التكافل والتآلف بين الأفراد والجماعات، بالإضافة إلى ذلك كله ينمو به المال وتتضاعف الأجور والحسنات ويجني المؤمن في الحياة الدّنيا مرضاة ربّه وفي الآخرة جنّة مولاه.

المطلب الثّالث: الجهاد في سبيل الله.

إنَّ أمر الجهاد عند الله عجيب، وما أُعدّ للمجاهدين أعجب من العجب، فمن هو هذا المجاهد ولماذا نال هذه المنزلة؟ هو ذلك المؤمن الذي يقاتل تحت راية إسلامية ظاهرة فيقتله أعداء الله أو يموت في خضم الرحلة الجهادية فهو في سبيل الله، والآيات التّي تدعو إلى الجهاد في سبيل الله وعدم القعود عنه أو تركه كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾(النساء:95).

مضت سنة القرآن في مزج آيات الأحكام العملية بما يرغّب في الأعمال الصالحة وينشّط عليها ويحفّز الهمم إليها وينفّر من القعود عنها والتكاسل والتواكل فيها، وعلى هذه السنّة جاءت هذه الآية ففيها يبيّن –ﷻ– التفاوت بين درجات من قعد عن الجهاد من غير عذر ودرجات من جاهد في سبيل الله بماله ونفسه وإن كان معلومًا، لكن أراد سبحانه بهذا الإخبار تنشيط المجاهدين ليرغبوا،

(1)انظر:"الجامع لأحكام القرآن" – للقرطبي (258/16)،"محاسن التأويل"– للقاسمي (480/8)،"أيسر التفاسير" – للجزائري (91/5–92)، .

وتبكيت القاعدين ليأنفوا، نحو قوله تعالى:﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذّين يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر:9)، فهو تحريك لطالب العلم وتوبيخ على الرضا بالجهل.

فهنا يبيّن سبحانه أنّه لا يستوي الذّين قعدوا عن الجهاد لإعلاء كلمة الحقّ ولم يخرجوا مناصرين له بأنفسهم وأموالهم مع الذّين قعدوا عن ذلك من غير ضرر ملائم لهم كمرضٍ مزمنٍ أو عمىً أو شللٍ، أو الذّين لا يجدون ما ينفقون منه في إعداد العدة ولا يوجد من يقدم لهم السيف والزاد والراحلة [1].

وقد بيّن الله تعالى أولي الضرر في قوله تعالى: ﴿لَّيسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الذّين لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿ 91 ﴾ وَلاَ عَلَى الذّين إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴿ 92 ﴾﴾(التوبة:91,92)، فلا يكون القاعدون عن الجهاد بأموالهم بخلًا بها وحرصًا عليها، وبأنفسهم إيثارًا للراحة والنّعيم على التعب وركوب الصعاب في القتال، مساوين للمجاهدين الذّين يبذلون أموالهم في استعدادهم للجهاد بالسلاح والخيل والمؤنة، ويبذلون أنفسهم بتعريضها للقتل في سبيل الحقّ لأجل منع القتل في سبيل الطّاغوت، لأن المجاهدين هم الذّين يحمون أمّتهم وبلادهم، والقاعدون الذّين لا يأخذون حذرهم ولا يعدُّون للدفاع عدتهم، يكونوا عرضة لتعدّي غيرهم عليهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأرض﴾ (البقرة:251)، أي بغلبة أهل الطّاغوت عليها، ولكن النكوص عن الجهاد لا يكون مذمة ولا بخلًا إلا مع القدرة، أما مع العجز والضرر كالعمى والزمانة والمرض فلا تبعة فيه حينئذ.

ونجد في هذا النص القرآني الكريم أن الخلاص مع الاستعداد وعدم القدرة على التنفيذ قد يغني عن الجهاد أو على الأقل يسقط المؤاخذة [2].

---

(1) انظر: "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية" – للشيخ علوان (165/1).

(2) انظر: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" – للبقاعي (371/5).

يقول أبو زهرة: "في هذه الآية إشارة إلى أن الجهاد بالمال جهاد، وأن القعود نوعان: **أولهما:** قعود مادي حسي: بمعنى أن لا يخرج من الدار والعدو متأهب لمنازلة أهل الإسلام أو غزوهم في عقر دارهم، وما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا كما قال فارس الإسلام عليّ -رضي الله عنه-، **والثاني:** قعود عن البذل والانفاق في سبيل الحرب، وهذا قعود عن الجهاد بالمال وهو لا يقل خطرًا عن القعود والعدو قد أخذ الأهبة.

ولذلك فقد عدّ القرآن الكريم البخل في هذه الحالة مؤدياً إلى التهلكة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(البقرة:195).

ولا شك أنّ أكمل الجهاد ما كان بالمال والنفس، كما هو الشأن في جهاد كثير من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعبد الرّحمن بن عوف وغيرهم من كبار الصحابة الذّين كان لهم مال بذلوه وكان لهم بلاء في ميدان القتال فقاتلوا في سبيل الله بأنفسهم"[1].

وإذا كانت المساواة بين القاعد والمجاهد غير سائغة في حكم العقل والشرع، فالفضل في الدرجة للمجاهدين، ولذا قال الله: ﴿ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى﴾، وإذا كان التساوي بين المجاهدين والقاعدين من غير ضرر يمنعهم غير مستساغ فإن الله تعالى فضل المجاهدين بالمال والنفس على القاعدين ذوي الضرر وجعلهم في درجة أعلى من القاعدين لعذر وذلك أن يكون لهم فضل أعظم ومكانتهم عند الله أكرم من ذوي الأعذار، فهم يعرضون أنفسهم للتلف ويقدمون النفيس من المال، ومع ذلك فإن الله تعالى قد وعد كلًا من الفريقين العاقبة الحسنة حيث لا يكون ثمة عقاب يوم القيامة بل يكون النعيم المقيم لهما معًا[2].

وإن تفضيل الدرجة على القاعدين ذوي الضرر لكي يسير القاعد ولو نسبيًا فلا يقعد لضرر وهمي أو عذر غير قهري، فكثير من الناس يتوهمون أعذارًا حيث لا عذر، أما الذّين قعدوا من غير عذرٍ فقد بيّن سبحانه فضل المجاهدين عليهم بأجر عظيم وكثير في مقام الإحسان ومغفرة من الله ورحمة وتبديل سيئاتهم حسنات، وفي هذا النص أشار سبحانه إلى أنَّ الغزو والخروج للجهاد فرض

---

(1) "زهرة التفاسير" – (1814/4) .

(2) انظر: "روح البيان" – للاستنبولي (266/2).

كفاية وليس فرض عين، وذلك إذا لم يكن المسلمون في حاجة إلى كل القادرين، ومهما يكن فالخارجون للجهاد لهم الفضل الأعظم [1].

ومن الآيات التّي يصف فيها –ﷻ– المجاهدين في سبيله أنهم أحبّاؤه وأولياؤه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(المائدة:54).

في هذه الآية يخبر –ﷻ– أنّه الغني عن العالمين وأنه من يرتد عن دينه فلن يضرّ الله شيئًا وإنما يضر نفسه، وأن لله عبادًا مخلصين ورجالًا صادقين قد تكفل الرّحمن بهدايتهم ووعد بالإتيان بهم، وأنّهم أكمل الخلق أوصافًا وأقواهم نفوسًا وأحسنهم أخلاقًا، وأجلُّ صفاتهم أنّه يحبّهم ويحبّونه، فإنّ محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه وأفضل فضيلة تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدًا يسّر له الأسباب وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات [2].

ومن لوازم محبة العبد لربه أنّه لا بدّ أن يتصف بمتابعة الرّسول –ﷺ– ظاهرًا وباطنًا في أقواله وأعماله وجميع أحواله كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ﴾ (آل عمران:31)، فحبهم لله يزيدهم رسوخًا في الحقّ وقوة على إقامته، وكذلك من صفاتهم أنهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم ونصحهم ولينهم ورفعتهم ورأفتهم ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وهم أعزة على الكافرين بالله المعاندين لآياته والمكذبين لرسله، فقد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم وبذلوا جهادهم في كل سبب يحصل به الانتصار، قال تعالى: ﴿أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح:29)، وهؤلاء المؤمنون الصادقون المحبون لله يجاهدون بأموالهم وأنفسهم وبأقوالهم وبأفعالهم ولا يخافون لومة لائم؛ بل يقدمون رضا ربّهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين، فإنّ ضعيف القلب ضعيف الهمة تنتقص عزيمته

(1) انظر: "البحر المجيد في تفسير القرآن المجيد" – لأبي عباس الأنجري (548/1)، "التفسير المظهري" – للمظهري (202/2) .

(2)انظر: "تيسير الكريم الرّحمن" – للسعدي (235/1)، "فتح البيان في مقاصد القرآن" – لأبي الطيب القنوجي (451/3) .

عند لومة اللائمين وفي قلبه تعبّدٌ لغير الله وما فيها مراعاة الخلق وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله حتّى لا يخاف في الله لومة لائم [1].

ولمّا مدحهم الله بما منّ عليهم من الصفات الجليلة والمناقب العالية أخبر أن هذا من فضله عليهم وإحسانه لئلا يعجبوا بأنفسهم، وليشكروا الذي منّ عليهم بذلك ليزيدهم من فضله وليعلم غيرهم أن فضل الله ليس عليه حجاب، فالله تعالى واسع الفضل والإحسان جزيل المنن قد عمت رحمته كل شيء ويوسع على أوليائه من فضله ما لا يكون لغيرهم، ولكنه عليم بمن يستحق الفضل فيعطيه فالله أعلم حيث يجعل رسالته أصلًا وفروعًا [2].

ومن الآيات التّي يوضح فيها سبحانه أن الجهاد في سبيله من أعظم الأعمال قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(التوبة:19).

سبب النّزول:

ذكر المزيني في كتابه سبب نزول هذه الآية حيث قال: " عن النعمان بن البشير –ﷺ– قال: كنت عند منبر رسول الله –ﷺ– فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد الإسلام إلا أن أعمّر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله –ﷺ– وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة فأستفتيه فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[3].

ففي هذه الآية الكريمة يوبخ سبحانه القوم الذّين افتخروا بالسقاية وسدانة البيت فأعلمهم جلّ جلاله أن الفخر بالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله لا في الذي افتخروا به من السدانة

(1) انظر: "تفسير المراغي" – للمراغي (139/6) .
(2) انظر: "تفسيرالمنار" – لمحمد رشيد رضا (359/6) .
(3) "المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة" – (581/1) .

والسقاية، والمعنى انكار أن يشبه المؤمنون بالكافرين وأعمالهم وأن يسوّى بينهم، وجعل تسويتهم ظلمًا بعد ظلمهم بالكفر، لأنهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما.

فالله –ﷻ– يقول أجعلتم وسيرتم أيّها القوم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون هؤلاء وأولئك، ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما لأن الله تعالى لا يقبل بغير الإيمان به وباليوم الآخر عملًا [1].

"فمقام المجاهد المؤمن بالله واليوم الآخر مقام عالٍ، ومقام المشرك الذي يكتفي من الشرف بالسقاية والعمارة المادية ويظن ذلك مقربًا إليه زلفى وهو يشرك بالله في عبادته الأنداد، فهم تركوا الجوهر وناقضوه وأخذوا بمظهرٍ باطل لا يغني عن الحقّ شيئًا" [2].

ويقول طنطاوي: "فالله –ﷻ– لا يوفق لصالح الأعمال من كان به كافرًا ولتوحيده جاحدًا، وهو سبحانه لا يوفق القوم الظالمين إلى معرفة الحقّ وتمييزه من الباطل، أي أنهم قد آثروا الشر على الخير والضلالة على الهداية" [3].

وبعد ذلك يبين سبحانه جزاء الهداة الذّين جاهدوا بعد أن آمنوا وهاجروا فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (التوبة:20).

في هذه الآية قضاء من الله تعالى بين فِرَق المفتخرين الذّين افتخر أحدهم بالسقاية والآخر بالسدانة والآخر بالإيمان بالله والجهاد في سبيله كما بيّنتُ في الآية السابقة، فالذين آمنوا بالله تعالى إيمانًا حقًا وهاجروا من دار الإيمان فرارًا بدينهم وجاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمته بأموالهم وأنفسهم هؤلاء هم الذّين توفرت فيهم هذه الصفات الجليلة هم أعلى مقامًا وأشرف منزلة في حكم الله وتقديره من أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ومن كل من لم يتّصف بهذه الصفات الأربعة الكريمة وهي الإيمان والهجرة والجهاد بالمال والجهاد بالنفس [4].

---

(1) انظر: "جامع البيان" – للطبري (168/4) .
(2) "زهرة التفاسير" – لأبي زهرة (3256/6) .
(3) "التفسير الوسيط" – (233/6) .
(4) انظر: "جامع البيان" – للطبري (176/4).

"والمؤمنون الذّين هاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أعظم درجة عند الله من الذّين آمنوا وجاهدوا ولم يهاجروا، والذين آمنوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أعظم درجة عند الله من الذّين آمنوا ولم يهاجروا ولم يجاهدوا، وهكذا يتفاوت المؤمنون في منازلهم ودرجاتهم عند الله. وأعلى درجة عند الله للمؤمنين هي درجة المهاجرين الذّين جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم بعد أن اجتمع لهم الإيمان والهجرة، وقد وعدهم الله بالفوز برضوانه وجناته ينعمون فيها بنعيم مقيم لا ينفد ولا ينقطع أبدًا" [1].

ومن الآيات التّي تدعو إلى النفير في سبيل الله بالمال والنفس قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(التوبة:41).

يقول تعالى لعباده المؤمنين حاثًّا لهم على النفير في سبيله أن ينفروا ويهبّوا للجهاد في العسر واليسر والمنشط والمكره والحر والبرد وفي الصحة والمرض وفي جميع الأحوال.

والإنسان الصّحيح خفيف الحركة ويمكنه أن يقاتل، أما المريض فيفعل كما سيدنا سعيد بن المسيب –ﷺ– وكان مريضًا إذ قالوا له: إنّ الله أعفاك من الخروج إلى المعركة في قوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(الفتح:17)، فقال: والله أكثر سواد المسلمين وأحرس متاعهم [2].

ومن الممكن أن يكون المريض متميزًا بالذكاء وصحة العقل، ويمكن أن يُستشار في مسألة ما، وقد يكون المريض أسوة في قومه فإذا خرج للقتال هاج قومه وخرجوا معه، وممكن أن يكون المريض أو الضعيف حافزًا للأقوياء على القتال، فحين يرى الأقوياء المريض وهو يخرج للقتال فإنهم يخجلون أن يتخلفوا هم.

---

(1)"تفسير القرآن بالقرآن" – لعبد الكريم يونس الخطيب (720/5) .

(2) انظر: "تيسير الكريم الرّحمن" – للسعدي (338/1).

ويأمر سبحانه المؤمنين بأن يبذلوا جهدهم ويستفرغوا وسعهم بالمال والنفس، وكما ورد أنّ رسول الله -ﷺ- قال: "**جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم**"[1]، وهذا دليل أنّه كما يجب الجهاد بالنفس يجب الجهاد بالمال حيث اقتضت الحاجة ودعت لذلك، فالجهاد بالنّفس والمال خير لكم من التّقاعد عن ذلك؛ لأن فيه رضا الله تعالى والفوز بالدرجات العالية عنده والنصر لدين الله والدخول في جملة جنده وحزبه [2].

ومن الآيات التّي يبشر الله -ﷻ- فيها المجاهدين بالهداية والنصر على أعدائهم قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (العنكبوت:69).

في هذه الآية يبشّر -ﷻ- المؤمنين ويسلّي قلوبهم ويذكرهم بأن الذّين جاهدوا في الله ليصلوا له ويتصلوا به واحتملوا في الطّريق إليه ما احتملوا فلم ينكصوا ولم ييأسوا وصبروا على فتنة النفس وعلى فتنة الناس وحملوا أعباءهم وساروا في ذلك الطّريق الطويل الشاق الغريب، أولئك لن يتركهم الله وحدهم ولن يضيع إيمانهم ولن ينسى جهادهم، وإنه سينظر إليهم من عليائه فيرضى عنهم، وسينظر إلى جهادهم فيهديهم، وسينظر إلى محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم، وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء، ويوفقهم إلى إصابة الطّريق المستقيمة، وهو دين الله الحقّ الذي بعث به محمد -ﷺ-، فالله -ﷻ- مع من أحسن من خلقه فجاهد فيه أهل الشرك، مصدقًا رسوله -ﷺ- فيما جاء به من عند الله بالعون له والنصرة على من جاهد من أعدائه[3].

ويقول النسفي: "وأطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما تجب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدّين"[4].

---

(1) سبق تخريجه.

(2) انظر: "تفسير المراغي" – للمراغي (123/1)، "تفسير الشعراوي" – للشعراوي (136/8).

(3) انظر: "جامع البيان" – للطبري (63/20)، "زاد المسير في علم التفسير" – للجوزي (414/3)، "معاني القرآن" – للزجاج (174/4)، "في ظلال القرآن" – لسيد قطب (2752/5) .

(4) "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" – (687/2) .

كما ويصف تعالى المجاهدين في سبيله أنهم مؤمنون صادقون في إيمانهم بالله ورسوله، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(الحجرات:15).

في هذه الآية الكريمة يميّزُ –ﷻ– المؤمنين الإيمان الخالص وهم الذّين صدقوا بالله ورسوله تصديقًا تامًا بالقلب وإقرارًا باللّسان فأقروا لله بالوحدانية ولرسوله –ﷺ– بالرّسالة عن يقين راسخ وإيمان كامل، ثم لم يشكُّوا ولم يترددوا في إيمانهم؛ بل ثبتوا على حال واحدة وهي التصديق المحض بالحقّ مع الاطمئنان النفسي والأمن الذاتي وجاهدوا بالأموال والأنفس حق الجهاد من أجل طاعة الله وابتغاء رضوانه قاصدين بجهادهم وجه الله وإعلاء كلمته ودينه، فهؤلاء المتصفون بهذه الصفات المذكورة هم الصادقون في إيمانهم [1].

"ووصف الله تعالى المؤمنين الكاملين بثلاثة أوصاف **الأوّل:** التصديق الجازم بالله ورسوله، **والثاني:** عدم الشك والارتياب، **والثالث:** الجهاد بالمال والنفس، فمن جمع هذه الأوصاف فهو المؤمن الصادق" [2].

ومن الآيات التّي تبين أن الجهاد خير للمؤمنين قوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(الصف:11).

في هذه الآية جواب من الله تعالى بنوع التجارة الرابحة مع الله في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(الصف:10)، ونوع هذه التجارة أن تواظبوا على الإيمان بالله ورسوله وتخلصوا العمل له وتجاهدوا من أجل إعلاء كلمته ونشر دينه بالأنفس والأموال، وقدّم الأموال على الأنفس للإعداد الحربي لبدء الاستعداد بها، فتنفقون ما تيسّر من أموالكم في الجهاد، فإن ذلك ولو كان كريهًا للنفس شاقًا عليها فإنه فيه الخير الدنيوي من النصر على الأعداء والعز المنافي للذل، والرزق الواسع وسعة الصدر وانشراحه وفي الآخرة الفوز بثواب الله والنجاة من عقابه.

---

(1) انظر: "الوسيط" – للزحيلي (2481/3).

(2) "صفوة التفاسير" – للصابوني (220/3) .

فالإيمان والجهاد خير لكم وأفضل من أموالكم وأنفسكم ومن أنواع التجارات في الدّنيا والعناية بها وحدها إن كنتم من أهل الإدراك والعلم بوجوه المنافع وفهم المقاصد فإن الأمور إنّما تتفاضل بغاياتها ونتائجها [1].

هذا هو أجر الجهاد، وهذا هو أجر المجاهد، وإنّما كان ذلك لما يحققه الجهاد من علوّ كلمة الله وسيادة أمّة الإسلام على الكون كله، ناشرين دعوة السماء، قاهرين أمم الكفر والطغيان، ملتزمين بالسماحة والأخلاق في جهادهم وقتالهم مبتغين رضا الله والفوز بما عنده من عفو ورضا وجنة النّعيم.

اللّهم هب أمّتك روح الجهاد في سبيل الحقّ، وهبنا رحمة من عندك إنّك أنت الوهاب.

المطلب الرّابع: الهجرة في سبيل الله.

كان المسلمون في بداية الدّعوة في مرحلة ضعف ووهن، فشرع الإسلام لهم الهجرة رحمة بهم حتّى يتمكنوا من عبادة الله على الوجه الذي يرتضيه لهم وهم يأمنون على أنفسهم وأهليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الذّين آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة:218).

سبب النّزول:

ذكر المزيني في كتابه سبب نزول هذه الآية والآية التّي قبلها لارتباطها بها وهي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حتّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدّنيا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة:217).

حيث قال: "روي أنّه –ﷺ– بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادي الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرًا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف، وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادي الآخرة، فقالت قريش

(1) انظر: "تفسير المراغي" – للمراغي(90/28)، "تيسير الكريم الرّحمن" – للسعدي (860/1)، "الوسيط" – للزحيلي (2650/2) .

استحل محمد الشهر الحرام شهرًا يأمن فيه الخائف وينشغل فيه الناس بمعايشهم. وشق ذلك على أصحاب السرية وقالوا لا نبرح حتّى تنزل توبتنا فنزلت، ومن الناس من قال: أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر"[1].

في هذه الآية يطمئن الله تعالى عبد الله بن جحش وأصحابه على أنهم غير آثمين لقتالهم في الشهر الحرام كما شنع عليهم الناس بذلك، وذلك لإيمانهم وهجرتهم وجهادهم في سبيل الله.

فهنا يصف الله تعالى عباده المؤمنين المقربين المخلصين له بثلاثة أوصاف:

أولها: أنهم آمنوا: فالإيمان تصديق للحق وإذعان لحكمه وتنفيذ لأوامره وإخلاص في القلب ونور في البصيرة، وذلك وحده كاف للجزاء إن قام المؤمن به وحقق لوازمه وخواصه وصار شعاره ومظهره وسريرته وحقيقته.

وثانيها: الهجرة: فقال ﴿**الذّين هَاجَرُواْ**﴾ فلم يقل سبحانه وهاجروا وكرر ﴿**الذّين**﴾ للإشارة إلى أن الهجرة وحدها عمل زائد على الإيمان يستحق وحده الثواب لأنه ترك للمال والأهل وطلب للعزة وإعزاز الدّين بدل البقاء في الذلة والرضا بحياة المستضعفين، وقد أمر الله بالهجرة عند الاستضعاف ونهى عن البقاء تحت نير غير المسلمين، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الذّين تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأرض قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا ﴿97﴾ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرّجَالِ وَالنّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴿98﴾ فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿99﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأرض مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إلى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رّحِيمًا ﴿100﴾**﴾ (النساء:97/100).

وثالثها: الجهاد في سبيل الله تعالى وهو باب الجنّة وهو رهبانية هذه الأمة، فهؤلاء المؤمنين الذّين جاهدوا المشركين في سبيل الله وفي طاعته[2].

---

(1)"المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة" – (376/1)

(2)انظر:"مدارك التنزيل وحقائق التأويل" – للنسفي (181/1)، "زهرة التفاسير" –لأبي زهرة (635/2).

وبعد ذلك يبين –ﷻ– جزاء هؤلاء المتصفين بهذه الصفات فليس من شأنهم أن يخافوا العذاب لخطأ غير مقصود في الجهاد بل إنهم يرجون الرحمة والثواب ومن رجا طلب ومن خاف هرب، فلا تخافوا في الجهاد إلا الله ومن أخطأ فله أجر، ثم ذيل –ﷻ– الآية الكريمة بقوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لبيان أنّه سبحانه يقبل التوبة عن عباده، فيقبل إسلام الكافرين، والإسلام يجب ما قبله، وكما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال:38)، وتقبل توبة العاصي، وإنّ غفران الذنوب تشجيع على الطاعات وهجر للمنكرات[1].

ومن الآيات التّي ميزت المؤمن من الكافر حتّى يهاجر في سبيل الله قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حتّى يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ﴾ (النساء:89).

في هذه الآية الكريمة يخاطب الله تعالى المؤمنين فيقول لهم إن هؤلاء الذّين تتمنون هدايتهم أو تحكمون بها عليهم أو ترجونها لهم، يتمنون أن تكفروا كما كفروا وتجحدوا وحدانية ربكم وتصديق نبيكم محمد –ﷺ– بحيث تكونون أنتم وهم على سواء في الشرك، ومن يود ذلك وتكون هذه حاله لا يعدُّ مسلمًا ولا يحكم عليه بأن نور الإسلام دخل قلبه فهو لا يريد أن تجتمعوا معه على هدى بل يريد أن تكونوا معه على ضلالة، فإذا كانوا يريدون الاتصال بكم اتصال مودة فعلى أساس الكفر لا على أساس الإيمان [2].

فيأمر الله –ﷻ– المؤمنين ألا يتخذوا هؤلاء أنصارًا أو يرتبطوا معهم بصلة أو مودة، فهؤلاء المنافقون الذّين يظهرون الإسلام وهم مقيمون في ديار الأعداء يناصرونهم وقوتهم لهم على المسلمين، فهنا يحسم الله –ﷻ– بهذه الآية أمر المنافقين ويأمر المسلمين بألا يتولوهم وإن آمنوا حتّى يظاهروا إيمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله –ﷺ– لا لغرض من أغراض الدّنيا، هجرة مستقيمة ليس بعدها بداء ورجوع، فإن هم تولوا وأبوا الهجرة فلا عبرة بكلمات تقال فتكذبها الأفعال[3].

---

(1)انظر:"محاسن التأويل" – للقاسمي (109/2).

(2) انظر: "جامع البيان" – للطبري (18/8).

(3) انظر: "الكشاف" –للزمخشري (547/1).

فقد قيّد –ﷻ– ترك ولايتهم بغاية وهي الهجرة وهي خروجهم في سبيل الله تعالى مجاهدين مع المؤمنين ومناصرين ومؤيدين لهم، فإن هم أعرضوا عن الهجرة وهي واجبة فلا تعترضوا إسلامهم لأنهم لا يزالون قوة عليكم، فخذوهم من نواصيهم بالأسر والترصد لمتاجرهم وأموالهم، حتّى لا يتخذوا من ذلك ذريعة لتقوية أقوامهم، واقتلوهم حيث وجدتموهم لأنهم أعداء بمعاونتهم أعداء المؤمنين، فلا تتخذوا منهم خليلًا يواليكم على أموركم ولا ناصرًا ينصركم على أعدائكم[1].

يقول أبو زهرة: "إن السياق يدل على أن المنافقين الذّين تتحدّث عنهم الآية –وإن كان اللفظ عامًا– هم الذّين يظهرون الإسلام في قبائلهم ولا يخرجون إلى المسلمين ليكونوا معهم فإن زمان إنشاء الدولة الإسلامية يحتاج إلى التجمع ليكون المؤمنون أمة واحدة.....، والخلاصة أن أولئك المنافقين يعاملون معاملة الذّين ينتمون إلى دولة أخرى، فإذا كانت دولتهم تقاتل المؤمنين قوتلوا وقتلوا، وإن كانت دولتهم تسالم المؤمنين بميثاق فلا يقاتلوا احترامًا للعهد والميثاق"[2].

ومن الآيات التّي تحث على الهجرة في سبيل الله وتبين أن الخير يكون في الخروج والهجرة في سبيل الله قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء:100).

في هذه الآية الكريمة يبين –ﷻ– للمؤمنين أن من يهاجر ويفارق أرض الشرك وأهلها هربًا بدينه منه ومنهم ويترك دار إقامته في سبيل الله تعالى وشرعه ودينه إلى دار الإسلام وأهلها المؤمنين وطالبًا ما عند الله يجد هذا المهاجر طرائق كثيرة في الحياة، فهو يفارق قومه رغم أنوفهم وإن كان لا ينالها إلا ببعض المشقة، وكذلك ينال سعة في رزقه وحياته ودينه فلا يضيق في دينه عليه ولا يعيش في ذلة وهوان أو مُقَتّرٌ عليه في الرزق، فحرص النفس وشحها يجعلها تتخيل أن وسائل الحياة والرزق مرهونة بأرض ومقيدة بظروف ومرتبطة بملابسات لو فارقتها لم تجد للحياة سبيلًا.

فمن يهاجر هذه الهجرة في سبيل الله يجد في الأرض فسحة ومنطلقًا فلا تضيق به الأرض ولا يعدم الحيلة والوسيلة للنجاة والرزق والحياة، فالآية تحث على الهجرة إذا توافرت أسبابها وتشير إلى أن

(1)انظر: "محاسن التأويل" – للقاسمي (252/3)، "في ظلال القرآن" – لسيد قطب (732/2).
(2)"زهرة التفاسير" – (1791/4).

المهاجر إن ترك محل العيش الرتيب فإنه سيجد في النهاية مذاهب مختلفة للرزق وسعة في الحياة وعدم ضيق فهو معوض بلا ريب[1].

فهذه الهجرة هي الهجرة المعتبرة في الإسلام فليست هجرة للثراء أو هجرة للنجاة من المتاعب أو هجرة للذائذ والشهوات أو هجرة لأي عرض من أعراض الحياة، بل هي هجرة للفرار من فتنة في الدّين أو لدفع الذل وطلب العزة أو للخروج من أرض ليست تحت ولاية الإسلام إلى أرض فيها ولاية الإسلام، أو من أرض فيها ظلم سائد واقع على الأبدان أو المال ولو كانت من ولاية الإسلام، أو كانت الهجرة لتكثير سواد المسلمين في إقليم قل فيه عددهم وهي الانتقال من أرض إسلامية مزدحمة بالسكان قد اكتظت بأهلها إلى أرض إسلامية خالية من السكان فإنها تكون مظنة أن يأخذها أعداء المسلمين فتكون لهم قوة على المسلمين، ففي كل هذه الأحوال تكون الهجرة في سبيل الله تعالى ويكون قد انتقل من حمى الناس إلى حمى الله تعالى، فهو مهاجر منتقل إلى جانب الله تعالى ورسوله –ﷺ–، فإذا كان يترك بيته وأهله وعشيرته وجيرانه الذّين عاش بينهم وعاشرهم فهو يتركهم إلى جانب أعظم ورحاب أوسع وهو جانب الله تعالى ورسوله –ﷺ– ورحابهما، وهذا المهاجر في سبيل الله يناله إحدى الحسنيين: إما بالظفر بالسعة والعزة والمال،وإما الظفر بالأجر العظيم وذلك إن أدركه الموت وهو في الطّريق إلى الله تعالى، فإن أدركه الموت فقد وقع وحق له الأجر العظيم عند الله تعالى، فكأنه صار وثيقة على الله تعالى، وذلك كله تأكيد لتحقيق الأجر بهذه الهجرة، وهذا الأجر غفران لما مضى من ذنبه ورحمة به بالنعيم المقيم في الآخرة، فالله سبحانه غفور كثير المغفرة ومن شأنه الرحمة بعباده[2].

"فبمقتضى رحمته فتح باب الهجرة وحث عليها، وبمقتضى رحمته مكن للمهاجر من السعة والعمل في الأرض، وبمقتضى رحمته اعتبر نيّة الهجرة إذا صاحبها العمل كافية للثواب والأجر العظيم"[3].

ويعقب سيد قطب على هذه الآية فيقول: "إنها صفقة رابحة دون شك، يقبض فيها المهاجر الثمن كله منذ الخطوة الأولى وهي خطوة الخروج إلى البيت مهاجرًا إلى الله تعالى ورسوله –ﷺ–،

(1)انظر:"الجامع لأحكام القرآن" – للقرطبي (348/5).
(2)انظر:"فتح القدير" – للشوكاني (583/1).
(3)"زهرة التفاسير" – لأبي زهرة (1824/4).

والموت هو الموت، في موعده الذي لا يتأخر والذي لا علاقة له بهجرة أو إقامة، ولو أقام المهاجر ولم يخرج من بيته لجاءه الموت في موعده ولخسر الصفقة الرابحة، فلا أجر ولا مغفرة ولا رحمة بل هنالك الملائكة تتوفاه ظالمًا لنفسه، وشتان بين صفقة وصفقة! وشتان بين مصير ومصير!"[1].

ومن الآيات التّي تؤكد على صدق إيمان المهاجرين في سبيل الله وتبين ثوابهم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال:74).

في هذه الآية الكريمة جمع الله تعالى بين الذّين كانوا دعامة الإسلام وعليهم هدي الرّسول –ﷺ– قام بنيانه وشيدت أركانه وهم المهاجرون والأنصار، فالمهاجرون ابتدأ بهم تكوين الجماعات الأولى التّي صبرت وصابرت وتلقت الصدمة الأولى من المشركين، فهم الذّين تلقوها من عتاة المشركين الذّين قابلوا أهل الحقّ بالأذى من أمثال أبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وغيرهم، وهم الذّين هاجروا إلى الحبشة فرارًا بإيمانهم ومنهم من هاجر مرتين، وهم الذّين لاقوا العنت فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، ومنهم من اضطروه تحت العذاب أن ينطق بكلمة كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ومنهم بعض أسرته تحت حر العذاب، ثم في آخر الأمر هاجروا إلى المدينة، فاستقبلهم إخوانهم بالترحاب وآووا ونصروا، والأنصار هم الذّين آووا ونصروا، وأعزوا كلمة التوحيد وأغلوها وأعلوها، فإذا كان المهاجرون هم الذّين أظلوا شجرة الإسلام ابتداءً فالأنصار هم الذّين حموا ثمرتها وقامت دولة الإسلام في أرضهم وحراستهم، وإذا كان المهاجرون قد لاقوا العنت في مكة فقد لاقوا الإيواء في المدينة، وإذا كانوا هم دعامة الإسلام فالأنصار دولته وفي رحابه قامت المدينة الفاضلة التّي أقامها نبينا وحبيبنا محمد –ﷺ– في ديارهم، وإذا كان المهاجرون قد جاهدوا ابتداءً بالصبر والمصابرة فقد كان جهادهم في المدينة مع إخوانهم الأنصار بذلك وفي القتال في المدينة [2].

فالفريقان اختارهما الله لتكوين أطهر جماعة رأتها الإنسانية وأقواها فاستحقوا بذلك وصف الله لهم بأنهم مؤمنون حقًا فهم الذّين هاجروا بعد الإيمان وجاهدوا في سبيل الله، والذين آووا وناصروا هم

(1)"في ظلال القرآن" – (746/2).

(2)انظر:"لباب التأويل في معانب التنزيل" – للخازن (330/2).

المؤمنون حقًا، فإيمانهم ثابت صادق حيث تلاقت أقوالهم وقلوبهم وأعمالهم كلها في سبيل دين الله وإعلاء كلمته.

وبذلك قد استثنى سبحانه وتعالى المؤمنين الذّين لم يهاجروا دار الشرك وأقاموا بين أظهر أهل الشرك ولم يغزوا مع المسلمين عدوهم[1].

"وليس الحقّ هنا بمعنى المقابل للباطل حتّى يكون إيمان غيرهم ممن لم يهاجروا باطلًا، لأن قرينه قوله تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حتّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدّين فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال:72) مانعة من ذلك، إذ قد أثبت لهم الإيمان ونفى عنهم استحقاق ولاية المؤمنين"[2].

وبعد هذا يذكر –ﷻ– جزاء هؤلاء المؤمنين الصادقين وهو أن لهم جزاءين الأوّل: المغفرة وما تؤدي إليه من الرحمة والنعيم المقيم، والثاني: الرزق الكريم الواسع في الدّنيا بعد المشقة التّي تحملوها.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا عظم رحمة الله تعالى بتشريعه لعباده سبل التيسير في كل وقت عسير، وكانت الهجرة خير مثال على هذا التيسير ورفع الحرج والمشقة، وليس ذلك فحسب، بل وقد جعل لذلك عظيم الأجر ونعم الثواب لمن قام به، فما أعظمه من إله وما أعظمه من دين.

المطلب الخامس: الإصابة في سبيل الله.

إنّ الدخول في حربٍ في سبيل الله تؤدي بالمؤمن المجاهد إلى العديد من الإصابات والجروح، والمؤمن الصابر على الشدائد والمصاعب في سبيل الله لا يجعل من هذه الإصابات والآلام حجرًا يقف في طريق دعوته لله وإكمال جهاده لرفع راية التوحيد وإعلاء كلمة الله، وقد مدح الله –ﷻ– هؤلاء المؤمنين الصابرين في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران:146).

---

(1)انظر: "التفسير الحديث" – لدروزة محمد عزت (7/96-97).

(2)"التحرير والتنوير" – لابن عاشور (10/89).

هذه الآية تسلية للمؤمنين وحثّ على الاقتداء بمن قبلهم من المؤمنين من اتّباع الأنبياء السابقين حيث كانوا على إيمان عميق وعزم وثيق، فبيّنت الآية الكريمة ما كانوا عليه حتّى يتأسّى بهم كل ذي عقل سليم فقال لهم: أنّ كثيرًا من الأنبياء قاتل معهم مؤمنون صادقو الإيمان من أجل إعلاء كلمة الله وإعزاز دينه، وأصيبوا وهم يقاتلون بما أصيبوا من جراح وآلام، فالقتال يتعاور فيه المقاتلون الجروح والدماء، فليس القتال ريحًا رخاءً سهلًا، بل هو عاصفة وملحمة بشرية يدال بين المقاتلين في الميدان، فكانوا بهذه الجراح راضين صابرين فما وهنوا وما عجزوا أو جبنوا لسبب ما أصابهم من جراح أو ما أصاب أنبياءهم واخوانهم من قتل أو استشهاد، لأن الذي أصابهم إنّما هو في سبيل الله وطاعته وإقامة دينه ونصرة رسله، وكذلك ما ضعفوا عن قتال أعدائهم وعن الدفاع عن الذي آمنوا به وما خضعوا وذلوا لأعدائهم [1].

ويقول أبو زهرة: "فالله سحانه قد نفى عن هؤلاء المؤمنين الصادقين ثلاثة أوصاف لا تتناسب مع إيمانهم وهي:

أولًا: الوهن وهو اضطراب نفسي وهلع قلبي يستولي على الإنسان فيفقده ثباته وعزيمته، فهو يبتديء في الداخل وإذا وصل إلى الخارج كان ضعفًا وتخاذلًا، وإذا أنتج لضعف نتائجه كانت الاستكانة والذل.

ثانيًا: الضعف الذي هو ضد القوة وهو ينتج عن الوهن.

ثالثًا: الاستكانة وهي الرضا بالذل والخضوع للأعداء ليفعلوا بهم ما يريدون، وذلك ليس شأن المؤمن.

وقد نفى سبحانه هذه الأوصاف الثلاثة عن هؤلاء المؤمنين الصادقين مع أن واحدًا منها يكفي نفيه لنفيها لأنها متلازمة، وذلك لبيان قبح ما يقعون فيه من أضرار فيما لو تمكن واحد من هذه الأضرار في نفوسهم" [2].

وجاء ترتيب هذه الأوصاف في غاية الدّقة بحسب حصولها في الخارج، فإن الوهن الذي هو خور في العزيمة إذا تمكن من النفس أنتج الضعف الذي هو لون من الاستسلام والفشل، ثم تكون

---

(1) انظر: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" – للثعالبي (119/2)، "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" – للسيوطي (341/2) .

(2)"زهرة التفاسير" – (1440/3) .

بعدها الاستكانة التّي يكون معها الخضوع لكل مطالب الأعداء، وإذا الإنسان وصل هذه المرحلة في حياته كان الموت أكرم له من هذه الحياة [1].

ويختم سبحانه هذه الآية الكريمة أنّه يحب الصابرين، وهو سبحانه يشير إلى أن الذّين لا يصيبهم وهن بسبب اشتداد المعركة ولا ضعف ولا ذل ولا استكانة ولا استسلام هم الصابرون حقًا وصدقًا والله –ﷻ– يحبهم.

فهذا التذييل قصد به حض المؤمنين على تحمل المكاره ومقاساة الشدائد ومعاناة المكاره من أجل إعلاء دينهم حتّى يفوزوا برضا الله ورعايته كما فاز أولئك الأنقياء الأوفياء، فهو تعالى يحب الصابرين على آلام القتال ومصاعب الجهاد ومشاق الطاعات وتبعات التكاليف التّي كلف الله تعالى بها عباده [2].

من خلال ما سبق يتبيّن لنا أنّ المؤمن الحقّيقي يتميز عن غيره في أرض المعركة وذلك ببيان صبره وثباته على الشدائد، فقد مدح –ﷻ– المؤمن المصاب الصابر الذي لم تثنه الإصابات والجروح عن إكمال مسيرته في الجهاد في سبيل الله، ويبتغي من جهاده وصبره أن يرتقي إلى جنان وقصور وأنهار عند الملك الواحد القهّار.

المطلب السّادس: الضرب في سبيل الله.

شرع الله تعالى الضرب في سبيل الله لغرض نشر الإسلام وهداية الناس، فمن اهتدى واتّبع أمن على نفسه وماله وحرم دمه، وصار له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وها هو سبحانه يعلم عباده ويمحص غرضهم ويسدد نيّتهم في الجهاد فيقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّها الذّين آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السّلام لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدّنيا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾(النساء:94).

(1) انظر: "التفسير الوسيط" – لطنطاوي (288/2).

(2) انظر: "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية" – للشيخ علوان (128/1)، " التفسير الواضح" – لمحمد محمود حجازي (292/1).

سبب النّزول:

ذكر المزيني سبب نزول هذه الآية فقال: "عن ابن عباس –ﷺ– قال: كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال: السّلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته فأنزل الله الآية:﴿ يَا أَيُّها الذّين آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السّلام لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدّنيا . . . .﴾، تلك الغنيمة" [1].

في هذه الآية الكريمة يخاطب الله عباده المؤمنين ويقول لهم: يا أيّها الذّين أذعنوا للحق وصدّقوا به وخرجوا مجاهدين في سبيل الله إذا ضربتم وسرتم في جهادكم فتعرّفوا من يحاربكم ومن يعاديكم ولا تضعوا السيف في موضع البرء والسقم في المقاتل وغير المقاتل، في المحارب وغير المحارب، ولا تتعجلوا بالقتل عند الشك في أن من تقتلونه عدوٌّ أو وليٌّ، فإن الأصل في الدماء التحريم ولا تباح إلا عند الاعتداء، فقد حرم الله تعالى قتل النفس إلا بالحقّ.

وأمر –ﷻ– المؤمنين الضاربين في سبيله أن يتأكدوا ويتثبتوا في كل أحكامهم وأفعالهم وألا يقولوا لمن أظهر الانقياد لدعوتهم ودينهم فنطق الشهادتين أو حياهم بتحية الإسلام فلا يقولوا له لست مؤمنًا حقًا وإنّما قلت ما قلت بلسانك فقط لتأمن القتل، بل الواجب على المؤمنين أن يقبلوا من هذا الإنسان ما أظهره وأن يعاملوه بموجبه، فإن علم السرائر والبواطن إنّما هو لله تعالى وحده [2].

فيأمر تعالى عباده المؤمنين ألا يقتلوا الإنسان مبتغين من وراء قتله متاع الدّنيا الزائل وعرضها الفاني، فهذا المسلك يتنافى مع الإيمان الصادق والجهاد الخالص، ومن كان منكم يريد متاع الدّنيا فليطلبه من الله وحده فإن خزائنه لا تنفد وعطاءه لا يحد.

فهو –ﷻ– يوبخهم على حرصهم على متاع الدّنيا بطريقة لا تتناسب مع الإيمان الكامل ومع الهدف الذي خرجوا من أجله وهو إعلاء كلمة الله تعالى وضم أكبر عدد من الناس إلى دعوة الحقّ النّي جاء بها النبي –ﷺ–، فلا تعودوا إلى ما فعلتموه من قتل من ألقى إليكم السّلام طلبًا لماله، فإن

---

(1) " المحرر في أسباب نزول القرآن" – (418/1).

(2) انظر: "ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" – لأبي السعود (218/2) .

الله تعالى عنده مغانم كثيرة وفي مقدوره أن يغنيكم من فضله، فالجؤوا إليه وحده وخصوه بالسؤال وأخلصوا له العمل [1].

فكذلك كنتم أيّها المؤمنون مثل حال المشركين الآن من جحود بالحقّ وكفر به حتّى هداكم الله تعالى، وإذا كنتم كذلك فتبينوا حال الذّين تقاتلونهم عسى أن يكونوا قد هدى الله بعضهم كما هداكم، وأن يكون قد منّ عليهم كما منّ عليكم فلا تستكثروا على مشرك أن يؤمن ولو كان ذلك في حومة الوغى، فتنّور الهداية مفتوح في كل مكان لا يغلق باب دونه والله يهدي من يشاء [2].

فالمؤمنون كانوا عند دخولهم الإسلام لا يظهر منهم للناس إلا ما ينطقونه بالشهادتين وتبادل تحية الإسلام، فمنّ الله على هؤلاء المؤمنين بأن قبل منهم تلك المرتبة وعصم بها دماءهم وأموالهم ولم يأمر بالتفحص عن سرائرهم، فعليكم يا عباد الله الضاربين في سبيله أن تفعلوا كذلك بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا ظاهر الإسلام في المكانة ولا تقولوا إن تهليل هذا لاتقاء القتل لا بصدق النية فتجعلوه سبيلًا إلى استباحة الدماء والأموال وقد حرمهما الله.

فتبيّنوا يا عباد الله نعمه عليكم وداوموا على شكرها وقيسوا أحوال غيركم بماسبق من أحوالكم واقبلوا ظواهر الناس بدون فحص عن بواطنهم ولا تصدروا أحكامكم عليهم إلا بعد التثبت والتأكد من صحتها، ولا تشهروا سيوفكم في وجوههم إلا بعد التأكد من كفرهم وعدوانهم فإن الله تعالى مطلع على دقيق الأمور وجليلها، خبير بما تسره نفوسكم وما تعلنه، لا يخفى عليه شيء من ظواهركم وبواطنكم وسيحاسبكم على كل ذلك وسيجازيكم بما تستحقونه من خير أو شر [3].

هكذا يعلّم الله تعالى عباده، ويحثّهم على التّأنّي وعدم التسرّع، حفظًا لأرواح بريئة ونفوس زكيّة قد تكون آمنت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا.

---

(1) انظر: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" – للبقاعي (367/5).

(2) انظر: "الدر المنثور في التفسير المأثور" – للسيوطي (634/2) .

(3) انظر: "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية " – للشيخ علوان (164/1)، "تيسير الكريم الرّحمن" – للسعدي (195/1) .

المطلب السّابع: الدّعوة إلى سبيل الله.

إنّ الله –ﷻ– أرسل رسله بالهدى ودين الحقّ لغاية عظمى وهدف أجلّ، وهو هداية النّاس، ولمّا كان الإكراه والترهيب لا يصفّي القلوب ولا يهذب النفوس، أمر الله تعالى رسله بالدعوة إليه بأحسن الطّرق وأرقى الوسائل حتّى يدخل النّاس طواعية في أمر الله وشريعته، وكذا على عباده السير على ذات الطّريق مقتدين بالأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(النحل:125).

في هذه الآية الكريمة يخاطب الله –ﷻ– نبيه الكريم –ﷺ– ويقول له: ادع مبلّغًا رسالة ربك ومتبعًا سبله وهدايته ودينه وشريعته التّي هي هداية الإسلام، وذلك بالأقوال المشتملة على العظات والعبر التّي ترقق القلوب وتهذب النفوس وتقنعهم بصحة ما تدعوهم إليه وترغبهم في الطاعة لله تعالى وترهبهم من معصيته –ﷻ–، فيجب عند الدّعوة مراعاة مقتضى الحال ومخاطبة كل قوم بما يعرفون وأخذهم بالرّفق والتلطف واختيار الوقت المناسب للموعظة التّي يراد وعظهم بها حتّى تتقبلها النفوس وتنتفع بما فيها من خير.

وكذلك يأمر الله تعالى حبيبه المصطفى بمجادلة المعاند منهم بالطريقة التّي هي أحسن الطّرق وأجملها بأن تكون المجادلة مبنية على حسن الإقناع وعلى الرفق واللين وسعة الصدر، فإن ذلك أبلغ في إطفاء نار غضبهم وفي التقليل من عنادهم وفي إصلاح شأن أنفسهم وفي إيمانهم، بأنك إنّما تريد من وراء مجادلتهم الوصول إلى الحقّ دون أي شيء سواه [1].

ويقول طنطاوي: "وبذلك نرى أنّ الآية الكريمة قد رسمت أقوم طرق الدّعوة إلى الله وعيّنت أحكم وسائلها وأنجعها في هداية النفوس، إنها تأمر الدّعاة في كل زمان ومكان أن تكون دعوتهم إلى سبيل الله لا إلى سبيل غيره، إلى طريق الحقّ لا طريق الباطل، وإنها تأمرهم أيضًا أن يراعوا في دعوتهم أحوال الناس وطباعهم وسعة مداركهم وظروف حياتهم وتفاوت ثقافاتهم، وأن يخاطبوا كل طائفة بالقدر الذي تسعه عقولهم وبالأسلوب الذي يؤثر في نفوسهم، وبالطريقة التّي ترضي قلوبهم

(1) انظر: "اللباب في علوم الكتاب" – لأبي حفص النّعماني (188,187/12) .

وعواطفهم، فمن لم يقنعه القول المحكم قد تقنعه الموعظة الحسنة، ومن لم تقنعه الموعظة الحسنة قد يقنعه الجدال بالتي هي أحسن" [1].

وإنما تفاوتت طرق دعوته –ﷺ– لتفاوت مراتب الناس فمنهم خواص هم أصحاب نفوس مشرقة قوية الاستعداد لإدراك المعاني، قوية الانجذاب إلى المباديء العالية لا إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه، وهؤلاء يدعون بالحكمة في المعنى السابق، ومنهم عوام أصحاب نفوس كدرة ضعيفة الاستعداد شديدة الألف بالمحسوسات، قوية التعلق بالرسوم والعادات، قاصرة عن درجة البرهان، لكن لا عناد عندهم، وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة بالمعنى المتقدم، ومنهم من يعاند ويجادل بالباطل ليدحض به الحقّ لما غلب عليه من تقليد الأسلاف ورسخ فيه من العقائد الباطلة، فصار بحيث لا تنفعه المواعظ والعبر بل لا بدّ من إلقامه الحجر بأحسن طرق الجدال لتلين عريكته وتزول شكيمته، وهؤلاء الذّين أُمر –ﷺ– بجدالهم بالتي هي أحسن [2].

فالدعوة إلى الله تعالى لا تحتاج إلى قوّة قاهرة توجه إليها الأبصار وتفتح لها العقول والقلوب، فإن القوة هنا تضرّ ولا تنفع، حيث إنّ العقل هو المدعو إلى التعرف على الله والإيمان به، وليس سبيل العقل إلى العلم والمعرفة هو القهر والقسر، وإنما سبيله النظر والاقتناع في جو من الحرية المطلقة البعيدة عن الضغوط المادّية والمعنوية، فالايمان الذي يكون تحت أي مؤثّر خارجي يحتل العقل أو يقهره هو إيمان مقهور لا يطمئنّ إليه القلب ولا تتأثر به المشاعر، ولا يجني منه صاحبه ما يجني المؤمنون من إيمانهم من ثمرات طيبة مباركة، ولهذا كان أمر الله –ﷻ– إلى نبيه الكريم أن تكون دعوته قائمة على هذا المنهج الذي يمثّل الكمال كله في غرس المعارف وتربية النفوس [3].

والله سبحانه هو وحده العليم بمن ضلّ من خلقه عن صراطه المستقيم، وهو وحده العليم بالمهتدين منهم إلى السّبيل الحقّ، وسيجازي كلّ فريق منهم بما يستحقه من ثواب أو عقاب، وما دام الأمر كذلك فعليك –أيّها الرّسول الكريم– أن تسلك في دعوتك إلى سبيل ربك الطّرق التّي أرشدك إليها من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، والله سبحانه هو أعلم بهم، "فمن كان فيه

---

(1) "التفسير الوسيط" – (263/8).

(2) انظر: "روح المعاني" – للألوسي (487/7).

(3) انظر: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" – للبقاعي (280,281/11) .

الخير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة، ومن لا خير فيه عجزت عن الحيل وكأنك تضرب منه في حديد بارد" [1].

ففي هذا التذييل تهديد لأولئك الذّين يجادلون بغير علم وبغير غاية إلا المراء والإعنات، فالله أعلم بهؤلاء الضالين عن سبيله، لا يجتمعون مع المهتدين ولا ينزلون منازلهم، بل يعزلون عنهم ويلقى بهم في عذاب السعير [2].

وهكذا يتجلّى لنا الطّريق الأمثل للدعوة إلى الله، حيث بيّنت هذه الآيات وفصّلت، ويسّرت على الداعية المسلم طريق دعوته، فعليه أن يستبصر الناس ويتعرّف أحوالهم ثم يخاطبهم بما يناسبهم ويدعوهم إلى طريق الحقّ والرشاد متوكلًا على خالقه وهاديه.

المطلب الثّامن: الإيذاء في سبيل الله.

إنّ إعلاء كلمة الله ورفع رايته ونشر دعوته لا يكون على طريق مليء بالورود والترحيبات، بل يكون في طريق مليء بالشوك والعثرات والاضطهادات، فالإنسان المؤمن يتأذى في سبيل نشر هذه الدّعوة المباركة بكل أنواع الأذى والتي من المحتمل أن تؤدي بحياته أو تجعله يفقد مالًا أو أهلًا أو حتّى عضوًا من أعضائه، ولكنه صابر محتسب لكونه يعلم عن يقين ما ينتظره من أجر عظيم ورضى الكريم الذي لا يضيع عنده مثقال ذرة.

وقد مدح سبحانه هؤلاء الصابرين وأعدّ لهم من النعيم المقيم ما يكافئ صبرهم وأكثر، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران:195).

في هذه الآية الكريمة جواب من الله تعالى للمؤمنين على سؤالهم في سياق دعائهم لربهم وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴿ 190 ﴾ الذّين يَذْكُرُونَ اللّهَ

(1) "الكشاف" – للزمخشري (644/2) .

(2) انظر: "الوسيط" – للزحيلي (1313/2).

قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴿191﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴿192﴾ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴿193﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴿194﴾﴾ (آل عمران 190–194)، فيبشر سبحانه هؤلاء الداعين أنّه قد أجابهم بما دعوا به ربّهم، وإجابة الله لهم دليل على استحقاقهم لرحمته، وقد أجابهم سبحانه إجابة تدلّ على كمال عدله، وأنه سبحانه لا يضيّع عمل عامل منهم، بل سيجازيهم بالجزاء الأوفى وسيمنحهم الثواب فوق ما عملوا، لأنه هو الكريم الوهّاب ولن يفرّق في عطائه بين ذكر وأنثى، لأنّ الذّكر من الأنثى والأنثى من الذّكر، وقد خلقهم الله جميعاً من نفس واحدة [1].

"وبعد ذلك يبيّن سبحانه الأعمال الصالحة التّي استحقّ بها هؤلاء الأبرار حسن الثّواب منه واستحقوا بها نعيم الجنّة وتوقّوا بها عذاب النار، وهي أمور ثلاثة آخذ بعضها بحجز بعض ومتلاقية في معناها ومغزاها:

الأوّل: أنهم هاجروا وأخرجوا من ديارهم، فهم هجروا مغانيهم التّي تربّوا فيها غير راغبين ولا محبّين للخروج بل مُلجئين مُضطرّين..... فمن الناس من يخرج من ديار الشرك أو الكفر مختارًا ليكون قوة لأهل الإسلام، ومنهم من يخرج اضطهادًا وإيذاءً كما فعل كفّار اليوم باللاجئين.

والثّاني: هو أنهم تحملوا الأذى في سبيل الله تعالى، فهم أوذوا في مكة قبل الهجرة، واستمرّ الإيذاء بعدها، وكل ذلك في سبيل الله وفي سبيل الحقّ وإعلائه وجعل كلمته هي العليا وكلمة الباطل هي السفلى، وأن يزكّي الخير فيهم، فإنهم ما أخرجوا من ديارهم وهجروا أحبّاءهم وذويهم إلا في سبيل الله.

والثّالث: أنهم قاتلوا في سبيل الله تعالى فجاهدوا الأعداء واستشهدوا في هذا القتال، فلهم فضلان: فضل القتال والتقدم وفضل الاستمرار فيه والشهادة في سبيل الحقّ" [2].

---

(1) انظر: "بيان المعاني" – لعبد القادر العاني (448/5).

(2) "زهرة التفاسير" – لأبي زهرة (1556/3) .

وقد بيّن سبحانه جزاء هؤلاء المهاجرين والذين أوذوا في سبيل الله والذين قاتلوا وقتلوا، فقد وعدهم الله تعالى بالأجر العظيم وذلك بأن يمحو عنهم ما ارتكبوه من سيّئات وأن يستر عليهم حتّى تعتبر هذه الذنوب نسيًا منسيًا، وكذلك سوف يدخلهم جنّات تجري من تحت قصورها الأنهار التّي فيها العسل مصفّى وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

وسوف يثيبهم ثوابًا عظيمًا من عنده، فهو -ﷻ- عنده حسن الجزاء لمن آمن وعمل صالحًا، فالله سبحانه قد منح هؤلاء الأخيار الأجر الجزيل لأنهم قد هاجروا من الأرض التّي أحبوها إلى غيرها من أجل إعلاء كلمة الله وأخرجوا منها مضطرين لا مختارين فرارًا بدينهم ولأنّهم قد تحمّلوا الأذى في سبيل الله، ولأنهم قد جاهدوا أعداء الله حتّى استشهدوا وهم يقاتلون من أجل إعلاء كلمته [1].

حقًا إنّ نشر الدّعوة يحتاج إلى رجال يتحملون أي أذى يصبّ عليهم من كل من يخالفهم، ويحتاج قلوبًا واثقة بنصر الله وجنته، فلا تلين عزائمهم لأذىً أو كلامٍ سمعوه، لأنهم سمعوا كلام ربّهم فاطمأنّت قلوبهم، وتذكروا عذاب الله فصبروا على عذاب قومهم.

المطلب التّاسع : الإحصار في سبيل الله.

إنّ المحصرين في سبيل الله لهم الجزاء العظيم والأجر والثّواب من الله تعالى فهم حصروا أنفسهم لله وبالله فجازاهم الله أحسن الجزاء ودعا كلّ عباده المؤمنين إلى مساعدتهم ونصرتهم وذلك في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاء الذّين أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأرض يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:273).

في هذه الآية يخصّ -ﷻ- طائفة من المؤمنين هي أولى الناس بالعون والمساعدة، ووصف هذه الطائفة بعدة صفات من شأنها أن تحمل العقلاء على المسارعة في إكرام أفرادها وسدّ حاجتهم، فقد وصفهم الله تعالى بالفقراء ووجّه المؤمنين إلى أن يجعلوا نفقتهم وصدقتهم لهؤلاء الفقراء ووصفهم كذلك بأنهم محصورون في سبيل الله، فهم الذّين حبسوا أنفسهم للجهاد أو العمل في مرضات الله كطلب العلم، إذ لو اشتغلوا بالكسب مثل غيرهم لتعطلت المصلحة العامة، فهم فداء الأمة وحماتها، قادتها الموجهون لها في وقت السلم والحرب، وفي الشدة والأزمة أو المحنه، والرفاه والسعادة، فقد نزلت

(1) انظر: "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" – للثعلبي (235/3)، "أوضح التفاسير" – لمحمد الخطيب (88/1).

هذه الآية في أهل الصفة: وهم فقراء المهاجرين الذّين كانوا حوالي أربعمائة رجل، وكانوا مرابطين في سقيفة المسجد يتعلّمون القرآن في الليل ويجاهدون في النهار [1].

وقوله سبحانه ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تكريم وتشريف لهم، أي أنّ ما نزل بهم من فقر واحتياج كان بسبب ايثارهم إعلاء كلمة الله على أي شيء آخر، ففي سبيل الله هاجروا، وفي سبيل الله تركوا أموالهم فصاروا فقراء، وفي سبيل الله وقفوا أنفسهم على الجهاد، وفي سبيل الله أصابهم ما أصابهم وهم يطلبون أداء ما كلفهم سبحانه بأدائه [2].

ومن صفاتهم كذلك أنهم عاجزون عن الكسب لا يستطيعون ضربًا في الأرض، أي لا يتمكنون من القيام بالسّفر أو السير في البلاد للتجارة والكسب وعجزهم لأسباب عديدة منها: الكبر والشيخوخة ومنها المرض والخوف من العدو ونحو ذلك من الضرورات.

بعد ذلك يصفهم سبحانه بإظهار العفة والترفع عن الطمع مما في أيدي الناس حتّى إن الجاهل لحقيقة حالهم يظنهم أغنياء لعفّتهم وصبرهم وقناعتهم وتعفّفهم في لباسهم وحالهم ومقالهم، ولهم صفات تلازمهم وقرائن مميزة لهم فيعرفون بسيماهم وعلاماتهم، والتعرف عليهم يحتاج إلى فراسة المؤمن وخبرة المجرب وحنكة ذوي البصيرة والتحري عنهم بالسؤال لمن يعرفهم من جيران وأقارب لربما يُستأنس بمظاهر الضمور والنحول والضعف ورثاثة الثياب، وربما لا يكون ذلك دليلًا مقنعًا فقد يتظاهر بعضهم بالفقر، وقد يكتسي بعضهم اللباس المعقول لعزة نفسهم ويكون هو المحتاج وغيره هو الكاذب، وقد ذكر القرآن الكريم أن من شدّة تعففهم أصبح التّعفّفُ صفة ثابتة لهم، فهم لا يسألون الناس إلحافًا ولا غير إلحاف، فهم متعففون عن المسألة عفة تامة [3].

ويقول الأستاذ سيد قطب: "والنّص عام، ينطبق على سواهم في جميع الأزمان، ينطبق على الكرام المعوزين، الذّين تكتنفهم ظروف تمنعهم من الكسب قهرًا، وتمسك بهم كرامتهم أن يسألوا العون، إنهم يتجملون كي لا تظهر حاجتهم يحسبهم الجاهل بما وراء الظواهر أغنياء في تعففهم، ولكن ذا

---

(1)انظر : "النّكت والعيون" – للماوردي (347/1)، "فتح البيان في مقاصد القرآن" –لأبي الطيب القنوجي (135/2).

(2)انظر : "التفسير الوسيط" – لطنطاوي (627/1).

(3)انظر : "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد" – لابن عجيبة (306/1) ، "لطائف الإشارات" –للقشيري (210/1) .

الحس المرهف والبصيرة المفتوحة يدرك ما وراء التّجمل، فالمشاعر النفسية تبدو على سيماهم وهم يدارونها في حياء، إنها صورة عميقة الإيحاء تلك التّي يرسمها النص القصير لذلك النموذج الكريم، وهي صورة كاملة ترتسم على استحياء، وكل جملة تكاد تكون لمسة ريشة، ترسم الملامح والسمات، وتشخص المشاعر والانفعالات" [1].

ويختم سبحانه الآية بتحريض المؤمنين على البذل والسّخاء وترقية النفس على الشعور بمراقبة الله، وعلى محبة فعل الخير، فما ينفقه هؤلاء المؤمنون على المحصرين في سبيل الله سواءً كان المنفَق قليلًا أم كثيرًا، سرًّا أم علنًا فإنّ الله يعلمه وسيجازيكم عليه بأجزل الثّواب وأعظم العطاء [2].

بعد هذا نجد أنّ العبد الصّادق في إيمانه ينصر الله –ﷻ– وينصر عباده المخلصين المتفرغين لجهاده، فنصرة هؤلاء ولو بالقليل هي نصرة لله –ﷻ– ولها أجرها العظيم وثوابها الجزيل.

المطلب العاشر: اتّباع سبيل الله.

إنّ سبيل الله تعالى هو السّبيل الحقّ، ويلزم كل إنسان أن يتّبعه، فالإنسان المؤمن لا يتوانى عن اللحاق بركب الصالحين واتّباع سبيل الله، لأنه موقن أنّه الطّريق الصّحيح الموصل للجنان المبعد عن النّيران، وقد دعا سبحانه إلى اتّباع سبيله في قوله تعالى:﴿ **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلى ربّه سَبِيلًا** ﴾(الفرقان:57).

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه نبيّه محمدًا –ﷺ– ويقول له: قل لهم يا أكرم الخلق حقيقةً وأعدلهم طريقة محتجًّا عليهم لإزالة ما يكون موضعًا للتهمة: فقد قالوا وأشاروا وصرّحوا أنّه يريد سيادة دنيويّة في جاهٍ يبتغيه أو مالٍ يتموّله، فالنبيّ –ﷺ– هو الذي يتولى الردّ وهو أنّه لا يسألهم على هذا الإرشاد والتوجيه الذي يدعوهم به إلى ترك الأوثان وعبادة الله تعالى وحده أي أجر وإن فائدة هذه الدّعوة لكم إذا اهتديتم وتعود عليكم بالعقاب إن كفرتم.

ولكنه استثنى من الأجر واحدًا فهو لا يسألهم أجرًا يدفعونه أو يؤدونه إلا ابتغاء من شاء أن يتخذ إلى ربّه منهاجًا مستقيمًا وطريقًا موصلًا إلى ربّه، فإن ذلك هو الأجر الذي يبتغيه وهو نعم الأجر

---

(1)"في ظلال القرآن" – (316/1) .

(2)انظر : "البحر المحيط في التفسير" – لأبي حيّان الأندلسي (700/2).

ونعم الجزاء، فيكون الكلام دالًا على مطلبه –ﷺ– ودالًا على شرف الغاية التّي يبتغيها، فليس يطلب مالًا ولا جاهًا ولكن يطلب هداية وتوفيقًا وإرشادًا، فاتخاذ سبيل الله هو المطلب والغاية وموضع الدعاية والدعوة [1].

ويقول أبو زهرة: "وفى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ إشارات بيانية ثلاث:

الأولى: التعبير بقوله: ﴿مَن شَاءَ﴾ إشارة إلى أن الثّواب لَا يكون إلا بالإرادة الحرة المختارة، إذ هي أساس التّكليف.

الثانية: التعبير بقوله: ﴿يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾التعبير بالرب توجيه إلى أنّه الخالق المربي القائم على الخلق، ففي ذلك دعوة للاتّباع المدرك، شكرا لنعمة اللَّه تعالى عليه.

الثالثة: وصف الهداية بأنها اتخاذ السّبيل؛ لأنه المنهاج، وهو ﴿سَبِيلًا﴾، وكان التنكير لبيان أن السّبيل المطلوب هو ما كان إلى اللَّه تعالى" [2].

فيوجّه الله تعالى عباده إلى اتخاذ سبيله فيقول لهم انظروا إلى المنهج الذي جاءكم به نبيكم الكريم –ﷺ–وكيف أنّه يريحكم مع أنفسكم، ويريحكم مع المجتمع، ويريحكم مع ربكم –ﷻ–، ويريحكم من شرور أنفسكم ومن شرور النّاس جميعًا، فمنهج الله وسبيله الذّي جاء به النبيّ –ﷺ– يحرس الإنسان ويحميه في نفسه وماله وفي عرضه وفي كلّ ما يملك، ولا يحميه من فئة معينة إنّما يحميه من النّاس أجمعين، بل إنّ هذه حماية منهج الله وسبيله لك لا تقتصر على الدّنيا وإنّما تتعدى إلى الآخرة فتحميه فيها حماية ممتدّة لا نهاية لها [3].

فالواضح من كلّ هذا أنّ الرّسول –ﷺ– لا يطلب على تبليغ الرسالة من الأموال أجرًا إلا أنّه يطلب المنزلة عند الله تعالى بالإيمان والطاعة كما يدعو إليهما، وكذلك من شاء أن ينفق أمواله ليتقرّب إلى ربّه بالصدقة والإنفاق في الجهاد والتطوعات وغيرها ويتّخذ إلى ربّه طريقًا يؤدّي به إلى

---

(1)انظر : "مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد" – لمحمد بن عمر نووي الجاوي (137/2).

(2)زهرة التفاسير – (5304/1) .

(3)انظر : "تفسير الشعراوي" – للشعراوي (10479/17).

رحمته ونيل ثوابه بالعمل الصالح فليفعل ولا يتردد، فلا تصنعوا معي إحسانًا بأجر تدفعونه لي، ولكن اطلبوا الأجر لأنفسكم بفعل الخير وعبادة الله وشكره [1].

ومن الآيات التّي تدعو إلى اتّباع سبيل الله قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلى رَبّه سَبِيلًا﴾ (المزمل:19).

في هذه الآية الكريمة يوضّح سبحانه أنّ هذه الآيات التّي سقناها لكم تذكرة وموعظة وهي الآيات التّي جاءت في سياقها هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿10﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿11﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿12﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿13﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿14﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿15﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿16﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿17﴾ السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿18﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلى رَبّه سَبِيلًا ﴿19﴾﴾ (المزّمّل:10-19)، فمن شاء النجاة من أهوال يوم القيامة فعليه أن يؤمن بالله تعالى إيمانًا حقًا وأن يتّخذ بسبب إيمانه وعمله الصّالح طريقًا وسبيلًا إلى رضا ربّه ورحمته ومغفرته [2].

ويقول الشّيخ طنطاوي: "والتعبير بقوله: ﴿فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ... ﴾ليس من قبيل التخيير، وإنما المقصود به الحض والحث على سلوك الطّريق الموصل إلى الله- تعالى- بدليل قوله- تعالى- قبل ذلك:﴿إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ أى: هذه الآيات تذكرة وموعظة، فمن ترك العمل بها ساءت عاقبته، ولم يكن من الذّين سلكوا طريق النجاة، وشبيه بهذه الآية قوله تعالى:﴿وَقُلِ الحقّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف:29)" [3].

---

(1)انظر : "التفسير المنير" – للزحيلي (93/19) .

(2)انظر: "تفسير القرآن" – للسمعاني (83/6).

(3)"الوسيط" – (165/15).

ففي هذه الآية تحريض للمكذّبين على اتّباع وسلوك الطّريق المستقيم، فهذه الآيات المخوّفة موعظة لأولي الألباب، فمن أراد اتّعظ بها واتّخذ الطّاعة طريقًا توصله إلى رضوان الله في الجنّة وذلك بالاشتغال بالطاعة والاحتراز عن المعصية.

ويقول ابن عاشور: "هذا التَذْيِيل لِمَنْ يَتَذَكَّرُ فَإِنْ كَانَ مِنْ مُنْكِرِي الْبَعْثِ آمَنَ بِهِ وَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا اسْتِفَاقَ مِنْ بَعْضِ الْغَفْلَةِ التّي تَعْرِضُ لِلْمُؤْمِنِ فَاسْتَدْرَكَ مَا فَاتَه...،وهذا السّبيل موصل إلى الخير فلا حائل يحول بين طالب الخير وبين سلوك هذا السّبيل إلا مشيئته... وهذه الآية تمثيل لحال طالب الفوز والهدى بحال السائر إلى ناصر أو كريم قد أُري السّبيل الذي يبلّغه إلى مقصده فلم يبق له ما يعوّقه عن سلوكه" [1].

والله –ﷻ– جعل للإنسان عقلًا يدرك به الحسن والقبيح، واختيارًا يتمكّن به من اتّباع ما يريد، فلم يبق له مانع من جهة اختيار الأصلح والأحسن إلا قسر المشيئة التّي لا اطلاع له عليها ولا صلة له فيها، فيسلك هذا الإنسان على وفق ما جاءه من التّذكرة، ومتى زاغ عن ذلك هلك[2].

حقًّا إنّ اتّباع سبيل الله هو السعادة والراحة في الدّنيا والآخرة، فهذه السّعادة والرّاحة لا يجدها الإنسان إلا في اتّباع سبيل الله والالتزام به وعدم الحياد عنه، فهو طريق الجنّة والخلود فيها.

المطلب الحادي عشر: اتّباع سبيل من أناب.

إنّ الإنسان بطبيعته خطّاء ويرتكب الذنوب والمعاصي سواء كانت صغيرة أم كبيرة، ولكن الله سبحانه يغفر لمن تاب من عباده ورجع إليه وأناب وقد مدح الله تعالى هؤلاء المنيبين إليه وأمر باتّباع طريقهم والسير على نهجهم في قوله تعالى: ﴿**وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾(لقمان:15).

والمعنى: إن حملك والداك أيّها العبد المؤمن وليس مجرد عرض للشرك بالله وإنّما حدث منهما مجهود ومحاولات لجذبك إلى مجاراتهما في الشرك بالله، فإن حدث ذلك فنصيحتي لك ألا تطعهما لأنّ

---

(1)"التحرير والتنوير" – (278/29).

(2)انظر : "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" – للنيسابوري (381/6)، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" – للبقاعي (28/21).

أمرهما بذلك مناف للحكمة حامل على محض الجور والسفه، ففيه تنبيه لقريش على محض الغلط في التقليد لآبائهم في ذلك. فالله -ﷻ- لم يقل له إن حملاك على الشرك بي أن تعقّهما وتؤذيهما بل قال: فلا تطعهما فيما أمراك به ولكن ابق بارًّا بهما واستمر على ذلك، فهذه هي أخلاق العبد المؤمن بالله المتّبع لأوامره، والمبتعد عمّا نهى عنه فيقول له: إيّاك أن تتخذ من كفرهما ودعوتهما لك إلى الكفر سببًا في قطع الرّحم، فحتّى مع الكفر يكون لهما حقٌّ عليك، ثم إنهما كفرا بي أنا، وأنا الذي أوصيك بهما معروفًا.

ولن تكون وحدك بل سبقك أناس قبلك تابوا وأنابوا فكن معهم، فهم المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله والمستسلمون لربهم والمنيبون إليه[1]، " واتّباع سبيلهم أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله، التّي هي انجذاب دواعي القلب وإرادته إلى الله ثم يتبعهما سعي البدن، فيما يرضي الله ويقرب منه"[2].

ويقول الشيخ علوان[3]: "صاحِبْهُما فِي الدّنيا وان كانا مشركين مَعْرُوفًا مستحسنًا عقلًا وشرعًا ومروءة حفظًا لحقوقهما وَبالجملة لا تتبع بشركهما وكفرهما مطلقًا بل اتَّبِعْ في الدّين والملة سَبِيلَ مَنْ أَنابَ ورجع إِلَيَّ ودين من توجه نحوي موحدًا إياي بريئًا من الشرك مطلقًا وبالجملة امض على التوحيد واسلك طريقه ما دمت في دار الابتلاء ثُمَّ اعلم أنكم بعد ما انقرضت النشأة الأولى إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ تابعًا ومتبوعًا موحدًا ومشركًا أصلًا وفرعًا فَأُنَبِّئُكُمْ حينئذ وأخبركم بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أي بتفاصيل أعمالكم التّي قد صدرت عنكم في دار الاختبار وأجازيكم على مقتضاها إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر"[4].

---

(1)انظر : "تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس" – لابن عباس (345/1) .

(2)"تيسير الكريم الرّحمن" – للسعدي (648/1) .

(3)هو نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، من أهل آقشهر، من ولاية فرحان، نسبته إلى نخجوان من بلاد القفقاص، رحل إلى الأناضول وتوفي بآقشهر سنة 920هـ، له عدة كتب منها: هداية الإخوان. (انظر: "الأعلام" – للزركلي (39/8))

(4)"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية" – (132/2).

وقال التستري: "من لم يهتد الطّريق إلى الحقّ عزَّ وجلَّ فليتبع آثار الصالحين لتوصله بركة متابعتهم إلى طريق الحقّ، ألا ترى كيف نفع اتّباع الصالحين كلب أصحاب الكهف، حتّى ذكره الله تعالى بالخير مرارًا" [1].

بعد هذا الاستعراض في الآية الكريمة يتّضح أنّ سبيل من أناب إلى الله هو سبيل الحقّ والخير، فالعبد المؤمن يتّبع طريق المؤمنين من قبله لأنّ طريقهم هو طريق الله ورسوله، فمن سلك طريقهم وجد الخير الكثير والمغفرة والجنان والرضوان عند الملك الجبّار.

المطلب الثّاني عشر : الظّمأ والنّصب والمخمصة في سبيل الله.

في كل رسالة خير عقبات كثيرة ومصاعب جمة، فالمؤمن الذي يسير على نهج الله وطريقه يصيبه من الابتلاءات ما يصيبه، وبالمقابل فإنه بقدر ما عانى في سبيل الله بقدر ما يناله من الأجر العظيم، ولذا فقد حثّ الإسلام على الصبر في الطّريق، ووبّخ من يهرب منه سعيًا للدعة والراحة وطلبًا لمتاع الدّنيا الزائل، يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة:120).

في هذه الآية يعاتب الله المتخلفين عن رسول الله –ﷺ– في غزوة تبوك قائلًا: أنّه ما كان من شأن أهل المدينة من مهاجرين وأنصار الذين آووا ونصروا وهم أهل النّجدة والإيواء ومن حولهم من الأعراب الذّين يسكنون في ضواحي المدينة الذّين أشربوا الإيمان أن يتخلّفوا عن رسول الله –ﷺ– ويؤثروا الدّعة والرّاحة ويتركوه وحده يكابد المشاق ويتحمل المتاعب في سبيل عزّهم ورفع دينهم، ما ساغ لهم ذلك وهم يرغبون في الدعة وطيب العيش الرّغيد، وخص هؤلاء بالعتاب لقربهم وجوارهم وأنهم أحقّ بذلك من غيرهم، بل إنّ المراد من النص النهي عن التخلّف، والتّوبيخ عليه لأنّ المتخلف يؤثر نفسه على نفس رسول الله –ﷺ– التّي لا بدّ من إيثارها وحبّها أكثر من حبّ النّفس، فلا يصحّ لهؤلاء

(1)"تفسير التستري" – (123/1) .

إيثار أنفسهم على نفس رسول الله -ﷺ-، فلا يرضوا لأنفسهم بالدعة والرّاحة ورسول الله -ﷺ- في المشقّة [1].

ولم يكن لهم حق التخلّف بل يجب عليهم الاتّباع والجهاد، بسبب أنّ كل ما يصيبهم في جهادهم من معاناة ومكابدة ومشاقّ كالعطش الشّديد الذي اعتراهم في تبوك حتّى كادت أعناقهم أن تتقطع من العطش لولا أن النبي -ﷺ- استسقى السماء لهم فأغدقت، وكذلك ما أصابهم من النّصب وبعد الشقّة أو لقلة الظهر أو مخمصة وجوع شديد تجعل البطون خامصة ضامرة في سبيل الله، كالذي أصابهم في هذه الغزوة التّي فتحت الباب إلى الشام، إذ أصابهم جوع شديد حتّى أنهم كانوا يتقاسمون التمرة، وهؤلاء المؤمنون لا يطئون أرضًا ولا ينزلون فيها إلا ويكون وطئها فيه غيظ للكافرين إذ انتهك المؤمنون حمى أرضهم، ولم يستطيعوا حمايتها من جيوش الحقّ والإيمان، وذلك فيه عنت شديد لهم وإهدار لحرمات أرضهم، وفي ذلك إذلال لهم بعد أن كانوا لا يمس أحد حماهم الذّي يحمون وكذلك أنّ هؤلاء المؤمنين ينالون من العدو بأن يحاربوهم فيهزموهم [2].

ويقول أبو زهرة: "أي أن ظمأهم الشديد، وجوعهم الذي صبروا عليه، ووطأهم أرض العدو الكافر التّي كانت لَا ترام، ونيلهم من بني الأصفر الذّين يتحكمون، ولا مسيطر عليهم أو محاسب، ما من أمر يقوم به أهل الإيمان إلا كتب اللَّه تعالى لهم به عملا صالحا عنده، ينال أهل الإيمان به رضاه أولا واعتزازهم بالحقّ ثانيا، وجنة النعيم ثالثا" [3].

ويختم سبحانه الآية الكريمة أنّ جزاءه سبحانه عظيم، أجر للعمل الصالح، وسمّاه سبحانه أجرًا تكرمًا منه وفضلًا، وإلا فلا أجر إلا بفضله لأنه المنعم والعبد ملك لسيّده، ووصف الذّين يقومون بحق الجهاد بأنهم محسنون لأنهم قاموا بما وجب عليهم وأحسنوا الطاعة وأبلوا فأحسنوا البلاء.

فهذا هو نوع الجهاد بأنفسهم إذ تركوا الراحة ومتعتها وآثروا البلاء فأخذهم الظمأ والجوع ووطئوا أرض العدو ونالوا منه نيلًا [4].

---

(1)انظر : "تفسير المراغي" – للمراغي (45/11)، "الموسوعة القرآنية" – لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري (44/10) .

(2)انظر : "التحرير والتنوير" – لابن عاشور (55/11)، "تفسير الشعراوي" – للشعراوي (5563/9) .

(3)"زهرة التفاسير" – (3480/7) .

(4)انظر : "التفسير المنير" – للزحيلي (74/11).

فالمؤمن عندما يصبر على كل أنواع الأذى والعذاب والمشاق ينال رضى الله في الدّنيا وجنّته في الآخرة، فطريق الجنّة محفوف بالمخاطر والابتلاءات تنتهي بجنّة عرضها الأرض والسّماوات.

المبحث الثّاني: ميادين الشر

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأوّل: القتال في سبيل الطّاغوت.

المطلب الثّاني: الصّدّ عن سبيل الله.

المطلب الثّالث: إضلال سواء السّبيل.

المطلب الرّابع: اتّباع سبيل الكافرين.

المطلب الخامس: قطع السّبيل.

المطلب السّادس: عدم الإنفاق في سبيل الله.

المطلب السّابع: اتّباع السّبل.

المبحث الثّاني: ميادين الشّر

تتعدَّدُ ميادين الشّر في السياق القرآني بجميع أنواعها لتشمل القتال في سبيل الطاغوت، والصّد والإضلال عن سبيل الله، واتّباع سبيل الكافرين، وقطع السّبيل، وكذلك عدم الإنفاق في سبيل الله، واتّباع السبل المتفرّقة، والتي ستتناولها الباحثة بالتّفصيل خلال المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: القتال في سبيل الطّاغوت.

إنّ القتال في سبيل الطّاغوت لهو الشرّ بعينه، فعندما يختار الإنسان القتال في سبيل الطّاغوت الباطل المؤدي إلى الهلاك على سبيل الله الواضح البيّن المؤدّي إلى الرّشاد، فإن هذا الاختيار سوف يجعله يضيع لا محالة، وقد أمر الله –ﷻ– عباده المخلصين المقاتلين في سبيله إلى قتال أولياء الشّيطان المقاتلين في سبيله، وذلك في قوله تعالى: ﴿**الذّين آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطّاغوت فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾(النساء:76).

في هذه الآية يبيّن –ﷻ– أنّ المؤمنين يقاتلون لغرض نصرة دين الله وإعلاء كلمته، والكافرون يقاتلون في سبيل الطّاغوت.

"وهذه الآية كالدّلالة على أنّ كل من كان غرضه في فعله رضى غير الله فهو في سبيل الطّاغوت، لأنه تعالى لما ذكر هذه القسمة وهي أنّ القتال إما أن يكون في سبيل الله أو في سبيل الطّاغوت وجب أن يكون ما سوى الله طاغوتًا" [1].

فالقرآن الكريم يصوّر أحقيّة الغاية التّي يجاهد لها الذّين آمنوا وقوة السّند إلى جانب بطلان غاية الذّين كفروا وضعف سندهم فيها، فإنّ الكافرين اعتمدوا على أضعف شيء وأوهنه، والمؤمنين اعتمدوا على أقوى شيء وأمتنه.

(1)"مفاتيح الغيب" – للرازي(142/10)

فيقول الحقّ –ﷻ– في مدح المخلصين المؤمنين فيرغّبهم ترغيبًا ويشجّعهم تشجيعًا بإخبارهم أنّهم إنّما يقاتلون في الله، فهو وليّهم وناصرهم، وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا وليّ لهم إلا الشّيطان، وكيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه [1].

فيأمر الله –ﷻ– بأن نقاتل نصراء الشّيطان الذّين ينفخون في مبادئه، والذين ينصرون وسوسته في نفوسهم ليوزّعوها على النّاس، هؤلاء هم أولياء الشّيطان وهم نصراؤه المخالفون للمنهج، ويأمر سبحانه بأن نقاتل الذّين بينهم وبين الشّيطان ولاء، وبعد ذلك يطمئن –ﷻ– المؤمنين بأنّ الشّيطان عندما يكيد سيكون كيده في مقابل كيد ربّه، فلا بدّ أن يكون كيده ضعيفاً جداً بالقياس لكيد الله، وليس للشيطان سلطان يقهر به الإنسان على فعل، وكذلك لا يستطيع أن يرغمه على أن يفعل، وليس له حجّة يقنعه بها [2].

يقول الخازن: " وكونه ضعيفًا لأنّه خذل أوليائه الكفّار لما رأى الملائكة قد نزلت يوم بدر، وكان النّصر لأولياء الله وحزبه على أولياء الشّيطان" [3].

فلو ترك المؤمنون القتال والكافرون لم يتركوه لغلب الطّاغوت وعمّ، فغلبت الوثنيّة المفسدة للعقول والأخلاق وعمّ الظلم والاستبداد، ويعدّ كيد الشيطان ضعيفًا لأنه يزيّن لأصحابه الباطل والظّلم والشر وإهلاك الحرث والنّسل، فيوهمهم بوسوسته أنّها خير لهم وفيها عزّهم وشرفهم، وهذا هو الكيد والخداع، ومن سنن الله أنّ الحقّ يعلو والباطل يدنو، فالذّين يقاتلون في سبيل الله يطلبون شيئًا ثابتًا صالحًا، والذين يقاتلون في سبيل الشيطان يطلبون الانتقام والاستعلاء في الأرض بغير الحقّ وتسخير الناس لشهواتهم ولذاتهم، وهي أمور تأباها فطرة البشر السّليمة وسنن العمران القويمة، فلا قوة ولا بقاء لها إلا بتركها وشأنها وإرخاء العنان لأهلها، وإنّما بقاء الباطل لنومة الحقّ عنه [4].

---

(1)انظر: "الكشاف" – للزمخشري (535/1).

(2)انظر: "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد" – لابن عجيبة (530/1).

(3) "تفسير الخازن" – (399/1).

(4) انظر: "تفسير المنار" – لمحمد رشيد رضا (213/5)، "تفسير الشعراوي" – للشعراوي (2419/4).

بعد هذا يتبيّن لنا أنّ القتال في سبيل الطّاغوت لا يجلب على صاحبه إلا الدمار في الدّنيا والآخرة، فالشّيطان لا يعدُّ أولياءه إلّا الكذب في الدّنيا وبالتالي الخزي في الآخرة ودخول جهنم وبئس القرار.

المطلب الثّاني: الصّدّ عن سبيل الله.

يحاول أعداء الإسلام أن يطمسوا معالم هذا الدّين القويم بأيّ وسيلة من وسائلهم الفاسدة، ولكن يأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون، وفي هذا المطلب ستستعرض الباحثة بعض الآيات التّي تبيّن كيف كان أهل الكتاب واليهود والنصارى وكل أعداء هذا الدّين يصدّون عن سبيل الله، ومن الآيات التّي يذمّ فيها سبحانه أهل الكتاب لصدّهم عن سبيل الله قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاء وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾(آل عمران:99).

في هذه الآية الكريمة يأمر الله نبيه –ﷺ– أن يوبّخ أهل الكتاب ويزيد في تقريعهم وإزاحة لأعذارهم فيقول لهم: لأيّ شيء تصرفون المؤمنين عن الإيمان الحقّ وتصدّونهم عن السّبيل التّي وضّحها الله تعالى وبيّنها وهي سبيل النور وسبيل الحقّ والصّراط المستقيم الذي يوصل إلى رضاه سبحانه، وكذلك تمنعون من آمن بالنبي –ﷺ– عن الاستمرار على اتّباعه وتنشرون الفتنة والوقيعة بين أصحابه، وإذا كان أولئك يحاولون منع الناس من الطّريق الذي رسمه العليّ الكريم وحدّ حدوده، فقد عاندوا إرادة الله وحادّوه، ومن يحادّ الله تعالى فإنّه مغلوب لا محالة.

وقد وصف –ﷻ– حالهم في الصّدّ عن سبيل الله وهي أنّهم يريدونها أن تكون ملتوية غير واضحة ولا بيّنة في أعين المهتدين، كما التوت نفوسهم وحارت عيونهم فلم تدرك الحقّ مستقيمًا بعد أن قامت بيّناته[1]، ولكن الحال أنّكم تعلمون أنّ سبيل الإسلام هي سبيل الحقّ علم من يعاين ويشاهد الشّيء على حقيقته، فجحودكم عن علمٍ، وكفركم ليس عن جهل، ولقد كان من المتوقّع منكم يا من ترون الحقّ الذي جاء به محمّد –ﷺ– في كتابكم أن تكونوا أوّل السّاعين إلى الإيمان به، ولكن الحدّ والعناد حالا بينكم وبين الانتفاع بالنّور الذّي جاء به محمّد –ﷺ–.

(1)انظر: "التحرير والتنوير" – لابن عاشور (26/4)، "تفسير المنار" – لمحمد رشيد رضا (14/4).

ويختم الله سبحانه الآية بتهديد لهم ووعيد على ضلالهم واضلال غيرهم لأنّه سبحانه ليس غافلًا عن أعمالهم، بل هو سيجازيهم على هذه المسالك الخبيثة بالذّلّة في الدّنيا وبالعذاب والهوان في الآخرة، ولمّا كان صدّهم للمؤمنين بطرق خبيثة فقد حسم الله مادّة حياتهم ببيان أنّه -ﷻ- محيط بكل ما يصدر عنهم من أقوال أو أعمال وليس غافلًا عنها[1].

ويبيّن -ﷻ- جزاء اليهود عندما صدّوا عن سبيل الله فيقول تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الذِّينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيرًا﴾ (النساء:160).

في هذه الآية الكريمة يحكي سبحانه ألوانًا من جرائم اليهود وبعض العقوبات التّي حلّت بهم بسبب ظلمهم وبغيهم، فبيّن سبحانه: أنّه بسبب ظلم عظيم وشنيع وقع من أولئك اليهود حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم ولو أنّهم لم يقعوا في هذا الظلم الشديد لما حرم الله عليهم هذه الطيبات التّي هم في حاجة إليها [2].

ويقول الأستاذ طنطاوي: " والآية الكريمة تعليل لبعض العقوبات التّي نزلت بهم بسبب ظلمهم وبغيهم، ومن ضروب هذا الظلم والبغي ما سجّله الله عليهم قبل ذلك من نقض للمواثيق، ومن كفر بآيات الله، وما سجّله عليهم بعد ذلك من صدٍّ عن سبيل الله، ومن أخذ للرّبا، وقد نهاهم الله عن أخذه، وهذه الطيبات التّي حرّمها الله عليهم منها ما حكاه سبحانه في قوله: ﴿وَعَلَى الذِّينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (الأنعام:146)، والتعبير عنهم بقوله ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الذِّينَ هَادُواْ﴾ إيذان بشناعة ظلمهم حيث إنّهم وقعوا في هذا الظّلم الشّديد بعد توبتهم ورجوعهم عن عبادة العجل" [3].

---

(1)انظر: "موسوعة الصّحيح المسبور من التفسير المهجور" – لحكمت بشير ياسين (440/1)، " أيسر التفاسير" – للجزائري (352/1).

(2)انظر: "البحر المديد" – لابن عجيبة (589/1).

(3)"التفسير الوسيط" – (385/3).

والله –ﷻ– حرّم عليهم طيبات كانت حلالًا لهم ثم حرمت عليهم بسبب بغيهم وظلمهم وبسبب ما ارتكبوه من ذنوب، وبسبب صدّهم أنفسهم عن طريق الحقّ التّي شرعها الله لعباده وصدّهم غيرهم عنها صدًا كثيرًا، بسبب ذلك عاقبناهم وطردناهم من رحمتنا. [1]

ويصف تعالى الكافرين الذّين يصدّون عن سبيله بأنهم ضلوا ضلالًا بعيدًا بصدهم عن سبيل الله حيث يقول الحقّ –ﷻ–: ﴿إِنَّ الذِّينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلاَلًا بَعِيدًا﴾ (النساء:167).

يقول الحقّ –ﷻ–: إنّ الذّين كفروا بما أنزلت على رسولنا –ﷺ– من اليهود أو غيرهم وصدّوا النّاس عن طريق الله الموصلة إليه فقد ضلوا ضلالًا بعيدًا لأنّهم جمعوا بين الضّلال والإضلال، ولأنّ المُضِلَّ يكون أغرق في الضّلال، فهم قد صدّوا عن سبيل الله وهو دين الإسلام بإنكارهم نبوّة محمد –ﷺ– وبقولهم ما نجد صفته في كتابنا وإنّما النبوة في ولد هارون وداوود، وبقولهم إنّ شرع موسى لا ينسخ قد ضلّوا ضلالًا بعيدًا عن الحقّ بما فعلوا لأنّهم مع كفرهم منعوا غيرهم عن الحقّ [2].

وكذلك يصف سبحانه الكافرين المنفقين أموالهم للصّد عن سبيل الله أن مصيرهم سيكون جهنّم، وأموالهم ستكون عليهم حسرة جزاء أعمالهم الفاسدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الذِّينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾(الأنفال:36).

يبّين –ﷻ– أنّ الذّين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم فيعطونها أمثالهم من المشركين ليتقوّا بها على قتال رسول الله –ﷺ– والمؤمنين به وليصدّوا المؤمنين بالله ورسوله –ﷺ– عن الإيمان به، فسينفقون أموالهم في ذلك، ثمّ تكون نفقتهم تلك عليهم حسرة وتصير ندامة عليهم لأنّ أموالهم تذهب ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله، لأن الله معلٍ كلمته وجاعلٌ كلمة الكفر السفلى، ثم يغلبهم المؤمنون ويحشر الله الذّين كفروا به وبرسوله –ﷺ– إلى جهنم فيعذبون بها، فأعظم حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك، أما الحيّ فحُرّم ماله وذهب باطلًا

(1)انظر: "التفسير القرآني للقرآن" – لعبد الكريم يونس الخطيب (1004/3)، "مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد" – لمحمد بن عمر نووي الجاوي (241/1).

(2)انظر: "فتح القدير" – للشوكاني (622/1)، "محاسن التأويل" – للقاسمي (476/3).

في غير درك نفعٍ ورجع مغلوبًا مقهورًا محرويًا مسلوبًا، وأمّا الهالك فقُتل وسُلب وعُجّل به إلى نار الله يخلد فيها[1].

"والمذكور في سيرة محمد بن اسحاق[2] أنّه لما أصيبت قريش يوم بدر ورجعوا إلى مكّة ورجع أبو سفيان لعيره مشى رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلّموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة فقالوا: يا معشر قريش إنّ محمدًا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرًا لمن أصيب منّا، وقد ذكر ذلك عن ابن عباس -رضي الله عنه-".[3]

وينهى -سبحانه وتعالى- المؤمنين أن يكونوا كالكافرين المرائين لأعمالهم، الصّادّين عن سبيله، حيث قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (الأنفال:47).

في هذه الآية نهى -سبحانه وتعالى- المؤمنين أن يكونوا كالمشركين الذّين يحاربون مفاخرين قد بطروا معيشتهم ولا يهمهم إلا المراءاة في القتال والصّدّ عن سبيل الله.

فهذا تقدم من الله -جلّ جلاله- إلى المؤمنين به وبرسوله -صلى الله عليه وسلم- ألّا يعملوا عملاً إلا لله خاصة وطلب ما عنده لا رئاء الناس كما فعل القوم من المشركين[4]، "وذلك أنّه لمّا رأى أبو سفيان أنّه أحرز عيره، أرسل إلى قريش أنّكم خرجتم لتمنعوا عيركم فقد نجّاها الله فارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتّى نرد بدرًا، فنقيم بها ثلاثاً: فننحر الجزور ونطعم الطّعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القينان ويسمع

---

(1)انظر: "جامع البيان" – للطبري (529/13)، "تفسير المراغي" – للمراغي (204,205/9)، "فتح البيان في مقاصد القرآن" –لأبي الطيب القنوجي (171/5).

(2)محمد بن اسحاق :هُوَ الْحَافِظ الْكَبِير، إِمَام الْأَئِمَّة شيخ الإسلام، أَبُو بكر مُحَمَّد بن إِسْحَاق ابْن حزيمة بن الْمُغيرَة النَّيْسَابُورِي. ولد سنة 223 وعني فِي حداثته بِالْحَدِيثِ وَالْفِقْه حتّى صَار يضْرب بِهِ الْمثل فِي سَعَة الْعلم والإتقان، وانتهت إليه الْإِمَامَة وَالْحِفْظ فِي عصره بخراسان، سمع من إِسْحَاق بن رَاهَوَيْه، وَمُحَمّد بن حميد، وَلم يحدث عَنْهُمَا لصغره، وَسمع من مَحْمُود بن غيلَان وَأحمد بن منيع وَغَيرهم، وَحدث عَنهُ الشَّيْخَانِ خَارج صَحِيحَيْهِمَا، وَمُحَمّد بن عبد الله بن عبد الحكم أحد شُيُوخه وَغَيرهم. ومصنفاته تزيد على مائَة وَأَرْبَعين كتاب سوى الْمسَائِل، والمسائل المصنفة مائَة جُزْء. توفّي فِي ثَانِي ذِي الْقعدَة سنة311 وَهُوَ فِي تسع وَثَمَانِينَ سنة.(انظر:" نفض الامام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد" – لأبي سعيد السجستاني (33/1))

(3)"زهرة التفاسير" – لأبي زهرة (3123/6).

(4)انظر: "ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" – لأبي السعود (26/4)

بها العرب ولا يزالون يهابوننا أبدًا، فوافوها فسقوا كأس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القينان"[1]، فبصدّهم عن سبيل الله وإرادتهم أن يكون الشّرك هو الغالب فقد بيّن الله تعالى قدرته في ختام الآية أنّه يتّصف بالعلم والإحاطة، فأبطل الله بجلاله وعظمته أعمالهم فكل ما يعملونه في قبضته، وهذا تهديد لهم[2].

ويذمّ –ﷻ– المشركين الذّين باعوا الآخرة الباقية بالدّنيا الزّائلة بصدّهم عن سبيل الله فقال تعالى: ﴿اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (التوبة:9).

يقول جلّ ثناؤه أنّ هؤلاء المشركين باعوا الإيمان بعرضٍ من الدّنيا، وهو قليلٌ بجوار الحقّائق الخالدة التّي فيها الصّلاح في الدّنيا والآخرة، وإنّهم بسبب اختيارهم ذلك الثمن القليل وتركهم ذلك الحظّ الوفير من الحقّ وسلامة الفكر والهداية والرّشاد قد عدلوا عن الطّريق وصدّوا أنفسهم عنه وصرفوا غيرهم منه فصدّوا عن السّبيل القويم والهدى المستقيم.

ولقد بيّن –ﷻ– الحكم الصّادق عليهم حيث إنّهم بهذا العمل الذي تركوا فيه الآيات التّي تلوح بالحقّ وتبيّنه قد ساء فعلهم الذي استمرّوا عليه وهو يتجدّد آنًا بعد آنٍ فهو فعلٌ مستمرٌّ.[3]

والصدُّ عن سبيل الله حين تكون هناك دعوة معروضة بأدلّتها ليستمعوا إليها، فالكفّار يعرفون أنّ النّاس لو استمعوا للقرآن لآمنوا به، ولذلك فهم ينهونهم عن السّماع وإن قرأ أحدٌ القرآن فإنهم يأمرون بعضهم البعض باللّغو فيه حتّى لا يفهم منه شيئٌ، وهذه شهادة من الكفّار بأنّ الآذان لو استقبلت القرآن لآمنت، واللّغو هو نوعٌ من الصّدّ عن سبيل الله، وهناك نوع آخر من الصّدّ عن سبيل الله، حيث إنّهم يمنعون الناس من الاستماع إلى دعوة الرّسول –ﷺ– لأنّهم يعرفون أنّ حلاوة الدّعوة ستجعل من يستمع إلى دعوة الرّسول –ﷺ– يؤمن بها، ولذلك فهم يصدّون عن كلام الله تعالى والاستماع لرسوله –ﷺ–، وكانوا يقولون لأهل الحجيج: لا تصدّقوا هذا الرجل الذي يقول أنّه نبيٌّ، وهذه شهادة منهم أيضًا أنّ الآذان لو استقبلت القرآن لسحبت أفئدتهم إلى الإيمان وهذه شهادةٌ ضدّهم وليست لهم لأنّهم

---

(1)"التفسير المظهري" – لمحمد ثناء الله (98/4).

(2)انظر: "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" – للنيسابوري (405/3)، "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" – للسمين الحلبي (616/5).

(3)انظر: "تفسير الشعراوي" – للشعراوي (4980/8).

واثقون أنّ سماع الحجيج لدعوة الرّسول –ﷺ– ستبعدهم عن الكفر، لذلك كانوا يخافون أن يتأثّر النّاس بهذا الدّين الذي هو دين الحقّ فيؤمنوا به، وهذا ما جعلهم يصدونهم عنه [1].

وكذلك يصف الله تعالى الكافرين المفضّلين الدّنيا على الآخرة ويصدّون عن سبيله أنّهم قد بعدوا في الضّلالة فقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (إبراهيم:3).

في هذه الآية يصف –ﷻ– الكافرين بجملة من الصّفات الذميمة التّي أردتهم وأهلكتهم، فهم يختارون شهوات الحياة الدّنيا ويؤثرون لذائذها ومتعها على الدار الآخرة وما فيها من نعيم وخيرات، وكذلك لا يكتفون بهذا بل يضعون العراقيل في طريق دعوة الحقّ حتّى يبتعد النّاس عنها ويطلبون لها العوج والميل تبعًا لزيغ نفوسهم مع أنّها أقوم طريق وأعدل سبيل.

فهؤلاء الكافرون يقفون مترصّدين السّبيل يصدّون عنها لمنع النّاس منها وقد أشار سبحانه أنّ المحمّلين بهذه الأوصاف التّي استحبّوا بها الحياة الدّنيا وآثروها على الحياة الآخرة ورضوا بالدّنيّة عن الحياة العزيزة الكريمة في الآخرة، وصدّوا عن سبيل الله وبغوا الحقّ معوجًّا غير مستقيم، فهم قد أوغلوا في متاهة الباطل، فبعدوا بضلالهم وغابوا عن الحقّ وسواء السّبيل [2].

ويبيّن سبحانه جزاء الكافرين المفسدين الصّادّين عن سبيله بأنّ لهم عذابًا فوق العذاب فيقول تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (النحل:88).

في هذه الآية يبيّن سبحانه مصير الذّين لم يكتفوا بالكفر بل ضمّوا إليه رذائل أخرى، وهي أنّهم صدّوا غيرهم ومنعوهم عن سبيل الله وعن اتّباع صراطه المستقيم والطريق القويم وهو طريق الإسلام، والدعوة إلى الكفر وأسبابه والحمل عليه يكون أحيانا بالتّرهيب وأحيانا أخرى بالتّرغيب، فهؤلاء

(1)انظر: "بيان المعاني" – لعبد القادر العاني (149/6)،"الموسوعة القرآنية" – لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري (9/10).

(2)انظر: "اللباب في علوم الكتاب المكنون" – لأبي حفص النعماني (334/11)، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" – للبقاعي (373/10)، "زهرة التفاسير" لأبي زهرة (3985/8).

الأشقياء الذّين فعلوا ذلك سوف يزيدهم من عذابه فوق العذاب الذي يستحقّونه وذلك كله بسبب فسادهم في الأرض وكفرهم بالحقّ وصدّهم النّاس عن اتّباعه [1].

وكذلك يبيّن -ﷻ- أنّ سبب فساد الأقوام السّابقة إنّما كان بتزيين الشيطان لهم الأعمال وصدّهم عن السّبيل القويم، قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (العنكبوت:38).

في هذه الآية يخبر سبحانه أنّه أهلك عادًا وثمود بسبب كفرهم وعنادهم، كما أهلك غيرهم، والحال أنّه قد تبيّن لكم يا أهل مكّة وظهر لكم بعض مساكنهم وأنتم تمرّون عليهم في رحلتي الشتاء والصيف، والمقصود منها غرس العبرة والعظة في نفوس مشركي مكّة عن طريق المشاهدة لآثار المهلكين، فإنّه مما يحمل العقلاء على الاعتبار مشاهدة آثار التمزيق والتدمير بعد القوّة والتّمكين، وكذلك زيّن لهم الشيطان أعمالهم السيّئة بسبب وسوسته وتسويله فصدهم عن السّبيل الحقّ وعن الطّريق المستقيم.

وكانت عاد وثمود لهم عقول وكانوا يستطيعون فيها التّمييز بين الحقّ والباطل وبين الخير والشّر، ولكنهم لم يستعملوها فيما خلقت له وإنّما استحبّوا العمى على الهدى وآثروا الغيّ على الرّشد فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر [2].

ومن الآيات التّي تبيّن جزاء الصّادّين عن سبيله قوله تعالى: ﴿الذّين كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد:1).

هذه الآية افتتح الله بها سورة القتال التّي بها الذّمّ الشّديد للكافرين وبها الثّناء الكبير على المؤمنين، فهؤلاء المشركين الذّين أعرضوا عن الحقّ وحرّضوا غيرهم على الإعراض عنه فإنّ الله تعالى قد أبطل أعمالهم وأحبطها وجعلها ضائعة ذاهبة لا أثر لها ولا وجود، والمراد بهذه الأعمال ما كانوا يعملونه في الدّنيا من عمل حسنٍ كإكرام الضّيف وبرّ الوالدين ومساعدة المحتاج، فالذين كفروا

(1)انظر: "البحر المديد" – لابن عجيبة (156/3)، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" – للشنقيطي (426/2)، "أيسر التفاسير" – للجزائري (149/3).

(2)انظر: "تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (278/6)، "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية" – للشيخ علوان (104/2).

بالله تعالى وبكلّ ما يجب الإيمان به ومنعوا غيرهم من اتّباع دين الحقّ الذي أمر الله تعالى باتّباعه أضلّ الله أعمالهم وجعلها ذاهبة ضائعة غير مقبولة عنده ولن يثيب عليها كالضالّة من الإبل التّي هي مضيعة لا ربّ لها يحفظها يعتني بأمرها، أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم ومغلوبة بها [1].

وكذلك يبيّن تعالى بأنَّ الكافرين الذّين يموتون على الكفر لن يغفر لهم ذنوبهم وذلك بسبب صدّهم عن سبيله، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الذِّينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (محمد:34).

يقول تعالى ذكره:إنّ الذّين جحدوا وأنكروا توحيد الله وصدّوا النّاس عن دينه الذي ابتعث به رسله وشاقّوا وخالفوا رسوله –ﷺ– فحاربوه وآذوه من بعد ما علموا أنّه نبي مبعوث ورسول مرسل وعرفوا الطّريق الواضح بمعرفته وأنّه رسول لله، ولكنّهم صدّوا من أراد الإيمان بالله ورسوله عن ذلك وفتنوهم عنه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من ذلك، ثمّ ماتوا وهم على ذلك الكفر فلن يغفر الله لهم ما صنعوه وسيعاقبهم عليه ويفضحهم على رؤوس الأشهاد[2].

بعد هذا نجد أنّ الصّدّ عن سبيل الله الواضح البيّن كان منذ فجر الإسلام، فها هم اليهود والنصارى وكذلك المشركون قد حدّثنا القرآن الكريم عنهم وعن طرق صدّهم عن سبيل الله، فهم لا يألون جهدًا ولا يدّخرون وسيلة إلا ويستعملونها للصّد عن سبيل الله، ولكنّ الحقّ لا بدّ وأنّ ينتصر ولو بعد حين، فيصيّر الله تعالى من عباده من يحمل رسالة الحقّ ويظهرها على كلّ الخلائق لتظهر واضحة بيّنة وتكون حجّة على الذّين كفروا.

المطلب الثّالث: إضلال سواء السّبيل.

إنّ سواء السّبيل هو الطّريق المستقيم، فمن حاد عن هذا الوسط يمينًا أو يسارًا فقد ضلّ إلى متاهات لن يستطيع الخروج منها إلا بإذن الله، فهو طريق مليء بالعثرات ومليء بالشّياطين ووساوسهم من الجن والإنس، وقد بيّن تعالى أن من يحيد عن طريق الإيمان والإسلام فقد ضلّ سواء السّبيل،

(1)انظر: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" – للبيضاوي (119/5)، "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" – للنسفي (321/3).
(2)انظر: "جامع البيان" – للطبري (187/22)، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" – للثعلبي (38/9).

وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾(البقرة:108).

في هذه الآية يحذّر -ﷻ- من الاستماع إلى وساوس اليهود تثبيتًا لقلوبهم وتقوية لإيمانهم فيقول لهم: لا يصحّ لكم أيّها المؤمنون أن تقترحوا على رسولكم محمّد -ﷺ- مقترحات تتنافى مع الإيمان الحقّ كما تسألوه أسئلة لا خير من ورائها مثل أن تسألوا عن الآيات النازلة عليكم لإصلاح حالكم، لأنّكم لو فعلتم ذلك لصرتم كبني إسرائيل الذّين طلبوا من نبيّهم موسى -عليه السلام- بعد أن جاءهم بالبيّنات مطالب تدلّ على تعنّتهم وجهلهم فقالوا له:﴿ أَرِنَا اللَّهِ جَهْرَةً﴾ (النساء:153)، وقالوا له: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾(الأعراف:138)، فبعد أن رأوا المعجزات وشقّ الله البحر لهم وعبروا البحر وهم يشاهدون المعجزة، فلم تكن خافية عنهم بل كانت ظاهرة لهم واضحة دالّة دلالة دافعة على وجود الله -ﷻ- وعلى عظم قدرته[1]، ورغم هذا فإنّ اليهود قالوا لموسى -عليه السلام-:﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾(البقرة:55)، وكأنّما كانوا بمادّيّتهم يريدون أن يروا في حياتهم الدّنيوية من لا تدركه الأبصار، وبمجرّد أن عبروا البحر أرادوا أن يجعل لهم موسى صنمًا يعبدونه، وعبدوا العجل رغم كلّ الآيات التّي شاهدوها، وكانوا كذلك يسألون موسى -عليه السلام- عن سرّ هذه الآيات على وجه الإلحاح والاقتراح فجازاهم الله بمقتضى اقتراحهم، فيهيب الله تعالى بالمؤمنين أنّه لو صرتم مثلهم واقترحتم أيضا كما اقترحوا لكنتم ممن يختار الكفر الموهوم المذموم على الإيمان المحقق المجزوم، ولخرجتم عن الصّراط السوي المستقيم الذي يدعوكم إليه نبيكم محمد -ﷺ- لذلك يريد الله تعالى من المؤمنين أن يسيروا في الطّريق الممهد أو في وسط الطّريق لأنه أكثر أمانا لهم فهم فيه لن يضلّوا يمينًا ولا يسارًا بل يسيروا على منهج الله والإيمان، وطريق الإيمان دائمًا ممهّدٌ لا يقودهم إلى الكفر[2].

(1) انظر: "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية" – للشيخ علوان (47/1).

(2) انظر: "ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" – لأبي السعود (144/1)، "تفسير الشعراوي" – للشعراوي (523/1).

وقد بيّن تعالى نتائج الإضلال عن سواء السّبيل عند بني اسرائيل خاصّة وعند غيرهم عامّة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾(المائدة:60).

يقول تعالى ذكره في هذه الآية لنبيه محمد –ﷺ– : قل يا محمد لهؤلاء الذّين اتخذوا دينكم لعبًا وهزوًا من الذّين أوتوا الكتاب من قبلكم والذين ما هم فيه من العيب ما هو أولى من التّعييب وهو ما هم عليه من الكفر الموجب للعن الله وغضبه ومسخه، فقل لهؤلاء اليهود الذّين عابوا على المؤمنين إيمانهم بالله وبما أنزله من كتب سماوية والذين قالوا لكم: ما نعلم أهل دين أقل حظًا في الدّنيا والآخرة منكم، ولا دينًا شرًا من دينكم، فقل لهم على سبيل التبكيت والتنبيه على ضلالهم: هل أخبركم بشرٍ من أهل ذلك الدّين عقوبة عند الله يوم القيامة؟ هو من أبعده الله عن رحمته ومنع عنه رضاه ومسخ بعضهم قردة وبعضهم خنازير وجعل منهم من عَبَدَ كُلَّ معبود باطل من دون الله كالأصنام والأوثان وغير ذلك من المعبودات الباطلة التّي اتّبعوها بسبب طغيانهم وفساد نفوسهم [1].

ويقول الأستاذ طنطاوي: "الكلام مسوق على سبيل المشاكلة والمجاراة لتفكير اليهود الفاسد وزعمهم الباطل فكأنه سبحانه يقول لنبيه –ﷺ– إن هؤلاء اليهود يا محمد ينكرون عليكم إيمانكم بالله وبالكتب السماوية ويعتبرون ذلك شرًا –مع أنّه عين الخير– قل لهم على سبيل التبكيت وإلزامهم الحجة: لئِن كنتم تعيبون علينا إيماننا وتعتبرونه شرًا لا خير فيه في زعمكم، فشرٌ منه عاقبة ومئالًا ما أنتم عليه من لعن وطرد من رحمة الله وما أصاب أسلافكم من مسخ بعضهم قردة وبعضهم خنازير وما عرف عنكم من عبادة لغير الله..... وشبيه بهذه الآية في مجاراة الخصم في زعمه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ:24)" [2].

(1) انظر: "جامع البيان" – للطبري (437/10)، "فتح البيان في مقاصد القرآن" – لأبي الطيب القنوجي (7/4).
(2) "التفسير الوسيط" – (209/4).

فأولئك المتصفون بكل ما ذكر من الفسوق واللعن والطرد من رحمة الله هم شر مكانًا من غيرهم وأكثر ضلالًا عن طريق الحقّ المستقيم من سواهم، فهم في الدّنيا يشركون بالله وينتهكون محارمه وفي الآخرة مأواهم النار وبئس القرار[1].

وينهى سبحانه عن اتّباع الأقوام الضالّة لأنها تؤدّي إلى الانحراف عن الطّريق المستقيم، وذلك في قوله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحقّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ (المائدة:77).

في هذه الآية يأمر الله تعالى نبيّه الكريم –ﷺ–أن يناديَ أهل الكتاب الذّين تجاوزوا الحدود التّي تقرُّها الشرائع والعقول السليمة ؤيقول لهم: لا تتجاوزوا حدود الله تجاوزًا باطلًا كأن تعبدوا سواه مع أنّه هو الذي خلقكم ورزقكم، وكأن تصفوا عيسى بأوصاف هو بريء منها وقل لهم كذلك لا تتبعوا شهوات وأقوال قوم من أسلافكم وعلمائكم ورؤسائكم قد ضلّوا من قبل بعثة النبي –ﷺ– بتحريفهم للكتب السماوية وتركهم لتعاليمها جريًا وراء شهواتهم وأهوائهم، وأنهم كذلك لم يكتفوا بضلال أنفسهم بل أضلّوا أناسًا كثيرين سواهم ممّن قلّدهم ووافقهم على أكاذيبهم، فهم قد ضلّوا عن الطّريق الواضح الذي أتى به النبي –ﷺ– وهو طريق الإسلام، وذلك لأنهم لم يتبعوه –ﷺ– مع معرفتهم بصدقه بل كفروا به حسدًا له على ما آتاه الله من فضله[2].

ويقول الإمام الرازي: "أنّه تعالى وصفهم بثلاث درجات في الضّلال، فبين أنهم كانوا ضالّين من قبل، ثم ذكر أنهم كانوا مضلّين لغيرهم، ثم ذكر أنّهم استمرّوا على تلك الحالة حتّى إنّهم الآن ضالّون كما كانوا، ولا نجد حالة أقرب إلى البعد عن الله والقرب من عقاب الله تعالى من هذه الحالة....ويحتمل أن يكون المراد: أنهم ضلّوا وأضلّوا، ثم ضلّوا بسبب اعتقادهم في ذلك الإضلال أنّه إرشادٌ إلى الحقّ"[3].

---

(1) انظر: "الجامع لأحكام القرآن" – للقرطبي (235/6)، "محاسن التأويل" – للقاسمي (182/4).

(2) انظر: "صفوة التفاسير" – للصابوني (231/1)، "التفسير المنير" – للزحيلي (277/6)، "المنتخب في تفسير القرآن" – لجنة من علماء الأزهر(160/1)

(3) "مفاتيح الغيب" – (411/12).

ومن الآيات التّي تدعو إلى اتّباع الطّريق القويم وتذكر العوامل المؤدّية إليه، بحيث من حاد عنها ضلّ سواء السّبيل، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾ (المائدة:12).

في هذه الآية يخبر الله –ﷻ– أنّه أخذ العهود المؤكّدة على بني إسرائيل لكي يعملوا بما كلّفهم الله به من تكاليف وأمر نبيه موسى –عليه السلام– أن يختار منهم اثني عشر نقيبًا وأن يرسل هؤلاء النقباء إلى الأرض المقدسة لكي يطلعوا على أحوال ساكنيها ثم يخبروا نبيهم موسى–عليه السلام– بعد ذلك ما شاهدوه من أحوالها.

وقد أكد الله –ﷻ– على ما أخذه على بني اسرائيل من عهود للاهتمام بهذا الخبر ولترغيب المؤمنين في الوفاء بعهودهم مع الله تعالى حتّى لا يصيبَهم ما أصاب بني اسرائيل من عقوبات بسبب نقضهم لمواثيقهم.

وقد اختار موسى –عليه السلام– اثني عشر نقيبًا من بني اسرائيل لأنهم كانوا اثني عشر سبطًا وكلُّ نقيب كان بمنزلة الرقيب على االقبيلة التّي هو منها يُذَكِّرها بالفضائل ويرغبها في اتّباع موسى –عليه السلام– وينهاها عن معصيته، وقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وذكر أنّه معهم يعلم حالهم من طاعة أو عصيان فإنّه لا يخفى عليه أمرهم، وإنه محاسبهم على تنفيذ العقد والميثاق، وأنّه –ﷻ– يجزي بالحسنة الحسنى وبالسيئة السوءى، وإذا جاهدوا فالله تعالى معهم مؤيدهم بنصره إن اعتزموا ونصروه [1].

وهذا الالتزام الذي أوجبه ميثاق الله تعالى عليهم يتّصل بتهذيب النّفوس والتّعامل الاجتماعي والجهاد والإيمان، وقد ذكرهم –ﷻ– في خمسة أركان:

أوّلها: ما قاله سبحانه في صدر العهد ﴿**لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ**﴾،فالصلاة هي الركن الأوّل من الميثاق الربّاني الإلهي، وابتدأ بذكرها لأنّها طهارة النفوس وتزكية القلوب وبها تربية الضّمير الذي يكون جماعة مؤتلفة

(1) انظر: "تفسير القرآن بالقرآن" – لعبد الكريم يونس الخطيب (1551/3)،"التحرير والتنوير" – لابن عاشور (140/6).

وإقامتها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتربي في النفس روح الخير والإحساس بعظمة الله تعالى، ولا يمكن أن يكون الوفاء بالميثاق الإلهي من غير إقامة الصّلاة فإنها ركن كل دين وروح التدين الصّحيح وقوامه، وعبّر بإقامتها دون أدائها، لأنّ الصّلاة التّي تأتي بثمراتها هي الصّلاة الكاملة، التّي يأتي بها صاحبها مقومة غير ملتوية يتجه فيها بالنّيّة إلى الله تعالى، ويخلص فيها، لَا التّي تكون رئاء الناس، أو تؤدى على وجه العادة، لَا على وجه العبادة [1].

الرّكن الثّاني: من أركان ميثاق الله تعالى على بني إسرائيل، وخلقه عامة هو ﴿ **وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ** ﴾، وإذا كانت الصلاة تربية القلوب وتهذيب الوجدان ليندمج المؤمن في جماعته، فالزكاة فريضة تعاونية لسد حاجة الضعفاء، ولإيجاد تعاون بين الغني والفقير، فلا يكون الغني مملوء الجيب، والبطن، والفقير فارغ الجيب، أخمص البطن، فهي التعاون الكامل، وهذا يدل على أنّ الزكاة ليست في الإسلام فقط، بل هي في كل الأديان السماوية، وهي جزء من الميثاق الديني في كل الرسالات السماوية.

الرّكن الثّالث: ﴿ **وَآمَنتُم بِرُسُلِي**﴾، الإيمان بالرسل معناه الإذعان والتصديق، فمن ميثاق الله تعالى على بني إسرائيل وغيرهم الإيمان برسل الله تعالى بتصديقهم، والإذعان لما يدعون إليه فلا يقبلون بالبعض ويرفضون الآخرين، فيؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض؛ لأن رسالة الله واحدة، ورسل الله تعالى جاءوا جميعًا بشرع واحد في أصله، وإن اختلف في بعض فروعه، فعدم الإذعان لهم والتصديق بهم تمرد على الله تعالى وتكذيب، فمن يطعهم فقد أطاع الله تعالى، ومن يعصهم فقد عصى الله [2].

والرّكن الرّابع من أركان ذلك الميثاق القدسي: عبر الله تعالى عنه بقوله تعالى: ﴿ **وَعَزَّرْتُمُوهُمْ** ﴾ أي قوّيتموهم ونصرتموهم، فذلك فتح باب الجهاد الواجب لنصرة الرّسل، ونصرة الحقّ دائمًا، فالتعزير هو النّصر ويطلق على العقاب المانع من الضّرر، والتّعزير والنّصرة مع التّعظيم وعدم التهجّم عليهم أو الاستهزاء والسّخرية بهم.

والرّكن الخامس: هو ما عبّر عنه الله بقوله: ﴿**وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا** ﴾ وهو الإنفاق في سبيل الله تعالى عندما تحتاج نصرة الحقّ إلى جهاد في سبيله، وإعطاء الضعفاء ابتغاء مرضاة الله تعالى وكذلك

---

(1) انظر: "زهرة التفاسير" – لأبي زهرة (3074/4)

(2) انظر: "تيسير الكريم الرحمن" – للسعدي (225/1).

القيام بما طالب به من طاعات، بأداء ما عليه من واجب؛ لأنّ من يفعل ذلك ابتغاء مرضاته سبحانه فكأنما أقرض الله قرضًا حسنًا، والله سبحانه سيضاعفه في الأداء له أضعافًا كثيرة[1].

فإذا قام بنو اسرائيل بما يوجبه الميثاق عليهم فسوف يغفر لهم ما ارتكبوا من سيّئات ويستر ما قدموه من أعمال هي سيئة في ذاتها وسيئة لهم ولمجتمعهم وسيجزيهم سبحانه كذلك بادخالهم الجنّات التّي تجري من تحتها الأنهار، وبالمقابل من يجحد بآياته ونعمه وآلائه بعد ذلك الميثاق الغليظ الذي أُخذ عليهم والوعد الأكيد الذي وعدهم الله به فقد بعد عن السّبيل المستوية وسار في متاهات الضّلال التّي لا هداية بعدها، وهذا إنذار من الله تعالى بعد الميثاق لأنه هو الطّريق السّوي، فمن حاد عنه فقد ضلَّ وغوى وقد كانوا كذلك[2].

وكذلك يرشدنا سبحانه إلى البعد عن أعداء الله وعدم اتّخاذهم أولياء، لأن اتّباعهم في النهاية يؤدّي إلى إضلال سواء السّبيل وذلك في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّها الذّين آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الحقّ يُخْرِجُونَ الرّسول وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السّبيل** ﴾ (الممتحنة:1).

في هذه الآية يخاطب الله سبحانه المؤمنين بصفة الإيمان لتحريك حرارة العقيدة الدينية في قلوبهم ولحضّهم على الاستجابة لما نهاهم عنه، ويأمرهم ألا يتّخذوا عدوّه –وهم المشركون–،وقد قدّم سبحانه عداوته المشركين على عداوة المؤمنين لهم، لأنّ عداوة هؤلاء المشركين لله أشدُّ وأقبحُ حيث عبدوا غير خالقهم وشكروا غير رازقهم وكذّبوا رسل ربّهم وآذوهم، فاحذروا أيّها المؤمنون أن تعاملوا أعدائي وأعدائكم معاملة الأصدقاء والحلفاء بأن تظهروا لهم المودة فتلقوا إليهم بأخباركم التّي لا يجوز لكم اظهارها لهم بسبب مودتكم لهم، وبعد ذلك يسوق سبحانه الأسباب التّي من شأنها أن تحمل المؤمنين على عدم موالاة أعداء الله وأعدائهم، فهم قد كفروا بما جاءكم على لسان رسولكم –ﷺ– من

(1) انظر: "زهرة التفاسير" – لأبي زهرة (3076/4).

(2) انظر: "تيسير الكريم الرّحمن" – للسعدي (225/1).

الحقّ الذي يتمثّل في القرآن الكريم وهو ما أوحاه سبحانه إلى رسوله -ﷺ-[1]، ولم يكتف هؤلاء الكافرون بكفرهم بما جاءكم من الحقّ، بل تجاوزوا ذلك إلى محاولة إخراج رسولكم -ﷺ- وإخراجكم من مكّة من أجل إيمانكم بالله ربّكم وإخلاصكم العبادة له تعالى، فكلّ هؤلاء الكافرين كانوا متواطئين على تنفيذ هذا الخروج، بعضهم عن طريق التخطيط له، وبعضهم عن طريق التنفيذ الفعلي، فهذه الأسباب من أقوى الأسباب وأعظمها للتّشنيع على مشركي قريش ولإلهاب حماس المؤمنين من أجل عدم إلقاء المودّة إليهم [2].

وبعد ذلك يخاطبهم سبحانه بقوله: إن كنتم أيّها المؤمنون قد خرجتم من مكّة من أجل الجهاد في سبيلي ومن أجل طلب مرضاتي فاتركوا اتّخاذ عدوي وعدوكم أولياء واتركوا مودتهم ومصافاتهم، وبعدها يخاطبهم على سبيل العجب والتعجب ممن في قلبه موالاة لهؤلاء الكافرين بعد أن بيّن تعالى لهم ما يوجب قطع كل صلة بهم، فكيف ترسلون إليهم أخبار المسلمين سرًّا بسبب مودتكم لهم فتفعلون ما تفعلون من إلقاء المودّة إلى عدوي وعدوكم، ومن إسراركم بها إليهم، والحال أني أعلم منهم ومنكم ما أخفيتموه في قلوبكم وما أعلنتموه ومخبر الرّسول -ﷺ- بذلك[3].

وما دام الأمر كذلك فكيف أباح بعضكم لنفسه أن يطلع عدوي وعدوكم على ما لا يجوز إطلاعه عليه؟!

وبعد ذلك يختم سبحانه الآية الكريمة ببيان سوء عاقبة من يخالف أمره، وأن من يفعل ذلك الاتخاذ لعدوي وعدوكم أولياء ويلقي إليهم بالمودّة فقد أخطأ طريق الحقّ والصّواب وضلّ عن الصّراط المستقيم الموصل إلى مقصد التوحيد وبالغ في الانحراف والانصراف [4].

بعد هذا نستخلص أنّ إضلال سواء السّبيل لا يأتي هكذا، بل له أسباب مؤدّية إليه، فالإنسان المؤمن المتمسّك بالله والمعتصم بحبله والتارك لكل ما ينهى عنه سبحانه وعن كل ما حذر منه، فهو لا يضلّ الصّراط المستقيم ولا يحيد عنه، أما الإنسان المتّخذ لأعداء الله أولياء والمتّبع لسبيلهم الضّال المضل فهو حتمًا سيضلّ الصّراط المستقيم ويضيع في متاهات الطّريق الموحش المليء بالشرك والمشركين.

---

(1) انظر: "إرشاد العقل السّليم في مزايا الكتاب الكريم" – لأبي السّعود (235/8).

(2) انظر: "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية" – للشيخ علوان (405/2).

(3) انظر: "تفسير التستري" – للتستري (167/1)، "تفسير القرآن العزيز" – لابن أبي زمنين (375/4).

(4) انظر: "التفسير الوسيط" – للطنطاوي (324/14)، "التفسير المظهري" – للمظهري (259/9).

المطلب الرّابع: اتّباع سبيل الكافرين.

يعدُّ سبيل الكافرين من الطّرق المؤدية إلى الهلاك والدّمار، فسبيل الكافرين هو سبيل الشّيطان، وهو سبيل الكذب والخيانة والانحراف وفعل كل المحرمات، وقد ذمّ الله تعالى الكافرين وبيّن نواياهم السّيّئة تجاه المؤمنين الموحّدين فقال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الذّين كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ (العنكبوت:12).

في هذه الآية يبيّن –ﷻ– ما يزعمه أئمّة الكفر من دعاوٍ باطلةٍ حيث قالوا للذين آمنوا على سبيل التّضليل والإغراء اتبعوا سبيلنا وطريقنا الذي وجدنا عليه آباءنا وهو عبادة الأوثان والأصنام وسوف نحمل عنكم خطاياكم يوم القيامة إن كان هناك بعث وحساب بمقتضى زعمكم من أثقال ذنوبكم يوم العرض والجزاء، فاطمئنّوا أيّها المؤمنون إلى أنّنا لن نتخلّى عنكم ولن ننقض عهودنا معكم في حمل خطاياكم لو اتبعتمونا فتصيروا يومئذ مخففين بلا وزرٍ ولا ذنبٍ، وهذا غرض من أغراض المشركين ومحاولتهم أن يردّوا المسلمين عن دينهم بالشّك والمغالطة للّذين لم يقدروا على فتنتهم بالأذى والعذاب إمّا لعزتهم وخشية بأسهم مثل عمر بن الخطاب –ﷺ– وإمّا لكثرتهم حيث كثر المسلمون وأعيت المشركين حيلُ الصّدّ عن الإسلام [1].

ويقول الأستاذ سيد قطب: "وقد كان الذّين كفروا يقولون هذا تمشيًا مع قصورهم القَبَليّ في احتمال العشيرة للدّيّات المشتركة والتّبعات المشتركة، يحسبون أنهم قادرون على احتمال جريرة الشرك بالله عن سواهم وإعفائهم منها" [2].

وقد ردّ الله تعالى زعمهم هذا وأخبر أنّ هؤلاء الكافرين ما هم بحاملين بشي من خطايا غيرهم التّي زعموا حملها يوم القيامة وإنّهم لكاذبون في أقوالهم، وقد جاء التكذيب لهم بهذا الأسلوب المؤكد حتّى يخرس ألسنتهم ويمحو كل أثر من أقوالهم من الأذهان.

وقد أكّد الله سبحانه كذبهم أيضًا في قوله تعالى: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الذّين اتُّبِعُواْ مِنَ الذّين اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ** ﴾ (البقرة:166) [3].

---

(1) انظر: "التحرير والتنوير" – لابن عاشور (221/2).

(2) "في ظلال القرآن" – (2724/5).

(3) انظر: "التسهيل لعلوم التنزيل" – لابن جزي (123/2).

ويقول ابن عجيبة[1]: "وصفهم بالكذب لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذّين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف" [2].

هذا هو سبيل الشّر، سبيل الخداع والزّور والكذب، سبيل الكافرين، فهؤلاء الكافرون على استعداد تامّ لأن يقوموا بأي فعل ليصدّوا المؤمنين عن دينهم حسدًا لهم على ما آتاهم الله من فضله، فهم لم يستطيعوا أن يأتوهم بالقوة فاتّجهوا إلى اتّجاه آخر، وهو كذب الحديث وقطع الوعود التّي لم ولن يستطيعوا الإيفاء بها، فهؤلاء هم الكافرون وسبيلهم الفاسد.

المطلب الخامس: قطع السّبيل.

يعدُّ قطع السّبيل من الأمور المذمومة التّي حذّر منها الإسلام فهي فعلُ المفسدين في الأرض الناهبين لأموال الناس القاطعين الطّريق عليهم، والنّاشرين للُّرعب في قلوبهم، وقد ذكر سبحانه طائفةً من الناس كانوا يفعلون هذا الفعل القبيح، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (العنكبوت:29).

في هذه الآية الكريمة يقول تعالى مخبرًا عن قول لوط –عليه السلام– لقومه: إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النّساء وتقطعون السّبيل فتنهبون المال وتروّعون المارة وتعتدون على الرجال في الفاحشة كرهًا، وهي خطوة أبعد من الفاحشة الأولى إلى جانب السلب والنهب والإفساد في الأرض، وفضلًا عن كل ذلك فإنكم ترتكبون المنكرات في مجالسكم الخاصة وفي نواديكم التّي تتلاقون فيها، فكانوا يأتونها جهارًا وفي شكل جماعي متفقٍ عليه لا يخجل بعضهم من بعض، وهي درجة أبعد في الفحش وفساد الفطرة والتبجح والرذيلة إلى حد لا يرجى معه صلاح.

وقيل: " المعنى تتعرضون لأبناء السّبيل بالفاحشة حتّى انقطع الناس عن طريقكم، و روى أنّهم كانوا كثيرًا ما يفعلونها بالغرباء ويجبرونهم عليها، أو تقطعونها بالقتل وأخذ المال وكانوا يفعلون ذلك

(1) هو أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني الأنجري، مفسر صوفي مشارك من أهل المغرب، ولد سنة 1160هـ، وتوفي سنة 1224هـ، ودفن ببلدة أنجرة، له كتب كثيرة منها أزهار البستان. (انظر: "الأعلام" – للزركلي (245/1).

(2) "البحر المديد" – (290/4).

لكيلا يدخلوا فى بلدهم ولا يتناولوا من ثمارهم، أو تقطعون سبيل النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحرث" [1].

فنبيهم –عليه السلام– قد وصفهم بأوصاف كل صفة أقبح من سابقتها، والباعثُ لهم على ارتكاب تلك المنكرات هو انتكاس فطرتهم وفساد نفوسهم وشذوذ شهواتهم [2].

ويقول الأستاذ سيد قطب: "والظاهر أن لوطًا –عليه السلام– أمرهم في أول الأمر ونهاهم بالحسنى، وأنهم أصرّوا على ما هم فيه فخوفهم عذاب الله وجبههم بشناعة جرائمهم الكبرى"[3].

فكان جوابهم على نبيهم –عليه السلام– في غاية التبجح والسفاهة وهو أنهم قالوا له على سبيل الاستخفاف بوعظه وزجره ائتنا يا لوط بعذاب الله الذي تتوعدنا به إن كنت صادقًا في دعواك أنّك رسول وفي دعواك أن عذابًا سينزل علينا بسبب أفعالنا هذه التّي ألفناها وأحببناها، فالظاهر أن هؤلاء المجرمين قد قابلوا نصح نبيهم بالاستخفاف والاستهزاء وهم لم يقولوا هذا إلا وهم مصممون على اعتقاد كذبه [4].

من خلال ما سبق يتّضح أن قطع السّبيل من الأفعال التّي لا يفعلها إلا كلُّ كافر بالله جاحد لنعمه كافر برسله، فليس هناك مؤمن يتّبع أمر ربّه يقوم بهذا الفعل الشنيع وهو قطع الطّريق على الناس وترويعهم، لأنّ هذا ليس من الدّين القويم، فنشر الأمن والأمان في كل مكان هو رسالة الإسلام الحنيف فالواجب على كل مؤمن أن يتبع أمر ربّه ويبتعد عن أمر الشيطان الهاوي به إلى النيران.

المطلب السّادس: عدم الإنفاق في سبيل الله.

إنّ عدم الإنفاق في سبيل الله لهو البخل بعينه، حيث يستحقّ الإنسان البخيل أن يوصف بهذا الوصف الشّنيع، فهو بالإضافة لبخله على نفسه فهو يبخل على دينه ومجتمعه وأمّته من مال الله، وقدم ذمّ سبحانه الذّين يُدعون إلى الإنفاق ولكنّهم لا ينفقون أموالهم بخلًا في قوله تعالى: ﴿ **هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء**

(1) "روح البيان" – للإستنبولي (465/6).
(2) انظر: "الهداية إلى بلوغ النهاية" – لمكي بن أبي طالب (5620/9).
(3) "في ظلال القرآن" – (2733/5).
(4) انظر: "التفسير الوسيط" – لطنطاوي (32/11).

﴿ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (محمد:38).

في هذه الآية يخاطب الله تعالى المؤمنين ويقول لهم: ها أنتم أيّها المؤمنون المخاطبون المدعوّون للإنفاق في سبيل الله أي في الجهاد والزكاة وفي طريق الخير ﴿ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء﴾ أي: فبعضكم يبخل باليسير من المال ولا يستجيب لدعوة الإنفاق ومن يبخل في الإنفاق فإنّما يمنع نفسه الأجر والثواب ببخله ويعود وبال ذلك عليه، فإنه بالبخل يتغلب العدوّ عليكم فيذهب عزّكم وأموالكم وربّما أنفسكم.

والله هو صاحب الغنى المطلق المتنزه عن الحاجة إلى أموالكم، فهو الغني عن العباد وهم الفقراء إلى الله وما عنده من الخير والرحمة فهو سبحانه لا يأمر بالإنفاق لحاجته ولكن لحاجتكم وفقركم إلى الثواب.

ثم أبان الله تعالى سنته في الاستبدال بقوم قومًا آخرين أفضل منهم إن أعرضوا عن حمل الأمانة فقال محذرًا ومذكرًا ومهددًا إن تعرضوا عن الإيمان والتقوى وعن طاعة الله واتّباع شرعه يستبدل قومًا آخرين يكونوا مكانكم هم أطوع لله منكم فيكونوا سامعين مطيعين لله ولأوامره وليسوا أمثالكم في التولي عن الإيمان والتقوى وفي البخل في الإنفاق في سبيل الله [1].

وشرط سبحانه في الآية الاستبدال تولّيهم، لكنهم لم يتولوا فلم يستبدل قومًا غيرهم، وأرشدت الآية إلى عدّة أمور جديرة بالذكر وهي :

1.من بخل بتقديم شيء من ماله في سبيل الله كالجهاد وطرق الخير، فإنّما يبخل على نفسه، فيمنعها الأجر والثواب.

2. الله هو الغنيّ عن عباده وعن كل ما سواه، فليس بمحتاج إلى أموالهم، ولكنّ العباد أنفسهم هم الفقراء إلى الله –ﷻ– ، لتحصيل الثّواب والفضل الإلهي، فلا يقولوا: إنا أيضًا أغنياء عن القتال وعن

(1) انظر: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" – للثعالبي (244/5)، "التفسير الواضح" – لمحمد محمود حجازي (475/3)

معونة الفقراء، فالواقع أنّه لا غنىً لهم عن ذلك في الدّنيا والآخرة، أمّا في الدّنيا، فإنّه لولا القتال لقتلوا، بغزو الكفار واجتياح بلاد المسلمين، والمحتاج إن لم تدفع حاجته، قصد الغني وأخذ ماله، لا سيّما أن الشارع أباح للمضطر ذلك، وأما في الآخرة فالأمر ظاهر حيث يكون كل إنسان فقيرًا إلى فضل الله ورحمته، وفي حال الحساب، وهو موقوف مسئول في يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنونٌ.

3. أنذر الله تعالى عباده وحذّرهم من إهمال حمل المسؤولية والقيام بأعباء التكاليف، فهم إن أعرضوا عن الإيمان والجهاد والتقوى، استبدل قومًا غيرهم يكونون أطوع لله منهم، ثم يكونون أفضل وأمثل وأحسن منهم، وتلك هي سنة الله في خلقه، وليسوا أمثال المستبدل بهم في البخل بالإنفاق في سبيل الله. [1]

بعد هذا نجد أنّ البخل آفة لا بدّ أن يبتعد عنها العبد المؤمن، فهي ليست من صفات المؤمنين الموحّدين الطّائعين لأوامر الله المجتنبين لنواهيه، فلا يحصد البخيل إلا الذّم وهلاك ماله في الدّنيا، والعقاب في الآخرة وهو أشدُّ وأعظم.

المطلب السّابع: اتّباع السّبل.

يعدُّ اتّباع السّبل الضّالة المضّلة المؤدّية إلى الهلاك وترك سبيل الله الواضح المستقيم من الأمور التّي أكّد عليها القرآن الكريم والسنة النبوية المشرّفة حيث بيّن تعالى في كتابه العزيز وفي سنّة رسوله الكريم –ﷺ– السّبيل الواحد الواجب اتّباعه من بين السّبل المتعددة وحذّر من الحياد عنه وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (الأنعام:153).

في هذه الآية يبيّن سبحانه منهج الحقّ وطريق الاستقامة، لأنّ هذا هو الطّريق المستقيم، فاتّبعوه ولا تتّبعوا الطّرق المختلفة ذات المذاهب والأهواء والبدع والضّلالات، فيؤدي بكم إلى التفرّق والاختلاف، والانحراف عن دين الله الحقّ، ومنهجه الأمثل، ففي قوله:﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**﴾: أمر الله

(1) انظر: "التفسير المنير" – للزحيلي (140/26).

المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والتّفرقة، وأخبرهم أنّه إنّما هلك من كان قبلكم بالمراء والخصومات في دين الله [1].

"وقد أفرد سبحانه الصّراط المستقيم وهو سبيل الله، وجمع السّبل المخالفة له، لأن الحقّ واحد والباطل ما خالفه وهو كثير فيشمل الأديان الباطلة، والبدع الفاسدة، والشبهات الزائفة، والفرق الضالة وغيرها" [2].

فلا تحيدوا عن النّهج الذي رسمته لكم لأنّه هو الطّريق المستقيم الموصل إلى سعادة الدّارين واتّبعوه ولا تتّبعوا الطّرق الباطلة التّي نهاكم الله عنها حتّى لا تتفرقوا شيعًا وأحزابًا وتبعدوا عن صراط الله السّوي، فأمركم الله أمرًا مؤكدًا بذلك لتتجنّبوا مخالفته، وختم الآية بأن اتّباع سبيل الله وترك اتّباع السّبل هو الذي وصّاكم الله به لعلكم تتّقون اتّباع الكفر والضّلالة وتعملون لما جاءكم به هذا الدّين.

ويقول الزّحيلي: "وأرشدت الآية إلى أنّ كل ما بيّنه الرّسول –ﷺ– من دين الإسلام هو المنهج القويم، والصّراط المستقيم، وأرشدت أيضًا إلى وجوب الاتّحاد بين المؤمنين والتّلاقي بينهم على ما أمر الله به، والتحذير من الاختلاف والفرقة، واتّباع غير سبيل الله، وأنّ الله أهلك الأمم السابقة بالمراء والخصومات، ودلّت الآية أيضًا على أن كل ما كان حقًا فهو واحد." [3]

بعد هذا يتبين لكل إنسان عاقل السّبيل القويم الواضح من السّبل المتعددة المتفرقة التّي لا تؤدّي بالإنسان إلّا إلى مهاوي الردى، فهو سبيل للشيطان وأعوانه وسبيل لكل كافر متّبع له.

---

(1) انظر: "التفسير الوسيط" – لطنطاوي (222/5)

(2)"المنتخب في تفسير القرآن الكريم" – لجنة من علماء الأزهر(201/1).

(3)"التفسير المنير" – (106/8).

الفصل الثّالث

أسباب الإضلال وأسباب الهداية

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: أسباب الإضلال عن سبيل الحقّ

المبحث الثّاني: أسباب الهداية إلى السّبيل الحقّ

المبحث الأوّل: أسباب الإضلال عن سبيل الحقّ

وفيه اثنا عشر مطلبًا:

المطلب الأوّل: الكفر بعد الإيمان.

المطلب الثّاني: اتخاذ الأنداد.

المطلب الثّالث: تزيين الشيطان للأعمال.

المطلب الرّابع: اتّباع الهوى.

المطلب الخامس: اتّباع السّبل.

المطلب السّادس: موالاة الأعداء.

المطلب السّابع: طاعة السّادة والكبراء.

المطلب الثّامن: شراء الضلالة ولهو الحديث.

المطلب التّاسع: اتّباع غير سبيل المؤمنين.

المطلب العاشر: الزنا ومقدماته.

المطلب الحادي عشر: كراهية الجهاد بالمال والنفس.

المطلب الثّاني عشر: ظلم النّاس.

المبحث الأوّل: أسباب الإضلال عن سبيل الحقّ

تتعدَّدُ أسباب الإضلال عن سبيل الحقّ وتتّسع دائرتها في السّياق القرآني لتشمل الكفر بعد الإيمان، واتّخاذ الأنداد، وتزيين الشّيطان للأعمال، واتّباع الهوى والسّبل المتفرّقة، وموالاة الأعداء، وطاعة السّادة وشراء الضّلالة، واتّباع غير سبيل المؤمنين، وكذلك الوقوع في الزنى وكراهية الجهاد وظلم النّاس، وستتناولها الباحثة بالتّفصيل خلال المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: الكفر بعد الإيمان.

يعدُّ الإيمان بالله تعالى هو أساس التّوحيد وأساس الدّين، فمن آمن فله من النّعيم والخيرات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكن هنالك صنف من النّاس ينافق بالإيمان إمّا لقوّة أهل الإسلام وخشيته منهم، وإمّا لمصلحة يريدها من هذا النّفاق كالتجسس على المسلمين وغيرها، وهناك صنف من النّاس كذلك يؤمن ويتذوق حلاوة الإيمان، ولكن لمنفعة دنيوية زائلة يكفر ويرتد عن الإسلام، فهذا الصّنف من النّاس قد ذمّه تعالى في كتابه العزيز، إذ كثر في بني اسرائيل كفرهم بعد إيمانهم وبعد رؤية المعجزات، فيقول –ﷻ– في كتابه العزيز: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾ (المائدة:12).

هذه الآية الكريمة تعليم من الله تعالى لهذه الأمة وإنباء منه أنّه قد أخذ العهود والمواثيق على الأمم السالفة، ثمَّ أعلمهم بما أعدَّ لهم من الثّواب إن أوفوا بتلك العهود والمواثيق التّي أخذت عليهم، وبما أعدَّ لهم من العقاب إن نقضوا العهود التّي أخذ عليهم ليكونوا على حذر من نقضها، وليقيموا على وفائها [1].

(1)انظر: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" – للبيضاوي (119/2)، "التفسير الميسر" – لنخبة من أساتذة التفسير (109/1).

"وإنّه إنّما ذكر ما أخذ على أولئك من العهود والمواثيق ليكون ذلك آية من آيات رسالة سيدنا محمد -ﷺ- لأنّه إخبار عن الأمم السالفة وهو لم يشاهدها ولا حضرها، ليعلموا أنّه إنّما علم ذلك من الله"[1].

فهو سبحانه أخذ العهد والميثاق على بني إسرائيل بواسطة نبيّهم موسى -عليه السلام- ليعملُنّ بالتوراة التّي فيها شريعتهم التّي اختارها الله لهم وليقبلُنّها بجدٍّ ونشاط، وكذلك أمره الله تعالى أن يختار اثني عشر نقيبًا منهم، ويأخذ من كل سبط نقيبًا يكون كفيلًا بتنفيذ ما أُمروا به، وبعد هذا قال الله لموسى -عليه السلام- أن يقول لقومه إنّ الله معهم وناصرهم وحافظهم ومعينهم ومطّلع عليهم ومجازيهم على أعمالهم، وعاهدهم الله بالعهد الإلهي الشّامل ومضمونه: لئن أقمتم الصّلاة وأدّيتموها على الوجه الأكمل وأعطيتم زكاة أموالكم التّي تَزكو بها نفوسكم وتطهر، وآمنتم برسلي التّي سترسل لكم بعد موسى -عليه السلام- فصدقتموهم فيما يجيئونكم به من الوحي مثل داود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد -عليهم السّلام-، ونصرتموهم وآزرتموهم على الحقّ ومنعتموهم من الأعداء وأنفقتم في سبيل الله وابتغاء مرضاته زيادة على ما أوجبه عليكم بالزكاة[2].

فلئن فعلتم كل هذا لأكفّرنّ عنكم سيّئاتكم وأستر ذنوبكم وأمحوها ولا أؤاخذكم بها ولأدخلنّكم جنّات تجري من تحتها الأنهار وأدفع عنكم المحذور وأحصل لكم المقصود.

فمن جحد منكم شيئًا مما أمرته به وخالف هذا الميثاق بعد عقده وتوكيده فقد أخطأ الطّريق الواضح المستقيم الذي هو الدّين الذي شرعه الله تعالى لكم والذي رسمه الله تعالى لعباده الأبرار، وعدل عن الهدى إلى الضلال، فهو قد ضل ضلالًا لا شبهة فيه ولا عذر معه [3].

ومن الآيات التّي تبيّن أنّ هؤلاء الكافرين بعد إيمانهم سيكون جزاؤهم وحسابهم عسيرًا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾(النساء:137).

---

(1)"تأويلات أهل السنة" – للماتريدي(479/3)

(2)انظر: "التفسير المنير" – للزحيلي (125/6).

(3)انظر: "التفسير الواضح" – لمحمد محمود حجازي (492/1).

في هذه الآية الكريمة بيّن -ﷻ- حال الذّين يتكرّر منهم الكفر بعد الإيمان مرّات وكرّات، فإن ذلك يدلّ على أنّه لا وقع للإيمان في قلوبهم، إذ لو للإيمان وقع في قلوبهم لما تركوه لأدنى سبب، ومن لا يكون للإيمان وقع في قلبه فالظّاهر أنّه لا يؤمن بالله إيمانًا صحيحًا معتبرًا [1].

ويقول الإمام ابن كثير: "يخبر الله تعالى عمّن دخل في الإيمان ثم رجع عنه ثم عاد فيه ثم رجع واستمرّ على ضلاله وازداد حتّى مات، فإنّه لا توبة بعد موته ولا يغفر له، ولا يجعل له ممّا هو فيه مخرجًا ولا فرجًا ولا طريقًا إلى الهدى" [2].

وهذا يؤدّي إلى أن يكون الكلام في طائفتين إحداهما اليهود والأخرى النصارى، وهذا النّص أيضًا في مرضى القلوب والمنافقين الذّين اضطربت عقائدهم فهم يؤمنون أوّل النّهار ويكفرون آخره فيعتريهم قبس الإيمان فيهتدون حينًا فيؤمنون، ثم تعتريهم ظلمة نفوسهم فيكفرون ثم لا يزالون يتردّدون حتّى تنطفيء قبسات النّور من قلوبهم وبذلك يزدادون كفرًا، وذلك وصف دقيق للمترددين الحائرين يبتدئون بحيرة مضطربة بين النور والظلمة، ثمّ يوغلون في الظلام إيغالًا، وأولئك الذّين يترددون ذلك التردد ثم ينتهون إلى تلك النهاية الموغلة في الكفر لا تنالهم المغفرة فينفي سبحانه نفيًا مؤكدًا للغفران والهداية معًا، فالله لا يغفر لهم ولا يهديهم سبيلًا مستقيمًا بل هم في حيرة مستمرة [3].

ويقول أبو زهرة: "وبعد أن بيّن سبحانه حقيقة الإيمان لم يكن من حكمته وعلمه وكمال تدبيره أن يغفر لهؤلاء ولا أن يَهديَهم سبيلًا، والسّبب في ذلك أنّه لا تُتصوّر منهم التّوبة والرّجوع إلى الحقّ والإنابة إلى الله حتّى تكون منهم التّوبة النّصوح التّي تجبّ ما قبلها من الذنوب، إذ إنّ التوبة تكون لمن يقع في الذنب عن جهالة ثم يتوب قبل أن يوغل في الشّر ويفقد معه كل عناصر الخير، وكذلك لا يهديهم سبيلًا لأنّ الهداية تكون لمن لم يظلم قلبه ولمن أراد الهداية، وهؤلاء لا يريدونها فنفى الغفران ونفى الهداية بسبب أنهم أُركسوا في الشر وأحاطت بهم خطيئاتهم" [4].

---

(1)انظر: "جامع البيان" – للطبري (314/9).

(2)"تفسير القرآن العظيم" – (566/1).

(3)انظر: "تفسير القرآن" – للسمعاني (490/1)، "تفسير الراغب الأصفهاني" – للأصفهاني (196/4).

(4) "زهرة التفاسير" – (1906/4).

بعد استعراض هذه الآية الكريمة يتبين للباحثة أنّ من يكفر بعد إيمانه يستحقّ العذاب الأليم والخلود في نار جهنّم جزاء من الله –ﷻ– وأنّ الكفر بعد الإيمان من أسباب الإضلال عن السّبيل الحقّ.

المطلب الثّاني: اتّخاذ الأنداد.

إنّ اتخاذ الأنداد وعبادتها وترك عبادة الله تعالى يعدُّ من الإشراك به، وبذلك يضلُّ الإنسان عن طريق الهداية ويحيد عنه ويتّبع طريق الغواية وطريق الشّيطان، ومن الآيات التّي تبين جزاء المتّخذين مع الله أندادًا قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ**﴾ (إبراهيم:30).

في هذه الآية يبيّن سبحانه لونًا من ألوان أعمال الكفّار القبيحة وعقائدهم الباطلة، فهؤلاء الخاسرين جعلوا لله تعالى أمثالًا ونظراء ليصرفوا غيرهم عن الطّريق الحقّ والصراط المستقيم الذي هو إخلاص العبادة لله وحده.

وسبب جعلهم لله أندادًا ليستمروا في ضلالهم، فإنّهم حين جعلوا الأنداد لله تعالى كانوا ضالّين وجهلوا ذلك فاستمروا في ضلالهم توهمًا منهم أنّهم على صواب، فالضّلال والإضلال كان نتيجة اتّخاذ الأنداد [1].

وبعد ذلك يأمر الله تعالى نبيه محمدًا –ﷺ– بأن يهديهم ويقول لهؤلاء الخاسرين تمتّعوا بما شئتم التّمتّع به من شهوات ولذائذ، فإن مصيركم إلى النّار لا محالة [2].

ويقول طنطاوي: "ولمّا كان هذا حالهم وقد صاروا لفرط تهالكهم عليه لا يقلعون عنه، جعل سبحانه الأمر بمباشرته مكان النّهي عن قربانه إيضاحًا لما تكون عليه عاقبتهم وأنّهم لا محالة صائرون إلى النار" [3].

---

(1)انظر: "الجامع لأحكام القرآن" – للقرطبي (365/9).

(2)انظر: "مفاتح الغيب" – للرازي (95/19).

(3)"الوسيط" – (557/7).

وكذلك من الآيات التّي تبيّن أنّ اتخاذ الأنداد سبب من أسباب الإضلال عن السّبيل الحقّ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَا رَبّه مُنِيبًا إليه ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إليه مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (الزمر:8).

في هذه الآية بيّن سبحانه حال الإنسان حيث أنّه إذا نزل به ضر من مرض أو غيره من المكاره أسرع إلى الله تعالى بالدعاء والإنابة والتّضرّع وترك الآلهة التّي كان يدعوها في حالة الرّخاء، كما قال تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إليه إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام:41)، وبعد ذلك يبيّن سبحانه حال ذلك الإنسان بعد أن كشف الله تعالى عنه الضُّر، فإذا ما كشفنا عنه ضرّه أعطيناه نعمًا عظيمة على سبيل التفضل منا نسي الضر الذي كان يتضرع إلينا من قبل لِنُزيله عنه ونسي الخالق –ﷻ– الذي كشف بقدرته ذلك الضُّر [1].

" وهذا موقف متناقض من الكفّار، فإذا أصاب الكافر شدّة... تَضرَّعَ راجعًا إليه منيبًا مستغيثًا به في تفريج كربته وكشف ما نزل به، ثم إذا منحه نعمة أو أعطاه وملّكه وصار في حال رخاء ورفاهية نسي ذلك الدعاء والتّضرّع ونسي ربّه الذي كان يدعوه من قبل"[2].

ولم يكتف بهذا النسيان بل جعل لله تعالى أندادًا وأمثالًا وأشباهًا ونظائر يعبدها من دونه ليصير وتكون نتيجته وعاقبته الضّلال والإضلال، يُضِلُّ نفسه ويُضِلُّ الناس بعمله هذا، ويمنعه من توحيد الله والدخول في الإسلام، فسبيل الله: الإسلام والتوحيد، والأنداد: الأوثان والأصنام، ويختم –ﷻ– الآية ببيان سوء عاقبة هذا الإنسان المشرك، ويقول: قل أيّها الرّسول الكريم لهذا الإنسان الذي جعل لله شريكًا في العبادة تمتع بكفرك تمتعًا قليلًا وزمانًا قليلًا، فمتاع الدّنيا قليل، إنّك من أصحاب النّار الملازمين لها والخالدين فيها أبدًا ومصيرك إليها قريب [3].

---

(1)انظر: "جامع البيان" – للطبري (263/21).

(2)"التفسير المنير" – للزحيلي (258/23).

(3)انظر: "معاني القرآن" – للزّجّاج (346/4)، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" – للثعلبي (223/8).

هذا جزاء الكافرين المتّخذين مع الله أندادًا، جزاؤهم العذاب الأليم في نار جهنّم جزاء ما كانوا يفعلون ويكفرون بالله، فهم اتّبعوا طريق الشيطان والضّلالة والغواية، فما كان جزاؤهم إلا النّار وكفى به من جزاء.

المطلب الثّالث: تزيين الشيطان للأعمال.

يزيّن الشيطان للإنسان الشّرك والمعاصي بجميع أحوالها وصفاتها، فالشّيطان يُظهر للإنسان الباطل في صورة الحقّ، والحقّ في صورة الباطل، ويزيّن لهم المعاصي والأعمال المنكرة والمحرمة التّي تخالف ما أمرهم به الله وما أمرهم به أنبياؤهم فصدّهم عن الهداية، وأقفل نور البصيرة لديهم فأصبحوا بطاعتهم للشّيطان من الخاسرين، ومن الآيات التّي تدل على أن تزيين الشيطان للأعمال من أسباب الإضلال عن السّبيل الحقّ قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ(23) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ**﴾ (النمل:24,23).

في هذه الآية الكريمة يحكي سبحانه عن قوم سبأ وملكتهم التّي كانت ومعها قومها يتركون عبادة الله تعالى ويعبدون الشمس التّي هي من مخلوقاته –ﷻ–، فعبادتهم لها دليل على فساد تفكيرهم واستجابة لدعاة السّوء بينهم وذلك باستيلاء الشيطان على قلوبهم فزيّن أعمال السوء وحسّنها لهم حتّى ظنّوا أنّها الخير وحدها وأن ما عداها باطل، وهم أيضا قد مكّنوا الشيطان من أنفسهم فصدّهم عن السّبيل القويم وجعلهم يسلكون طريق الكفر والفسوق، فلذلك لا يهتدون إلى عبادة الله تعالى الذي لا معبود بحق سواه [1].

وكذلك من الآيات التّي تتحدّث حول نفس المعنى قوله تعالى: ﴿**وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ**﴾ (العنكبوت:38).

في هذه الآية يذكر سبحانه قوم عاد وثمود الذّين أهلكهم الله فيقول: وأهلكنا عادًا قوم هود –عليه السلام–، وكانوا يسكنون بلاد الأحقاف وهي قريبة من بلاد اليمن، وثمود قوم صالح وكانوا يسكنون

(1)انظر: "تفسير المراغي" – للمراغي (130/19)، "الموسوعة القرآنية" – لإبراهيم الأبياري (460/10)، "تفسير الشعراوي" – للشعراوي (1773/17).

الحجر قريبًا من واد القرى مع ما كانوا عليه من العتوّ والتّكبر، وكانت العرب تعرف مساكنهم معرفة تامة وتمر عليهم كثيرًا وترى ما حل بهم، وما سبب ما جرى عليهم إلا أن زيّن لهم الشيطان أعمالهم من عبادة غير الله، وتكذيب الرّسل وقد جاءتهم بالآيات البينات المفيدة للبصيرة فكذّبوهم وجادلوهم، وصدهم الشيطان عن الطّريق السويّ الذي يوصلهم إلى النجاة، وقد كانوا متمكّنين من النظر والاستبصار فلم يكن لهم عذر في الغفلة وعدم التّدبّر في العواقب [1].

ويقول ابن القيّم في سياق حديثه عن مكائد الشيطان: "وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم، فإنّه يجري منه مجرى الدّم حتّى يصادف نفسه ويخالطها ويسألها عمّا تحبّه وتؤثره، فإذا عرفه استعان بها على العبد ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك على إخوانه وأوليائه من الإنس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم البعض أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبّونه ويهوونه، فإنّه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه" [2].

هذا ما يفعله الشّيطان ببني آدم، فقد زيّن لهم أعمالهم وحسّنها في أعينهم وحبّبها إلى قلوبهم، ولا يزال يحسّن للإنسان الباطل ويكرّهه بالحقّ حتّى يندفع إلى فعل المنكرات ويعرض عن الحقّ، فيزيّن المنكر حتّى يصبح معروفًا، ويزيّن المعصية حتّى يغري النّاس بها وينغمسوا في حبّها، لأنّ المعاصي كلّما إزداد الإنسان فيها شربًا، كلّما ازداد لها عطشًا، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر:39).

(1)انظر: "فتح القدير" – للشوكاني (234/4)، "محاسن التأويل" – للقاسمي (555/7)، "تيسير الكريم الرّحمن" – للسعدي (630/1).

(2)"إغاثة اللهفان" – (112/1).

المطلب الرّابع: اتّباع الهوى.

إنّ اتّباع الإنسان لهواه وترك ما أمر الله به وما أرسل به رسله الكرام من الأمور التّي تودي بالإنسان إلى سبيل الضّلال والغواية، فهو يُضلّ نفسه ويضلّ غيره، فيبوء بإثمه وإثم غيره باتّباعه لهواه، واتّباع غيره له، وقد ذمّ تعالى المتّبعين لهواهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحقّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ (المائدة:77).

في هذه الآية يرشد سبحانه أهل الكتاب إلى طريق الحقّ وينهاهم عن الغلوّ الباطل، فأهل الكتاب قد غالوا في شأن عيسى –عليه السلام–، وأمّا اليهود فقد كفروا به ونسبوه إلى الزنى وافتروا عليه وعلى أمّه افتراءً شديدًا، وأمّا النّصارى فقد وصفوه بالألوهية فوضعوه في غير موضعه الذي وضعه الله فيه وهو منصب الرسالة، وكما غالوا في شأن عيسى –عليه السلام– فقد غالوا أيضا في تمسّكهم في عقائدهم الزائفة مع أن الدّلائل الواضحة قد دلّت على بطلانها وفسادها، فيقول سبحانه لنبيه –ﷺ– : قل يا محمّد لأهل الكتاب الذّين تجاوزوا الحدود التّي تقرّها الشرائع والعقول السليمة لا تتجاوزوا حدود الله تجاوزًا باطلًا كأن تعبدوا سواه مع أنّه هو الذي خلقكم ورزقكم [1].

فهو سبحانه ينهى أهل الكتاب عن الاستمرار في الاتّباع لقوم قد ثبت ضلالهم قديمًا، وكانوا من قبل في ضلال بعيد وهم عبدة الأوثان ومن كان على شاكلتهم ممن اخترعوا آلهة على هواهم لا على منطق استقاموا عليه، ولا على نور من السماء اهتدوا بهديه وقد سلكوا مسلكهم فأدخلوا الوثنية في دينهم واتبعوا فلسفة ضالة مضلّة [2].

"وهؤلاء الذّين اتّبعوا أهواءهم وضلّوا بسبب ذلك وأضلوا خلقًا كثيرًا حتّى شاع بينهم الانحراف عن الطّريق، فكانت وثنية اليونان والرومان والفلاسفة هي التّي أضلت خلقًا كثيرًا، فالضّلال الأوّل هو ضلال الوثنية من قبل، وهي التّي أضلّت النصارى، والضّلال الأخير هو عدم خضوعهم لحكم النّبي

(1)انظر: "لباب التأويل في معاني التنزيل" – للخازن (67/2)، "الدر المصون في علوم الكتاب المكون" – للسمين الحلبي (380/4).

(2)انظر: "تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (159/3)، "اللباب في علوم الكتاب" – لأبي حفص النعماني (466/7).

-ﷺ- وتركهم سبيل المؤمنين الذي كان فيه القصد والاعتدال، فتأثُّرهم بأهواء من ضلّوا من قبل وأضلّوا جعلهم يأخذون طريق الضلال الأخير وهو عدم الأخذ بهداية الرّسول -ﷺ-"[1].

وقد بيّن الله-ﷻ- عقوبة الإضلال عن السّبيل الحقّ، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص:26).

في هذه الآية الكريمة يخاطب سبحانه داود -عليه السلام- بأنّه استخلفه حاكمًا بين الناس في الأرض فله السلطة والحكم وعليهم السمع والطاعة.

ويبين سبحانه لداود -عليه السلام- قواعد الحكم تعليمًا لغيره من الناس: وهي أن يقضيَ بين النّاس بالعدل الذي قامت به السماوات والأرض وهذه أُولى وأهمّ قواعد الحكم، ويأمره تعالى ألا يتّبع الهوى، فلا يُملِ في الحكم مع أهواء نفسه أو بسبب مطامع الدّنيا، فإن اتّباع الهوى مزلفة ومدعاة إلى النار وهو سبب في الوقوع في الضلال والانحراف عن جادّة الحقّ وما عاقبته إلا الخذلان [2].

ويبيّن سبحانه أن الذّين يتنكّبون طريق الحقّ والعدل لهم عقاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم أهوال ذلك اليوم وما فيه من حساب دقيق لكل إنسان وبسبب تركهم العمل لذلك اليوم ومنه القضاء بالعدل [3].

"فالآية وصيّة من الله -ﷻ- لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحقّ ولا يحيدوا عنه فيضلّوا عن سبيل الله، وقد توعد الله تعالى من ضلّ عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والحساب الشّديد" [4].

---

(1)"زهرة التفاسير" - لأبي زهرة (2317/5).

(2)انظر: "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" - للنسفي (152/3)، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" - للبقاعي (368/16).

(3)انظر:"الدر المنثور في التفسير بالمأثور" - للسيوطي (170/7).

(4)"التفسير المنير" للزحيلي (122/23).

نعم إنّ اتّباع الهوى لا يعود على الإنسان إلا بإضلال سواء السّبيل، وكذلك الحساب الشّديد يوم القيامة والعذاب في نار جهنّم وبئس المصير، فالأحرى بالإنسان أن يعمل عقله ويوجّهه لما ينفعه في دينه ودنياه، وأن يتّبع ما أمره الله به، وأن ينتهي عمّا نهاه عنه، فيفوز بالجنّة التّي وعد الله بها عباده المخلصين.

المطلب الخامس: اتّباع السّبل.

إنّ اتّباع سبل الشّيطان المتعدّدة الفروع والجهات وترك سبيل الله المستقيم من الأسباب التّي توصل الإنسان إلى ضلال الطّريق القويم، وتجعله يهوي في سبل مذمومة لا نهاية لها إلا غضب الله وسخطه وعذابه، وقد حذّر تعالى من اتّباع سبل الشّيطان والحياد عن سبيله المستقيم في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السّبل فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:153).

في هذه الآية يبيّن سبحانه أنّ صراطه المستقيم يدخل فيه كل ما بيّنه الرّسول –ﷺ– من دين الإسلام وهو المنهج القويم والصراط المستقيم، ويأمر المؤمنين بأن يتّبعوا جملته وتفصيله وأن لا يعدلوا عنه فيقعوا في الضّلال.

فاتّباع السّبل الضالّة يكون بعدم الالتزام بأوامر الله ونواهيه التّي هي شريعته وهي صراطه المستقيم الذي دعا الله عباده إلى الاستقامة عليه، فمن عَدَلَ عن صراط الله المستقيم واتّبع السّبل المنحرفة فقد ضَلَّ وغوى وكان من الهالكين [1].

يقول عبد الكريم يونس الخطيب:

"والتّعبير عن الطّرق الخارجة عنه بالسّبل إشارة إلى أن طريق الله طريق مُعَدٌّ ومهيؤٌ للسّالكين تقوم عليه منارات الهدى وإشارات الهداية، أمّا هذه السّبل التّي لا تستقيم على هذا الصّراط فهي طرق لا معلم لها ولا إشارة عليها يركبها الرّاكب فيتخبّط ويتعثّر ويضلُّ، ولهذا جاء التّعبير عن صراط الله بلفظ

(1)انظر: "زاد المسير في علم التفسير" – للجوزي (93/2)، "مفاتح الغيب" – للرازي (186/14)، "التحرير والتنوير" – لابن عاشور (175/8).

المفرد لأنّه واحدٌ لا غير، إذ الحقّ حقٌّ وجهه واحدٌ وطريقه واحدٌ، وأمّا الباطل فهو أباطيل متعدد الوجوه مختلف السّبل" [1].

فإذا اتّبع السالك طريق الله وجعل رجاءه التّقوى فقد صار من المتّقين الذّين وصفهم الله تعالى بهذه الصّفة.

بعد هذا نرى أنّه تعالى قد حذّر من اتّباع السّبل الضالّة المضلّة، وأمر عباده المؤمنين بتقواه في السّرّ والعلن ليحفظهم من كيد الشّيطان وغوايته فلا يجعل له عليهم سبيلًا.

المطلب السّادس: موالاة الأعداء.

أمر الله تعالى المؤمنين المخلصين له ولعبادته أن يتّبعوا أوامره وينتهوا بنهيه، فمن والى أعداء الله ورسوله والمؤمنين فقد عصى أمر ربّه وحاد عن طريقه المستقيم، واتّبع طريق الكافرين طريق الغواية والضّلال، فموالاة الأعداء ونصرتهم من غير إكراه هي أشدّ أنواع الأذى للمؤمنين، وقد نهى تعالى عن موالاة الأعداء في قوله: ﴿يَا أَيُّها الذّين آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الحقّ يُخْرِجُونَ الرّسول وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السّبيل﴾ (الممتحنة:1).

في هذه الآية يخاطب الله تعالى المؤمنين ويقول لهم: بمقتضى اتّصافكم بالإيمان بالله وبوحدة ذاته وكمالات أسمائه وصفاته فلا تتخذوا أعدائه وهم الذّين خرجوا عن عروة عبودتي بإثبات الوجود لغيري، فلا تتخذوهم أنصارًا وأصدقاءً وأعوانًا لكم توصلون إليهم أخبار النبي -ﷺ- بسبب المودة التّي بينكم وبينهم، فلا توالوهم بأي وجه من الوجوه، ونظير الآية قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّها الذّين آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ... ﴾ (المائدة:51)، وقوله تعالى:﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:28) [2].

---

(1)"التفسير القرآني للقرآن" – (348/4).

(2)انظر: "زاد المسير في علم التفسير" – للجوزي (267/4)، "غيث الأماني في تفسير الكلام الرباني" – للكوراني (142/1)، "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية" – للشيخ علوان (405/2).

يقول الزّحيلي: "والآية تتضمّن تهديدًا شديدًا ووعيدًا أكيدًا، وسبب النهي هنا أمران: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الحقّ يُخْرِجُونَ الرّسول وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾، أي أنّهم كفروا بالله تعالى والرّسول -ﷺ- وما جاءكم من القرآن والهداية الإلهية وأخرجوا الرّسول -ﷺ- والمؤمنين من مكة من أجل إيمانهم بالله وإخلاص عبادتهم لله تعالى كما جاء في آية أخرى: ﴿الذين أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (الحج:40)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (البروج:8)"[1].

وبعد ذلك يحرّض -ﷻ- على الامتناع عن الموالاة ويقول لهم لا تتخذوهم أولياء إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي مبتغين رضواني عنكم ولا توالوا أعدائي وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقًا عليكم وسخطًا لدينكم فلا تُسِرُّوا إليهم بالأخبار وخطط النبي -ﷺ- والمؤمنين بسبب المودّة وتفعلون ذلك وأنا العالم بالسّرائر والضّمائر والظّواهر والأعلم من كل أحد بما تخفون وما تعلنون.

وبعد كل ذلك من يوال الأعداء منكم فقد أخطأ طريق الحقّ والصّواب وحاد عن قصد السّبيل التّي توصل إلى الجنّة والرّضوان الإلهي [2].

ها هو جزاء الموالين لأعداء الله ورسوله -ﷺ- والمؤمنين، فقد حذّرهم الله وأمرهم بعدم موالاة غيره وغير المؤمنين، ولكنّهم عصوا أمر الله وأمر رسوله -ﷺ-، فما كان جزاؤهم إلا أن حرموا مغفرة الله ورضوانه وجنانه.

المطلب السّابع: طاعة السّادة والكبراء.

إنّ طاعة السّادة والكبراء العادّين أنفسهم أنّهم أحكم الناس وأفقههم وما هم إلا عباد للشيطان ومتّبعين لأمره لهي من الأسباب المؤدية إلى ضلال سواء السّبيل، فاتّباعهم هو الشّر بعينه، فمن رضي لنفسه أن يُعطّل عقله عن التفكير وأن يتّبع أفكار غيره بخيرها وشرها فقد استحقّ العذاب الأليم،

(1)"التفسير المنير" – (121/28).

(2)انظر: "تفسير القرآن" – للعز بن عبد السّلام (307/3)، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" – لأبي السعود (236/8).

وقد ذكر تعالى هذا الصّنف من النّاس حيث قال: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ (الأحزاب:67).

في هذه الآية يبيّن سبحانه قول الكافرين واعتذارهم عندما يدخلون إلى نار جهنّم ويذوقوا العذاب الأليم فيصف سبحانه حالهم، فيقول الكافرون حينئذٍ وهم في عذاب جهنم: يا ربنا إنا أطعنا في الشرك والكفر رؤساءنا وقادتنا وعلماءنا وخالفنا الرّسل واعتقدنا أنهم محقون فيما يقولون، فأخطؤوا بنا سواء الطّريق وأضلّونا عن طريق الهدى بما زيّنوا لنا من الكفر بالله ورسوله وعدم الإقرار بالوحدانية وإخلاص الطاعة لله تعالى، فطاعتنا لهم جعلتنا نعيش ضالّين ونموت كافرين ونحشر يوم القيامة مع المجرمين.

فهذه الشّكوى والاعتذار منهم تكون يوم لا تسمع شكوى ولا يقبل اعتذار وإنّما هي الحسرة على ما كان وأمنية ضائعة لا موضع لها ولا استجابة فقد فات الأوان [1].

ويقول أبو الطّيب القنّوجي[2]: "والتّعبير عنهم بعنوان السّيادة والكبر لتقوية الاعتذار وإلّا فهم في مقام التحقير والإهانة، وفي الآية زجرٌ شديدٌ عن التقليد، وكم في الكتاب العزيز من التّنبيه على هذا والتّحذير منه والتّنفير عنه، ولكن لمن يفهم معنى كلام الله ويقتدي به وينصف من نفسه لا لمن هو من جنس الأنعام في سوء الفهم ومزيد البلادة وشدة التعصب" [3].

ويقول ابن كثير: "إنا اتّبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة وخالفنا الرّسل واعتقدنا أن عندهم شيئًا وأنهم على شيء، فإذا هم ليسوا على شيء" [4].

---

(1)انظر: "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" – للثعلبي (65/8)، "النكت والعلوم" – للماوردي (426/4)، "لطائف الإشارات" للقشيري (171/3).

(2) هو محمد صديق خان بن حسين بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب من رجال النهضة الإسلامية المجددين، نشأ في القنوج بالهند، وتعلم في دهلي، له نيف وستون مصنفا بالعربية والفارسية والهندوسية، منها: حسن الأسوة فيما ثبت عن الله ورسوله في النسوة، وتوفي سنة 1307هـ. (انظر: "الأعلام" – للزركلي (167/6)

(3)"فتح البيان في مقاصد القرآن" – (150/11).

(4)"تفسير القرآن العظيم" – (484/6).

هذا هو جزاء المتّبعين للسّادة والكبراء طاعة عمياء لا إعمال للفكر فيها، وإنّما يكون هذا الإنسان إمّعة لأفكار غيره، فكلّ إنسان له عقل يميّز به الصّحيح من السّقيم، فعند إبطال عمل هذا العقل واتّباع من يعتقد أنّ رأيهم الصّواب وإن خالف الصّواب فقد استحقّ العذاب الشّديد.

المطلب الثّامن: شراء الضّلالة ولهو الحديث.

هناك صنف من النّاس يريد إضلال غيره عن سبيل الله المستقيم، ولكنّه يتّجه اتّجاهًا آخر، وهو أن يتكلم بالنّاس بكلام كلّه ضلال وغواية، فكأنّه شيطان في صورة إنسان، فجزاء هذا الضّال المضل أن يضلّه تعالى عن صراطه المستقيم حيث قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ (النساء:44).

في هذه الآية يخاطب سبحانه النبي –ﷺ– ويقول له: ألم ينته علمك إلى حال هؤلاء الأحبار من اليهود الذّين أُعطوا حظًا ومقدارًا من علم التوراة، وإن كنت لم تعلم أحوالهم ولم تنظر إليهم فهاك خبرهم وتلك هي حقيقتهم، فهم الذّين أُعطوا جزءًا من التوراة وهي الكتاب الإلهي، ثم استبدلوا الضلالة بالهدى ويؤثرون الكفر على الإيمان، ويعرضون عمّا أنزل الله على رسوله، ويتركون ما بأيديهم من الأحكام كالكذب وإيذاء الناس وأكل الرّبا ومن العلم عن الأنبياء السابقين في صفة محمد –ﷺ– ليشتروا بما اصطنعوه من الطقوس والرسوم ثمنًا قليلًا من حطام الدّنيا ويريدون أن تضلّوا معهم الطّريق المستقيم فتكفرون بما أنزل عليكم أيّها المؤمنون وتتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع.

فهم يشترون الضّلالة وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات الدالّة لهم على صحّة دين الإسلام وهم لا يكتفون بتلبّسهم بالضلال الذي أشربته نفوسهم، بل يريدون لكم يا معشر المسلمين أن تتركوا دين الإسلام الذي هو سبيل الحقّ وأن تتّبعوهم في ضلالهم وكفرهم [1].

"فالمقصود من الآية الكريمة تعجيب المؤمنين من سوء أحوال أولئك الأحبار وتحذير لهم من موالاتهم أو من الاستماع إلى أكاذيبهم وشبهاتهم " [2].

---

(1)انظر: "معالم التنزيل في تفسير القرآن" – للبغوي (640/1)، "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية" – للشيخ علوان (154/1)، "ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" – لأبي السعود (181/2).

(2)"التفسير الوسيط" – لطنطاوي (169/3).

وقد وصف سبحانه أهل الكتاب بأنهم أوتوا نصيبًا من الكتاب ولم يؤتوا الكتاب كلّه لأنّهم نسوا حظًا كبيرًا ممّا ذُكِّروا به ولم يبق عندهم من علم الكتاب إلا القليل، وهذا القليل لم يعملوا به بل حرفوه وبدلوه وأخضعوا تفسيره لأهوائهم وشهواتهم.

وفي الآية تعجب من شأنهم لأنهم لا يطلبون الضّلالة بفتور أو تريّث، وإنّما يطلبونها بشراهة ونهم، ويدفعون فيها أغلى الأثمان وهو الهدى ولا يكتفون بذلك بل يبتغون من المؤمنين أن يكونوا مثلهم في الضّلال [1].

ومن الآيات التّي تبيّن جزاء هؤلاء الكافرين الضّالين عن سبيل الله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (لقمان:6).

في هذه الآية بين سبحانه صنفًا من أولئك الذّين يُضِلُّون الناس عن طرق الحقّ ويقولُ أنّ من الناس فريقًا يشتري لهو الحديث ليُضِلَّ عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوًا أولئك لهم عذاب مهين، فهذا الفريق يستبدل بالنّافع الضّار، وبالقرآن الشّافي ما يُتَلهَّى به من الحكايات والأساطير وفضول الكلام والمضاحك والاستماع إلى غناء الجواري، كالنّضر بن الحارث الذي كان يشتري كتب الفرس ويُحدِّث بها الناس ويقتني المغنّيات لاجتذاب الشبّان وإغراء من أسلم حديثًا لحمله على تركه الإسلام وإضلاله عن دين الله وهو دين الإسلام والصّد عنه واتّخاذه هزوًا وسخرية جهلًا بخطورة ما يفعل من استبدال له بقراءة القرآن وأولئك هم الموغلون في الكفر والضلال، يحيق بهم عذاب بالغ الإهانة [2].

"وقوله تعالى ﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ معناه لمخالفة الإسلام وأهله ومعاداتهم... أي ارتكب هذا الفعل من الإضلال والصّد عن سبيل الله... وقوله ﴿ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ للتفرقة بين عذاب الكافر وعذاب

(1)انظر: "روح البيان" – للإستانبولي (214/2)، "الصّحيح المصبور من التفسير بالمأثور" – لحكمت بن بشير بن ياسين (60/2).

(2)انظر: "جامع البيان" – للطبري (126/2)، "تفسير التستري" – للتستري (123/1)، "معاني القرآن" – للزجاج (194/4)، "بحر العلوم" – للسمرقندي (20/3).

المؤمن، فإن عذاب المؤمن للتطهير فهو غير مهين، أمّا عذاب الكافر فهو في غاية الإهانة فكما استهان بآيات الله وسبيله، أُهين يوم القيامة بالعذاب الدائم المستمر" [1].

بعد هذا نرى أنّ هذا المشتري للضّلالة بثمن بخس لا ثمرة سيجنيها من وراء ذلك كلّه إلا العقاب والذلّة في الدّنيا والآخرة.

المطلب التّاسع: اتّباع غير سبيل المؤمنين.

إنّ سبيل المؤمنين هو اتّباع لسبيل الله ورسوله، فهو سبيل قويم نهايته جنان وأنهار وخيرات، فعندما يحيد الإنسان عن سبيل المؤمنين ويتّبع سبيل غيره من الشّياطين والكافرين فقد ضلّ طريق الحقّ والهداية، وأوغل في طريق الضّلال والغواية، وقد حذّر تعالى من اتّباع غير سبيل المؤمنين في قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسول مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ (النساء:115).

في هذه الآية يبين –ﷻ– سوء عاقبة الذّين يسيرون في طريق الباطل ويتركون طريق الحقّ فيحذّرهم من مخالفة الرّسول –ﷺ– ومعاداته من بعد ما اتضح له الحقّ وقام لديه الدّليل على صحة دين الإسلام.

وبعد هذا يتّبع طريقًا غير طريق الإسلام التّي سار بها المؤمنون واعتقدوا صحتها وسلامتها من كل سوء، فمن يفعل ذلك نجعله واليًا لما تولّاه من الضّلال ونُخلِ بينه وبين ما اختار لنفسه من الضلال في الدّنيا ونكِلُه في الآخرة إلى ما اتّكل عليه في الدّنيا وانتصر به من الأوثان وغيرها [2].

ويقول محمد رشيد رضا: "والذي أُريدُ توجيه الأذهان إلى فهمه هو أنّ هذه الجملة مُبيّنة لسنّة الله تعالى في عمل الإنسان ومقدار ما أُعطيه من الإرادة والاستقلال والعمل بالاختيار، فالوجهة التّي يتولّاها في حياته والغاية التّي يقصدها من عمله يولّيه الله إيّاها ويوجّهه إليها" [3].

---

(1)"التفسير المنير" – للزحيلي (132/21).

(2)انظر: "الدر المصون في علوم الكتابب المكنون" – للسمين الحلبي (91/4)، "تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (412/2).

(3)"تفسير المنار" – (339/5).

ولو شاء الله لهدى الناس أجمعين بخلقهم على حالة واحدة في الطاعة كالملائكة، ولكن شاء أن يخلقهم على ما نراهم عليه الآن من تفاوت في الاستعداد والإدراك وعمل كل فرد لحسب ما يرى أنّه خير له وأنفع في عاجله وآجله أو فيهما جميعًا.

وبعد ذلك يتوعّد سبحانه أولئك المخالفين لطريق الحقّ ممن يخالف هذا الطّريق فيولّه ما تولّى ويدخله في الآخرة جهنم ليُشوى فيها كما تُشوى الشّاة وساءت جهنّم مكانًا لمن صار إليها وحلَّ فيها.

وتدلُّ الآية على أن معاداة الرّسول –ﷺ– ومخالفته وترك الإسلام أو الردّة عنه ومخالفة طريق المسلمين تحجب عن مرتكبها عناية الله ورعايته وتجعله يتخبّط في دياجير الظّلام والضّلال وتجعله مقودًا بنفسه وهواه وتوجب له الدّخول في نار جهنّم وساءت مصيرًا يصير إليه هذا المنحرف، فيصير في حدّ غير حدّ الرّسول –ﷺ– وهو مباينته في الإعتقاد والديانة [1].

هذا هو جزاء المتّبعين لسبيل غير سبيل المؤمنين الهادين لسواء السّبيل، جزاؤهم جهنّم وساءت مصيرًا لهم ولأمثالهم.

المطلب العاشر: الزّنا ومقدّماته.

يعدُّ ارتكاب فاحشة الزّنى من الآثار الواضحة والدّالة على غواية هذا الإنسان وضلاله واتّباعه لطريق الشّيطان وابتعاده عن طريق الحقّ والصّلاح، فالشّيطان يدعو الإنسان إلى ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والله يدعو إلى الطّهارة والتّقوى، فأمر بالابتعاد عن كل ما يؤدّي إلى الزّنى وذلك في قوله : ﴿**وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى أَنَّه كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً**﴾ (الإسراء:32).

في هذه الآية الكريمة ينهى –ﷻ– عن قرب الزّنى للمبالغة في الزّجر عنها، لأنّ قربانها يؤدّي إلى الوقوع فيها، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وهذا لون حكيم من ألوان إصلاح النفوس لأنّه إذا حصل النهي عن القرب من الشيء فلا بدّ أن ينهى عن فعله من باب أولى.

---

(1)انظر: "اللباب في علوم الكتاب" – لابي حفص النعماني (17/7)، "روح البيان" – للإستانبولي (284/2)، "التفسير الوسيط" – لطنطاوي (311/3).

والمعنى: كونوا أيّها المسلمون بعيدين عن كل المقدمات التّي تُفضي إلى فاحشة الزّنى كمخالطة النساء والخلوة بهن والنظر إليهن وغيرها، فإن ذلك يفتح الطّريق إلى الوقوع فيها [1].

ويقول طنطاوي: "إنّ كل منهي عنه من شأنه أن تميل النفوس إليه وتدفع إليه الأهواء، جاء النهي فيه عن القربان ويكون القصد التحذير من أن يأخذ ذلك الميل في النفس مكانًا تصل بها إلى اقتراف المحرّم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (الإسراء:34)، أما المحرّمات التّي لم يؤلف ميل النفوس إليها ولا اقتضاء الشّهوات لها فإن الغالب فيها أن يتعلق النهي عنها بنفس الفعل لا بالقربان منه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ (الإسراء:31)، فهذه وإن كانت فواحش إلا أنّها ليست ذات دوافع نفسية يميل إليها الإنسان بشهوته، بل هي في نظر العاقل على المقابل من ذلك يجد الإنسان في نفسه مرارة ارتكابها ولا يقدم عليها إلا وهو كاره لها أو في حكم الكاره" [2].

فالله –ﷻ– ينهى عن الاقتراب من مقدمات الزنى فضلًا عن الوقوع فيه ذاته لأنّه كان وما زال في شرع الله وفي نظر كل عقل سليم فعله فاحشة ظاهرة القبح وبئس الطّريق طريقه فإنها طريقٌ تؤدي إلى غضب الله وسخطه.

ومما لا شكّ فيه أن فاحشة الزّنى من أقبح الفواحش التّي تؤدي إلى شيوع الفساد والأمراض الخبيثة في الأفراد والمجتمعات وما وجدت في أمة إلا وكانت عاقبتها خسرًا [3].

ولقد سدّ الإسلام جميع المنافذ التّي تؤدّي إلى إرتكاب هذه الفاحشة وسلك لذلك وسائل من أهمها:

1. تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية ومنع الاختلاط بين الرّجال والنّساء إلا في حدود الضّرورة الشّرعيّة، فعن ابن عبّاس –ﷺ– أنّ رسول الله –ﷺ– قال: "**لا يخلُونّ أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم**"[4]، وعن عقبة بن عامر أن رسول الله–ﷺ– قال :" **إياكم والدخول على النساء** "

(1)انظر: "تأويلات أهل السنة " للماتريدي (39/7)،"لباب التأويل في معاني التنزيل " للخازن (129/3).
(2)"التفسير الوسيط" – (340/8).
(3)انظر:"الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي (253/10)،"التفسير المنير " للزحيلي (70/15)
(4)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب لا يخلون رجل بإمرأة إلا مع ذي محرم (رقم 5232)، (37/7).

فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحمو، قال : "**الحمو الموت**"[1] (وهو قريب الزوج كأخيه وابن عمه).

2. تحريم النّظر إلى المرأة الأجنبيّة ووجوب غضّ البصر، لقوله تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ (النور:30)، وقال: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**... ﴾ (النور:31)، وعن أبي هريرة أنَّ رسول الله –ﷺ– قال: "**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزّنى مدرك ذلك لا محالة:العينان زناهما النّظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام والقلب يهوى ويتمنّى ويصدّق ذلك الفرج أو يكذّبه**"[2].

3. وجوب التّستّر والاحتشام للمرأة فإن التّبرج والسّفور يغرى الرجال بالنساء، ويحرك الغريزة الجنسية بينهما، قال تعالى: ﴿**يا أيها النَبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ..**﴾ (الأحزاب:59) [3].

4. الحضّ على الزواج، وتيسير وسائله، والبعد عن التّغالى في نفقاته، وتخفيف مؤنه وتكاليفه، فقد قال تعالى:﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(32) وَلْيَسْتَعْفِفِ الذّين لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حتّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**... ﴾ (النور: 33,32)، فإنّ الزواج من شأنه أن يحصّن الإنسان، ويجعله يقضى شهوته في الحلال، فإذا لم يستطع الشاب الزواج، فعليه بالصوم فإنه له وقاية، فعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله –ﷺ–: "**يا معشر الشّباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، فإنَّه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنّه له وجاء**"[4].

---

(1)التخريج السابق ص167.

(2)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإستئذان باب زنا الجوارح دون الفرج (رقم 6243)، (54/8)، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره (رقم 2657)، (2046/4).

(3)انظر:"التحرير والتّنوير" – لابن عاشور (89/15)

(4)أخرجه البخاري في النكاح باب قول النّبي –ﷺ– :"من استطاع الباءة فليتزوج":(106/6)، ومسلم في النّكاح، باب استحباب النكاح لمن راقت نفسه رقم 1400.

5. إقامة حدود الله بحزم وشدة على الزناة سواء أكانوا من الرجال أم من النساء، كما قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ. وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور:2)، ومما لا شكّ أنّه لو تم تنفيذ حدود الله تعالى على الزّناة، لمحقت هذه الفاحشة محقًا، لأنّ الشخص إن لم يتركها خوفا من ربّه- ﷻ- لتركها خوفًا من تلك العقوبة الرّادعة، ومن فضيحته على رؤوس الأشهاد، فقد ورد أنّ رسول الله -ﷺ- قضى في زانٍ لم يتزوّج وزانية متزوّجة بقوله لوالد الرّجل: "**على ابنك مائة جلدة وتغريب عام**" ثمّ قال -ﷺ- لأحد أصحابه واسمه أنيس "**أغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإذا اعترفت فارجمها**" فاعترفت فرجمها [1].

هذه بعض وسائل الوقاية من تلك الفاحشة القبيحة، ولو اتبعها المسلمون، لطهرت أمّتهم من رجسها، ولحفظت في دينها ودنياها [2].

بعد هذا نرى كيف حرص الإسلام على شرف الإنسان وطهارته، فأمر الله عباده المؤمنين بتقواه لأنّ من يتّق الله يقيه من مكائد الشّيطان، ولكنّ اتّباع طريق الشّيطان هو سبب لغضب الله وبالتالي وقوعه في المعاصي التّي سيحاسبه عليها ربنا سبحانه أشد الحساب.

المطلب الحادي عشر: كراهية الجهاد بالمال والنفس.

إنّ المال غالٍ وثمين، النّفس غالية، والإنسان يحرص على نفسه وماله أشدّ الحرص ويحافظ عليهما أشدّ الحفاظ، ولكن كلّ شيء في سبيل الله يرخص، فالمال والنّفس ترخصان في سبيل الله تعالى لكي ينال الإنسان رضى ربّه وجنّاته، ولكنّ من النّاس من يبخل بنفسه وماله في الجهاد في سبيل الله ولا يحرص عليه وعلى مساندة المجاهدين كما يحرص على نفسه وماله، فهؤلاء النّاس يكونون قد ضلّوا طريق الصّواب وحادوا عنه، وقد توعّد تعالى هؤلاء الكارهين للجهاد بأموالهم وأنفسهم في قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

(1)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنى (رقم 1697) (1325/3).
(2)انظر: "التفسير الوسيط" – لطنطاوي (342/8).

﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة:24).

في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى رسوله محمدًا –ﷺ– أن يتوعد من آثر أهله وقرابته وعشيرته على الله ورسوله –ﷺ– والجهاد في سبيله، فقال له: قل إن كنتم تؤثرون هذه الأشياء الثمانية وتفضّلون الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن على حبِّ الله ورسوله –ﷺ–وطاعتهما والجهاد في سبيله الذي يحقّقُ السّعادة الابدّيّة في الآخرة فانتظروا حتّى يأتي الله بعقابه العاجل أو الآجل.

وفي هذه الآية رتّب سبحانه بدءًا بالأشدّ تعلقًا والأدعى إلى المخالطة وهو القرابة، ثمّ الحرص على المال، ثم طريق اكتسابه بالتّجارة، ثم الرّغبة بالبناء في الأوطان والدور المخصّصة للسُّكنى، ولكنّ الله تعالى أبان أنّ رعاية الدّين خيرٌ من رعاية جملة هذه الأمور [1].

"وحبّ المال المكتسب قويٌّ عند الإنسان لأنه ثمرة عنائه وجهده وكذلك حبُّ التّجارة أصيلٌ في النّفس البشرية لأنّه مصدر التّمويل، لذا يحرص الشخص على تنمية تجارته لتنموَ موارده وتكثر أرباحه فيستفيد منها..... وبالرُّغم من مظاهر الحبّ وحقائقه لهذه الأنواع الثمانية أمر الله تعالى بإيثار حبِّ الله والرّسول –ﷺ– وطاعتهما والجهاد في سبيله على هذه الأشياء؛ لأنّ الله تعالى مصدر جميع النّعم وملجأ لدفع كل الكروب والمحن، لذا وصف الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ﴾ (البقرة:165)" [2].

وكذلك حبُّ الرّسول –ﷺ– واجبٌ بعد محبّة الله؛ لأنّه صاحب الفضل في إنقاذنا من الضّلالة إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان؛ ولأنّه القدوة الحسنة والمثل الأعلى للمؤمنين في تطبيق الشّريعة والأخلاق، وأما الجهاد وإن كان مكروهًا لدى بعض النّاس ولكنّه يهدي السّبيل للحفاظ على كرامة الأمة ومنعة البلاد واستقلالها ومصالح الأفراد والسّبب للذّود عن الحرمات والأموال والأعراض، وطريقٌ لدفع العدوان وقمع الأطماع، وأساسٌ لتوفير عزّة الأمّة ومجدها، وبدونه تكون المصالح العامّة والخاصّة مهدّدة بالزّوال، لذا فرضه تعالى للضّرورة من أجل الحفاظ على هذه المقاصد، ولمنع الفتنة

(1)انظر: "الجامع لأحكام القرآن" – للقرطبي – (95/8).

(2)"التفسير المنير" – للزحيلي (153/10).

في الدّين ولحماية المستضعفين والتمكين لحرية انتشار الإسلام بالطرق السّليمة، وكانت محبته أمرًا مطلوبًا لحياة المسلمين، ثم ختم الله تعالى الآية بوعيد المخالفين وتهديد المعرضين بعقوبة عاجلة أو آجلة فقال: ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ : أي انتظروا العقاب الآتي عاجلًا أم آجلًا [1].

وقال الزمخشري: " وهذه آية شديدة لا ترى أشدّ منها كأنّها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدّين واضطراب حبل اليقين" [2].

وثم قال تعالى: ﴿ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ :أي لا يرشد العصاة الخارجين عن حدود الدّين ومقتضى العقل والحكمة والخارجين عن طاعة الله إلى معصيته.

ومن الآيات التّي تبيّن أن مصير الكارهين للجهاد بالمال والنّفس في سبيل الله هو نار جهنّم قوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة:81).

في هذه الآية الكريمة يذمُّ –ﷻ– المنافقين المتخلّفين عن القتال في غزوة تبوك وإخبارهم عن مصيرهم السيّء في الآخرة، فهؤلاء المنافقون فرحوا في المدينة بقعودهم في بيوتهم بعد أن تركوا رسول الله –ﷺ– عند خروجه إلى غزوة تبوك، وسبب فرحهم عدم إيمانهم بأن في الجهاد خيرًا وكراهيتهم الجهاد مع النبي –ﷺ– بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والفرح بالإقامة يدلُّ على كراهة الذّهاب، إلّا أنّه تعالى أعاده للتأكيد، فهم فرحوا بسبب التخلّف وكرهوا الذّهاب للجهاد، ولم يقتصر الأمر على فرحهم بأنفسهم بل أغروا غيرهم بعدم الخروج وقال بعضهم لبعض: لا تخرجوا للجهاد لأنّ غزوة تبوك في شدّة الحرّ وقد طابت الثّمار والظّلال، فرد الله عليهم بقوله: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ التّي أُعدّت للعصاة والتي تصيرون إليها بمخالفتكم ﴿ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ ممّا فررتم منه من الحرّ، فلو كانوا يعقلون ذلك ويعتبرون به لما خالفوا وقعدوا ولما فرحوا بل حزنوا [3].

---

(1)انظر: "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" – للسمين الحلبي (33/6)، "روح البيان" – للإسستانبولي (403/3).

(2)"الكشاف" – (33/2).

(3)انظر: "بحر العلوم" – للسمرقندي (78/2)، "محاسن التأويل" – للقاسمي (466/5)، "تفسير المراغي" – للمراغي (173/10).

"فهؤلاء الذّين أدركتهم ثقلة الأرض، ثقلة الحرص على الراحة والشحّ بالنفقة وقعد بهم ضعف الهمّة وهزال النّخوة وخواء القلب من الإيمان، هؤلاء المتخلفون... فرحوا بالسّلامة والرّاحة وتركوا المجاهدين يلاقون الحرّ والجهد وحسبوا أنّ السلامة غاية يحرص عليها الرّجال... إنّ هؤلاء لهم نموذج لضعف الهمة وطراوة الإرادة وكثيرون هم الذّين يشفقون من المتاعب وينفرون من الجهاد ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم ويفضلون السّلامة الذّليلة على الخطر العزيز" [1].

حقًّا إنّ الكارهين للجهاد بأموالهم وأنفسهم لهم شرُّ النّاس ويستحقّون العقاب الشّديد على هذا الفعل الشّنيع، فبالجهاد عزّة الأمّة وكرامتها وقوّتها، ولا تكون الأمّة كذلك إلا عندما يكون النّاس على قلب رجل واحد في الجهاد وذود العدوّ عن الأوطان، وقد ذكر تعالى هؤلاء النّاس لوجودهم في كلّ الأزمان، فهم منتشرون في كلّ مكان، وتكون بهم الذّلّة والخذلان، فذكرهم للتّحذير من السّير على خطاهم فنستحقّ عقابًا كعقابهم.

المطلب الثّاني عشر: ظلم النّاس.

يعدُّ ظلم النّاس من الأمور التّي حذّر الإسلام منها وأكثر من ذكرها، فبالظّلم ينتشر الفساد، وتضيع الحقّوق ويكثر القتل بغير الحقّ، وقد توعّد تعالى الظالمين بأشدّ العذاب في الدّنيا والآخرة، وذلك في قوله:﴿ **إِنَّما السَّبِيل عَلَى الذّين يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأرض بِغَيْرِ الحقّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (الشورى:42).

في هذه الآية يبيّن –ﷻ– أنّ العقاب يقع على الذّين يظلمون غيرهم من النّاس ويتكبّرون ويتجاوزون حدودهم في الأرض بغير الحقّ، وقيّد سبحانه البغي في الأرض بكونه بغير حق لبيان أنّه لا يكون إلا كذلك، فهؤلاء الذّين من صفاتهم الظّلم والبغي لهم عذاب أليم بسبب ما اجترحوه من ظلم وبغي.

وهؤلاء الذّين يظلمون الناس ويبغون فيها بغير الحقّ هم الذّين يجب الوقوف في طريقهم، فإنّ الأرض لا تصلح وفيها ظالم لا يقف له الناس ليكفّوه ويمنعوه من ظلمه، وفيها باغٍ لا يجدُ من يقاومه

(1)"في ظلال القرآن" – لسيد قطب (1682/3).

ويقتصّ منه، فالله سبحانه يتوعّد الظالم الباغي بالعذاب الأليم ولكن على النّاس كذلك أن يقفوا له ويأخذوا عليه الطّريق [1].

وكذلك ورد التّحذير الشّديد من النّبي -ﷺ- في النّهي عن الظّلم، فقد روى جابر بن عبدالله عن النّبي -ﷺ- أنّه قال: " **اتّقوا الظّلم فإنّ الظّلم ظلمات يوم القيامة**" [2].

بعد هذا نرى أنّ الظالم جزاؤه عذاب شديد يوم القيامة، وقد استحقّ هذا العقاب والعذاب جزاء أعماله الفاسدة الضّالّة، فيكون بظلمه قد ظلم نفسه في جعل مصيرها إلى النّار، ويكون قد ظلم النّاس بأفعاله المذمومة فاستحق على هذا كله عقابًا شديدًا أليمًا مخلّدًا فيه.

(1)انظر: "روح المعاني" – للألوسي (48/13)، "البحر المديد" – لابن عجيبة (224/5)، "التفسير القرآني للقرآن" – لعبد الكريم يونس الخطيب (79/13).

(2)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (رقم 2578)، (ص1000).

المبحث الثّاني: أسباب الهداية إلى السّبيل الحقّ

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: اتّباع الرّسل.

المطلب الثّاني: حسن التوكل على الله.

المطلب الثّالث: الجهاد في سبيل الله.

المبحث الثّاني: أسباب الهداية إلى السّبيل الحقّ

تتعدَّدُ أسباب الهداية إلى السّبيل الحقّ لتشمل اتّباع الرّسل وحسن التّوكّل على الله وحسن الجهاد في سبيله، والتّي ستتناولها الباحثة بالتّفصيل خلال المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: اتّباع الرّسل.

يعدُّ اتّباع الرّسل وما جاؤوا به من عند الله –ﷻ– من أهمّ الأمور التّي يجب على العبد المؤمن أن يتّبعها، فاتّباع الرّسل هو اتّباع للطريق الحقّ، الطّريق المستقيم الهادي إلى صراط الله المقيم، ومن الآيات التّي تحثّ على اتّباع الرّسل قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾ (المائدة:12).

في هذه الآية الكريمة يبيّن تعالى نصّ الميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل، والنص القرآني يثبت نص الميثاق وشرطه وجزاءه، فقد كان عقدًا مع نقباء بني إسرائيل الإثني عشر الذي يمثّلون فروع بيت يعقوب –وهو إسرائيل– –عليه السلام–، فيذكر تعالى أنّه معهم، فمن كان الله معه فلا شيء إذًا ضدّه ومهما يكن ضده من شيء فهو هباء لا وجود له ولا أثر، ومن كان الله معه فلن يضلَّ طريقه، فإنّ معيّة الله سبحانه تهديه كما أنّها تكفيه، ولكنّ معية الله هي عقد فيه شرط وجزاء، وشرطه إقامة الصّلاة على أصولها التّي تجعل منها صلة حقيقية بين العبد وربّه وإيتاء الزكاة اعترافًا بنعمة الله في الرّزق وملكيته ابتداءً بالمال وطاعة له في التّصرف في هذا المال، والإيمان برسل الله كلّهم دون تفرقة بينهم، فكلهم جاء من عند الله وكلّهم جاء بدين الله، وعدم الإيمان بواحد منهم كفرٌ بهم جميعًا وكفرٌ بالله الذي بعث بهم جميعًا، وليس هو مجرّد الإيمان إنّما هو العمل في نصرة هؤلاء الرّسل وشدّ أزرهم فيما بعثوا من أجله، فالله –ﷻ– أخذ عليهم الميثاق بالثّبات على دين الحقّ والقيام بالواجبات المفروضة عليهم وتصديق الرّسل الذّين يأتونهم بالهدى من قبل الله وتأييدهم [1].

(1)انظر: "بحر العلوم" – للسمرقندي (375/1)، "تفسير القرآن العزيز" – لابن أبي زمنين (105/2)، " المحرر الزجيز في تفسير الكتاب العزيز" – لابن عطية (167/2).

"فالإيمان بدين الله من مقتضاه أن ينهض المؤمن لينصر ما آمن به وليقيمه في الأرض وليحقّقه في حياة الناس، فدين الله ليس مجرّد تصور اعتقادي، ولا مجرّد شعائر تعبد لله، إنّما هو منهج واقعي للحياة ونظام محدد ليصرف شئون هذه الحياة، والمنهج والنظام في حاجة إلى نصرة وتعزيز وإلى جهد وجهاد لتحقيقه ولحمايته بعد تحقيقه" [1].

فالواجب تعظيم الرّسول –ﷺ– ونصرته في أمّته ودينه واتّباع ما جاء به من عند الله، فمن فعل هذا فجزاؤه أن يغفر الله له ذنوبه ويدخله في الآخرة جنّاتٍ تجري من تحت أشجارها وبساتينها الأنهار.

ويقول الإمام الرازي: "وأخّر سبحانه الإيمان بالرّسل عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع أنّه مقدم عليهما، لأن اليهود كانوا مُقرّين بأنّه لا بدّ في حصول النّجاة من الصّلاة وإيتاء الزكاة؛ لأنهم كانوا مصرّين على تكذيب بعض الرّسل، فذكر بعد إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة أنّه لا بدّ من الإيمان بجميع الرّسل حتّى يحصل المقصود، وإلا لم يكن لإقامة الصّلاة وإيتاء الزكاة تأثير في حصول النّجاة بدون الإيمان بجميع الرّسل" [2].

وأما من جحد شيئًا ممّا أمره الله به فتركه وأعرض عن التكاليف التّي كلّفه بها بعد أن عرفها فقد بعد عن السّبيل المستوية وأخطأ الطّريق الواحد المستقيم، ففي الآية تهديد لمن خالف الرّسل ولم يتّبعهم ويتّبع ما جاؤوا به من عند الله.

بعد هذا يتبيّن أنّه عند اتّباع العبد لطريق الرّسل والسير على منهجم واتّباع طريقهم يكون بذلك قد نال السّعادة في الدّنيا والآخرة، فالسعادة الدنيوية لا تنال إلا عندما ينال الإنسان الراحة النفسية والجسدية، ولا يكون ذلك إلا باتّباع طريق الرّسل عليهم السّلام الطّريق الصّحيح، والسّعادة الأخروية، وهي ما يترتّب على اتّباع الرّسل ونصرتهم من الجنان والرضوان.

المطلب الثّاني: حسن التّوكل على الله.

يعدُّ التّوكّل على الله في كلّ الأمور من صفات المؤمنين الموحّدين لله والمتّبعين لأمره، فقد أمر الله المؤمنين بالتّوكّل عليه لأنه من الأسباب المؤدّية إلى الهداية إلى السّبيل المستقيم، وقد ذكر

---

(1)"في ظلال القرآن" – لسيد قطب (858/2).

(2)"مفاتح الغيب" – (185/11).

تعالى المتوكّلين عليه ومدحهم في كتابه العزيز حيث قال: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم:12).

في هذه الآية الكريمة يذكر تعالى قول الأنبياء لأقوامهم وتأكيدهم على إعتمادهم على الله فقالوا: وكيف لا نتوكل على الله الذي هدانا إلى سبيل المعرفة وأرشدنا إلى طريق النّجاة، وما يمنعنا من التوكل عليه وقد هدانا لأقوم الطّرق وأوضحها وأبينها، ولنصبرنّ على إيذائكم لنا بالكلام السيّء والأفعال السخيفة.

ثم بعد ذلك مدحوا المتوكلين وقالوا فليستمرّ وليثبت المتوكّلون من المؤمنين على توكّلهم على الله وليثقوا به وليتحمّلوا كل أذىً في سبيله ولا يبالوا بشيء صعب مهما كان [1].

فقد دلّت الآية أنّه لا سبيل أمام الأنبياء إلا الصّبر على الأذى والاعتصام بالله وتفويض الأمر إليه والتوكّل التّامّ عليه، فإنّ الصّبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات، والتوكل على الله والاعتماد على فضله محقّق للنصر والفتوح، فالأنبياء –عليهم السّلام– بعد أن أمروا أنفسهم بالتّوكّل على الله أمروا اتّباعهم بذلك وقالوا: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ وهو يدلّ على أنّ الآمر بالخير يجب أن يكون قدوة في فعل الخير ليُصدِّقَ قوله عمله فيكون قدوة لغيره [2].

"وعلى الله وحده دون أحد سواه فليتوكّل المؤمنون الصادقون دون أن يعبؤوا بعنادكم ولجاجكم... فالآية أمرٌ من الرّسول لمن آمن من قومهم للتوكّل على الله وحده... وتدلّ على اطمئنانهم إلى سلامة مواقفهم في تفويض أمورهم إلى الله وإلى رعاية الله تعالى حيث هداهم إلى طريق النّجاة والسّعادة" [3].

فالله سبحانه قد هدانا لأقوم الطّرق وأوضحها وأبينها وهي طريق إخلاص العبادة له والاعتماد عليه وحده في كل شئوننا، فعليه وحده دون أحد سواه فليثبّت المتوكلون على توكلهم ليفوضوا أمورهم إلى خالقهم فهو القاهر فوق عباده وهو الذي لا يعجزه شيء.

---

(1)انظر: "بيان المعاني" – لعبد القادر العاني (276/4).

(2)انظر: "أوضح التفاسير" – لمحمد الخطيب (306/1)، "الموسوعة القرآنية" – لإبراهيم الأبياري (164/10).

(3)"التفسير الوسيط" – لطنطاوي (532/7).

حقًّا إن المتوكّل على الله يستحقّ أن ينال رضاه وجنانه وكلّ ما فيها من نعيم مقيم، فالتّوكّل ثماره يانعة سواء في الدّنيا أو في الآخرة، فبالدّنيا ينال راحة النّفس والرّزق الحسن، وفي الآخرة جنّة الله ورضوانه، ويا له من جزاء يستحقّه المؤمن على إيمانه وتوكّله.

المطلب الثّالث: الجهاد في سبيل الله.

لقد ربّى الإسلام أبنائه على منهج القرآن العظيم فكرًا وأسلوبًا وعلى سيرة النّبي -ﷺ- تضحية وجهادًا وحبًّا للشّهادة، فخرج من أبنائنا مجاهدون أبطال يحبّون الموت ويعشقون الشّهادة ويستشعرون معنى ولذّة الموت في سبيل الله، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (المائدة:35).

في هذه الآية الكريمة يأمر تعالى عباده المؤمنين بأن يتّقوا سخطه وعقابه وذلك بامتثال أمره واجتناب نهيه، وأن يطلبوا إليه القربى التّي ينبغي أن يُطلب بها، فهي التّي توصلهم إلى مرضاته والقرب منه والظّفر بمثوبته في الجنّة.

ولمّا أمر تعالى المؤمنين بترك المحارم وفعل الطّاعات أمرهم بقتال الأعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطّريق المستقيم والتّاركين للدين القويم، فالجهاد في سبيل الله يشمل جهاد النّفس لكفّها عن أهوائها وحملها على العدل في جميع أحوالها، وجهاد الأعداء الذّين يقاومون دعوة الإسلام، ورغبّهم الله تعالى بما أعده للمجاهدين في سبيله يوم القيامة من الفلاح بالسّعادة العظيمة الخالدة فقال: ﴿ **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ إن جاهدتم وتقربتم إلى الله بطاعته حققتم الفوز والفلاح وسعادة الدّنيا والآخرة [1].

ومن الآيات التّي تبين أنّ الجهاد في سبيل الله يسبب المغفرة والرّزق الكريم قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ (الأنفال:74).

(1)انظر: "البحر المحيط في التفسير" – لأبي الحيان الأندلسي (224/4)، "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" – للسمين الحلبي (252/4)، "اللباب في علوم الكتاب" – للنعماني (312/7).

في هذه الآية يثني الله تعالى على المهاجرين والأنصار المجاهدين في سبيله من ثلاثة أوجه :

أولها: أنّهم هم المؤمنون حقًّا، فهم محقّون في طريق الدّين، وقد كانوا كذلك لأنّ من لم يكن محقًا في دينه لم يتحمل ترك الأديان السالفة ولم يفارق الأهل والوطن ولم يبذل المال والنفس.

وثانيها: أنّ لهم مغفرة تامة كاملة.

وثالثها: أنّ لهم رزقٌ كريمٌ وثوابٌ رفيعٌ [1].

والحاصل أنّه سبحانه شرح أحوالهم في الدّنيا والآخرة، أمّا في الدّنيا فقد وصفهم بأنّهم مؤمنون حقًا، وأمّا في الآخرة فالمقصود إمّا دفع العقاب وإمّا جلب الثّواب، فدفع العقاب يكون بالمغفرة وجلب الثواب يكون بالرزق، فهذا هو جزاء المؤمنين المجاهدين في سبيل الله مغفرة وثواب وجنان [2].

ومن الآيات التّي تبين أن المجاهدين في سبيل الله لهم أعظم الدرجات عند الله قوله تعالى : ﴿الذّين آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (التوبة:20).

يبيّن تعالى في هذه الآية أنّ المؤمنين بالله ورسوله –ﷺ– المهاجرين من مكة إلى المدينة، المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم لإعلاء كلمة الله هم أعظم درجة وأرفع مقامًا ومكانة من القائمين بأعمال أخرى، وأولئك المؤمنون المهاجرون المجاهدون هم الفائزون بفضل الله وكرامته ومثوبته، وهذا الفوز هو أنّه تعالى يبشّرهم في كتابه المنزّل على رسوله –ﷺ– برحمة واسعة ورضوان كامل وجنّات لهم فيها نعيم دائم، وهم في هذا النّعيم خالدون على الدّوام إلى ما شاء الله تعالى.

فالجهاد في سبيل الله يوصل إلى طريق السعادة والرّحمة وهو سبيل الفوز بالدّرجات العالية [3].

---

(1)انظر: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" – للبقاعي (347/8).

(2)انظر: "ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" – لأبي السعود (38/4)، "روح البيان" – للإستانبولي (379/3).

(3)انظر: "البحر المديد" – لابن عجيبة (366/2)، "روح البيان" – للألوسي (362/5)، "فتح البيان في مقاصد القرآن" – لأبي الطيب القنوجي (257/5).

ومن الآيات التّي توضح أن طريق الجهاد في سبيل الله خير للمؤمنين المجاهدين قوله تعالى: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة:41).

يأمر تعالى في هذه الآية بالنّفير العام مع رسول الله –ﷺ– لقتال أعداء الله من الرّوم الكفرة من أهل الكتاب وحتّم على المؤمنين في الخروج معه على كل حال في المنشط والمكره والعسر واليسر، وجهاد أعدائكم الذّين يقاتلونكم بالنفس والمال إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال، فمن قدر على الجهاد بنفسه وماله وجب عليه ذلك، ومن قدر على الجهاد بالنّفس فقط أو بالمال فقط وجب عليه، فذلكم المأمور من النفير والجهاد خير لكم في الدّنيا والآخرة لأنّ العزة خير من الذّلّة وفيه إرضاء الله، وإرضاء الله خير كله ولأنّه الرّفعة ولأنّه الكرامة، والكرامة خير من المهانة، فالموت في عِزّة خير من الحياة في ذِلّة، والموت مع كرامة الجهاد خير من الحياة مع ذلّة الكفر والاستسلام والمهانة[1].

هذا هو الجهاد في سبيل الله تعالى الذي فيه عزّة الإسلام وأهله، وفيه حفظ لكرامة الأمّة وصونًا لها من الدّخلاء عليها، فعلى المسلمين التّمسّك بطريق الجهاد ودعم المجاهدين إن استطاعوا، فبذلك ننال رضى الله وثوابه.

(1)انظر: "فتح القدير" – للشوكاني (413/2)، "زهرة التفاسير" – لأبي زهرة (3213/6)، "بيان المعاني" – لعبد القادر العاني (437/6)، "أوضح التفاسير" – لمحمد الخطيب (229/1).

الخاتمة

الحمد لله ربّ العالمين، الكريم المنّان المتفضّل الذي بفضله وبتوفيقه أتممت هذا البحث المتواضع، والذي أتمنى أن يتقبله منّي، وأن يجعل فيه خيرًا لكل من يقرؤه، ويجعله ذخرًا لي في آخرتي، وعلمًا يُنتفع به بعد مماتي إذا ما انقطع عنّي سبل العمل والعبادة والاستغفار.

وأصلّي وأسلّم على رسول الله –ﷺ– وصحبه ومن والاه ومن اتّبع سنته واقتفى أثره إلى يوم الدّين، وبعد:–

أولا: فهذه بعض النّتائج التّي توصّلت إليها وهي على النحو الآتي :

1. وردت لفظة السّبيل ومشتقاتها في السّياق القرآني في خمس وسبعين موضعًا، وواحد وسبعين آية موزّعة على اثنتين وثلاثين سورة، وذلك في السّور المكّية، ووردت في تسعٍ وتسعين موضعًا، وثلاث وتسعين آية موزّعة على تسع عشرة سورة مدنية.
2. من خلال النّظر في موضوعات الآيات المكّية والمدنية نجد أنّها تتناسب مع طور الدّعوة الإسلامية في كلا المرحلتين.
3. سبيل الله تعالى هو سبيل واحد غير متعدد ولا متفرّع، وهو السّبيل المؤدّي إلى الجنّة والواقي من غضب الله ومن عذابه، فهو واضح لكل من أراد اتّباعه.
4. سبيل الله تعالى هو سبيل السّلام والسّعادة في الدّنيا والنّجاة في الآخرة، والمؤمن الحقّ يتوكل فقط على الله –ﷻ– كي يهديه إلى السّبيل القويم.
5. سبيل الله المستقيم هو سبيل الرّسول –ﷺ– ومن اتّبعه من المؤمنين الموحّدين، وهو طريق الصّلاح في هذه الحياة.
6. يتبين من خلال الآيات ندم أهل الباطل لانحيازهم عن الطّريق المستقيم، ولكن بعد فوات الأوان يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، فهم قد اتّبعوا أهواءهم وشهواتهم وآراءهم الفاسدة، وتركوا البراهين والآيات الدالة على طريق الله وجنّته.
7. سنّة الله في صرف العباد عن آياته حتّى هلكوا بسبب تكبّرهم وتكذيبهم بها.
8. ذمّ الإسلام السّبيل السّيء لأنه لا يورث إلا الفساد في الأرض ابتداءً بالأسرة وانتهاءً

بالمجتمع، فعلى رأسه الشّيطان وأعوانه من الجنّ والإنس.

9. كفل الإسلام للإنسان حميع حقوقه سواء كان مقيمًا أو مسافرًا، وهذا يدلّ على رحمة الإسلام بهذا الإنسان الضّعيف المحتاج أينما كان.

10. تسخير الله تعالى الأرض والجبال وكل ما على وجه الأرض لمنفعة الإنسان وتيسير له سبل حياته.

11. لا يعدُّ أيّ عمل في سبيل الله إلا عند إخلاص النّيّة لله، وأن يكون من أجل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه ومساندة نبيّه –ﷺ–.

12. الإنفاق في سبيل الله تعالى يحقّق الترابط بين أفراد المجتمع، وبه يقوى على عدوّه، وبه تتضاعف الأجور والحسنات.

13. عظم أجر المجاهدين في سبيل الله، وذلك كلّه لما يحققه من علوّ لكلمة الله وسيادة أمّة الإسلام على الكون كلّه، وبنشر دعوة السماء ملتزمين بالسماحة والأخلاق وتعاليم دينهم.

14. رحمة الله بعباده ورفع الحرج والمشقّة عنهم، فيشرع لهم الأحكام بما يتناسب مع طور الدّعوة حتّى لا يقعوا في الحرج والمشقّة.

15. يتميّز إيمان المؤمن عن غيره في أرض المعركة، وذلك ببيان صبره وثباته على الشّدائد، فالمؤمن لا تلين عزيمته من أيّ جرح أو إصابة، بل يثبت لنصرة دين الله.

16. يبيّن سبحانه كيفية الدّعوة إلى سبيله ودينه وكيفيّة تيسير طرق الدّعوة إليه، فعليه أن يتعرّف أحوال النّاس ويخاطبهم بما يناسبهم ويدعوهم إلى طريق الحقّ والرّشاد.

17. طريق الجنّة محفوف بالمخاطر والابتلاءات، ولكن تنتهي كل هذه الابتلاءات بجنة عرضها الأرض والسّماوات.

18. القتال في سبيل الطّاغوت لا يجلب على صاحبه إلا الدّمار في الدّنيا والآخرة.

19. أعداء هذا الدّين لا يألون جهدًا إلا ويستعملونه في الصّدّ عن سبيل الله، ولكن الحقّ لا بدّ أن ينتصر ولو بعد حين.

20. إنّ الإضلال عن سواء السّبيل له أسبابه المؤدّية إلى الوقوع فيه، وهي اتّباع السّبل الضّالّة المضلّة، والانحراف عن الصّراط المستقيم.

21. رسالة الإسلام تقوم على نشر الأمن والأمان في كلّ مكان.

22. البخل آفة لا بدّ من تركها بسبب ما يحصده البخيل من الندم والهلاك والضّياع.
23. اتّخاذ الأنداد واتّباع طريق الشّيطان والرّدّة عن دين الله واتّباع الهوى وغيرها من الأمور التّي تؤدّي إلى الهلاك.
24. من ثمرات اتّباع الرّسل وحسن التّوكّل على الله والجهاد في سبيله الرّاحة والرّزق الحسن في الدّنيا، وفي الآخرة جنّة الله ورضوانه.

ثانياً: أمّا عن التّوصيات فالباحثة توصي بما يلي:

1. أوصي العلماء والدّعاة بأن يبيّنوا للناس طريق الحقّ والرّشاد حتّى لا ينحرفوا في متاهات الشّيطان ويقعوا في الباطل.
2. أوصي المربّين أن يربّوا أبناءنا على اتّباع السّبيل الحقّ، وذلك من خلال شرح الآيات القرآنية والاستدلال بالأحاديث النبويّة الشّريفة حتّى يكبروا ويثبتوا على هذا الطّريق.
3. أوصي المؤمنين عامّة بأن يثبتوا على السّبيل المستقيم وألا يحيدوا عنه أبدًا.
4. أوصي بتحصين النّفس من اتّباع الشّهوات والآراء الفاسدة لأنها طريق يؤدي إلى الانحراف عن سبيل الله المستقيم.
5. أوصي بنصرة المجاهدين ولو بالقليل، فنصرتهم نصرة لله ودينه، ولها أجرها وثوابها الجزيل.

هذا و الله أسأل أن يتقبّل مني هذا العمل، فما كان صوابًا فهو من الله، وما كان خطًا فهو مني ومن الشيطان والله تعالى منه براء، وأصلي وأسلّم على أشرف الأنبياء والمرسلين، و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

فهرس الآيات القرآنيّة

الرقم	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة البقرة		
.1	وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى . . .	55	154
.2	أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ . . .	108	153
.3	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا . . .	165	194
.4	إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا . . .	166	162
.5	وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا	190	83
.6	وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى . . .	195	97,105
.7	مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ . . .	215	72
.8	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ . . .	217	113
.9	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا . . .	218	113
.10	أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ . . .	246	84
.11	فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ . . .	251	104
.12	مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .	261	100
.13	الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ . . .	262	101
.14	لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .	273	130
	سورة آل عمران		
.15	قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ . . .	13	86
.16	لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ . .	28	183
.17	قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ . . .	31	107
.18	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ . . .	99	144
.19	وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ . . .	146	121
.20	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ . . .	194-190	129
.21	فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ . . .	195	128
	سورة النّساء		

.22	وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا . . .	22	66
.23	وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ . .	36	73
.24	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ . . .	44	185
.25	فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ . . .	74	88
.26	وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .	75	90
.27	الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .	76	142,57
.28	فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ . . .	84	91
.29	وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً . .	89	115
.30	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .	94	123
.31	لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ . . .	95	103
.32	إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ . . .	100-97	114
.33	وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ . . .	100	117
.34	إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ.	105	47
.35	وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ . . .	115	47,188
.36	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ . . .	137	173
.37	يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ . .	153	153
.38	فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ . .	160	145
.39	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ . . .	167	146
	سورة المائدة		
.40	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ . . .	3	59
.41	وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ . .	12	155,170,198
.42	يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ . . .	16	37
.43	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ . . .	35	201
.44	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ . . .	51	182
.45	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ . . .	54	105
.46	قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ . . .	60	153

.47	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ . .	77	154,178
	سورة الأنعام		
.48	بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ . . .	41	174
.49	وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ . . .	55	60
.50	وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ . .	110	47
.51	لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ . . .	127	39
.52	وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ . . .	146	145
.53	قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا . .	151	41
.54	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ	153	31,40,165
	سورة الأعراف		
.55	وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ . . .	138	152
.56	وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ . . .	142	58
.57	سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ.	146	49,62
.58	الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ . . .	157	94
	سورة الأنفال		
.59	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا . . .	36	146
.60	قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.	38	114
.61	وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا . . .	44	87
.62	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا . . .	47	147
.63	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ . . .	72	119
.64	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . .	74	118,202
	سورة التوبة		
.65	اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ . .	9	148
.66	أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . . .	19	106
.67	الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .	20	108,203
.68	قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ . . .	24	192

.69	انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ . . .	41	109,203
.70	إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ . . .	60	73
.71	فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ . . .	81	194
.72	لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا . . .	91، 92	103
.73	وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ . .	92	97
.74	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ . . .	111	92
.75	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ . . .	120	137
	سورة يونس		
.76	وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ . . .	88	68
.77	قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا . .	89	68
	سورة يوسف		
.78	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ . . .	108	1,10,34،أ
	سورة إبراهيم		
.79	الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ . . .	3	149
.80	وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا . . .	12	35,42، 200
.81	وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ . . .	30	173
	سورة الحجر		
.82	قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ . . .	39	177
.83	وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ	51-77	53
.84	وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ	76	52
	سورة الإسراء		
.85	وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا . . .	29	97
.86	وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ . . .	31	189
.87	وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا	32	66,189
.88	وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	34	189
.89	تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ . .	44	35
	سورة الكهف		

.90	وَقُلِ الحقّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن . . .	29	135
.91	وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا . . .	53	48
.92	فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا . . .	61	78
.93	فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا . . .	63-62	79
	سورة طه		
.94	قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ . . .	50	77
.95	الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرض مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ . . .	53	76
	سورة الأنبياء		
.96	وَجَعَلْنَا فِي الأرض رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ . .	31	76
	سورة الحج		
.97	الذين أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ . . .	40	183
	سورة النور		
.98	الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا . . .	2	192
.99	قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ . . .	30	191
.100	وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ . .	31	191
.101	وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ . .	32,33	192
	سورة الفرقان		
.102	وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا . . .	27	37
.103	قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاء . .	57	133
.104	وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا . .	67	98
	سورة النمل		
.105	وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ .	24,23	177
.106	وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ	40	ج
	سورة العنكبوت		
.107	وَقَالَ الذين كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا . . .	12	161
.108	أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ . .	29	163
.109	وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ	38	151,177

.110	وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ . . .	46	33
.111	وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ . . .	69	111
	سورة لقمان		
.112	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ . . .	6	187
.113	وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ . .	15	45,136
	سورة الأحزاب		
.114	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ . . .	59	192
.115	وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا . .	67	184
	سورة سبأ		
.116	قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ . . .	24	155
	سورة الصافات		
.117	احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا . . .	23-22	48
.118	وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿137﴾ وَبِاللَّيْلِ . .	138-137	54
	سورة ص		
.119	يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ . . .	26	180
	سورة الزمر		
.120	وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ . . .	8	174
.121	قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ	9	103
	سورة غافر		
.122	يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ	19	56
.123	يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ . . .	29	50
.124	وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ . . .	38	51
.125	إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . .	51	90
	سورة الشورى		
.126	فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ . .	11	44
.127	إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ . . .	42	195
	سورة محمد		

.128	الذّين كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبيلِ اللَّهِ أَضَلَّ . . .	1	151
.129	أَفَلَمْ يَسيرُوا فِي الأرض فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ . . .	10	54
.130	إِنَّ الذّين كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا . .	34	151
.131	هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبيلِ اللَّهِ . . .	38	164
	سورة الفتح		
.132	لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ.	17	109
.133	مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ	29	106
	سورة الحجرات		
.134	إِنّما الْمُؤْمِنُونَ الذّين آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ . . .	15	110
	سورة الحديد		
.135	وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ . . .	10	98
	سورة الممتحنة		
.136	يَا أيها الذّين آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوَّكُمْ . . .	1	158,181
	سورة الصف		
.137	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الذّين يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا . . .	4	95
.138	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي . . .	5	47,62
.139	يَا أيها الذّين آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجيكُم	10	111
.140	تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبيلِ اللَّهِ.	11	111
	سورة القلم		
.141	فَذَرْنِي وَمَن يُكَذّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم . . .	44	47
	سورة المزمل		
.142	وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿10﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ . . .	19-10	134
.143	إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبّهِ سَبِيلًا	19	133
	سورة المطففين		
.144	كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ	14	56
	سورة البروج		

.145	وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ . . .	**8**	**182**
سورة العلق			
.146	أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى	**14**	**56**

فهرس الأحاديث النبوية

	طرف الحديث	رقم الصفحة
.1	اتّقوا الظّلم فإنّ الظّلم ظلمات يوم القيامة	197
.2	إياكم والدخول على النساء...	191
.3	جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم	92,109
.4	خط لنا رسول الله ﷺ يومًا خطًا فقال: "هذا سبيل الله"	32,40
.5	على ابنك مائة جلدة وتغريب عام	193
.6	كُتب على ابن آدم نصيبه من الزّنى مدرك ذلك لا محالة...	191
.7	لا يخلُونّ أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم	191
.8	لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة	100
.9	ما نقصت صدقة من مالٍ	101
.10	من لا يشكر الناس لا يشكر الله	ج
.11	يا معشر الشّباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج...	192

فهرس الأعلام المترجم لها

	اسم العلم	رقم الصفحة
.1	أَبُو بكر مُحَمَّد بن إِسْحَاق ابْن حزيمة بن الْمُغيرَة النَّيْسَابُورِي	146
.2	أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني الأنجري	143
.3	الحسن بن يسار البصري	94
.4	أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي	11
.5	صفي بن عامر الأسلت بن جشم بن وائل الأوسي، أبو قيس الأنصاري	65
.6	محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، الفيروز آبادي	11
.7	محمد صديق خان بن حسين بن علي الحسيني البخاري القنوجي	162
.8	نعمة الله بن محمود النخجواني المعروف بالشيخ علوان	120
.9	يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد المناوي	12

فهرس المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر العربية.

1.	إبراهيم إسماعيل الإبياري	إبراهيم بن إسماعيل الإبياري (ت1414هـ)، **الموسوعة القرآنية**، مؤسسة سجل العرب، القاهرة – مصر، 1405هـ–1985م.
2.	ابن أبي زمنين	أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المري (ت 399هـ)، **تفسير القرآن العزيز**، الفاروق الحديثة، القاهرة – مصر، ط1، 1423هـ– 2002م.
3.	ابن الجوزي	أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري (ت597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ–2001م.
4.	ابن باديس	عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت 1359هـ)، **تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1416هـ–1995م.
5.	ابن جزي الكلبي	أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان، ط1، 1416هـ–1996م.
6.	ابن عاشور	محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (1393 هـ)، **التحرير والتنوير**، دار شحنون للنشر والتوزيع، تونس– تونس، ط1، 1417هـ–1997م.
7.	ابن عرفة	محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت 803هـ)، **تفسير ابن عرفة**، مركز البحوث بالكلية الزيتونية،

		تونس، ط1، 1406هـ- 1986م.
8.	ابن عطية الأندلسي	أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي (ت541هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1413هـ-1993م.
9.	ابن فارس	أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1399هـ-1979م.
10.	ابن قيّم الجوزية	محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زيد الدين الزُّرعي الدمشقي الحنبلي (ت751هـ)، **إغاثة الهفان من مصائد الشيطان**، دار المعرفة، بيروت –لبنان، ط2، 1395هـ- 1975م.
11.	ابن كثير	أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القرشي (ت774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض –السعودية، ط2، 1420هـ-1991م.
12.	ابن منظور	محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الأفريقى (ت711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت ، لبنان، ط3، 1414هـ - 1994م.
13.	أبو إسحاق الزجاج	أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج البغدادي (ت311هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق عبد الجليل عبه شلبي، عالم الكتب، ط1، 1408هـ-1988م.
14.	أبو البركات النسفي	أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت710هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، دار الكلم الطيب، بيروت –

		لبنان، ط1، 1419هـ-1998م.
15.	أبو البقاء الكفوي	أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت1094هـ)،**الكليات**، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان، ط1، 1419هـ- 1998م.
16.	أبو الحسن النيسابوري	أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد ابن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت 468هـ)، **أسباب نزول القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1411هـ- 1991م.
17.	أبو السعود العمادي	أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار الفكر، بيروت ، لبنان، ط1، 1421هـ-2000م.
18.	أبو العباس أحمد بن عجيبة	أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة الإدريسي الحسني الشريف (ت1224هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق حسن عباس زكي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 1423هـ – 2002 م.
19.	أبو المظفر السمعاني	منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله التميمي (ت489هـ)، **تفسير القرآن**، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط1، 1418هـ-1997م.
20.	أبو بكر الجزائري	أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري (ت1435هـ)، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة – السعودية، ط5، 1424هـ-2003م.
21.	أبو بكر الجصاص	أبو بكر أحمد بن على الرازي الجصاص (ت370هـ)، **أحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ – 1994م.
22.	أبو جعفر الطبري	محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو

		جعفر الطبري (ت310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.
23.	أبو حيان الأندلسي	محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، أبو حيان الغرناطي الأندلسي الجياني النفزي (ت745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، دار الفكر، بيروت ، لبنان، 1420هـ-2000م.
24.	أبو داود السجستاني	أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي (ت275هـ)، **سنن أبي داود**، مكتبة المعارف للنشر، الرياض – السعودية، د.ت.
25.	أبو زكريا الفراء	أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الديلمي الكوفي (ت207هـ)، **معاني القرآن**، دار عالم الكتب، ط3، 1403هـ-1983م.
26.	أبو زيد الثعالبي	أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف بن طلحة بن عامر بن نوفل بن عامر بن موصور بن محمد بن سباع بن مكي بن ثعلبة (875هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.
27.	أبي الطيب القنوجي	أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوج (ت1357 هـ)، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1412هـ-1992م.
28.	أبي حفص النعماني	أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت775هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419هـ-1998م.
29.	أحمد الكوراني	أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني شهاب الدين الشافعي (ت893هـ)، **غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني**، جامعة

		ساقريا كلية العلوم الاجتماعية، تركيا، 1428هـ- 2007م.
30.	أحمد بن حنبل	أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (ت241هـ)، **مسند الإمام أحمد**، مؤسسة قرطبة، القاهرة – مصر، ط1، 1420هـ-1797م.
31.	أحمد مصطفى المراغي	أحمد بن مصطفى المراغي (ت1371هـ)، **تفسير المراغي**، دار الفكر، بيروت ، لبنان، د.ت.
32.	إسماعيل حقي الإستانبولي	أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (ت1137هـ)، **روح البيان**، دار الفكر، بيروت ، لبنان، د.ت.
33.	الألوسي	أبي الفضل محمود شهاب الدّين أبو الثناء الحسيني الألوسي البغدادي (ت1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر، بيروت ، لبنان، د.ت.
34.	البخاري	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزبَه الجعفي البخاري (ت256هـ)، **صحيح البخاري**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 1423هـ- 2002م.
35.	برهان الدّين البقاعي	إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 1424هـ، 2002م.
36.	البغوي	أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (ت516هـ)، **معالم التنزيل في تفسير علوم القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1420هـ-2000م.
37.	البيضاوي	ناصر الدين أبي الخير، عبد الله بن عمر بن علي البيضاوي الشيرازي، الشافعي (ت 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الفكر، بيروت ، لبنان، ط1418،1هـ-1998م.
38.	الترمذي	أبو عيسي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، السلمي الترمذي (ت279هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق الألباني،

		مكتبة دار المعارف، الرياض– السعودية، ط1، د.ت.
39.	التستري	أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت 283هـ)، **تفسير التستري**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1423هـ–2002م.
40.	الثعلبي	أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت437هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، ط1، 1422هـ –2002م.
41.	جرجس الشويلي	جرجس الشويلي، **معجم الطالب**، دار المشرق، بيروت – لبنان، ط21.
42.	جلال الدّين السيوطي	عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خن الخضيري الأسيوطي (ت911هـ)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر، بيروت ، لبنان، د.ت.
43.	جمال الدّين القاسمي	جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت1332هـ)، **محاسن التأويل**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1418هـ.
44.	حكمت بشير ياسين	حكمت بن بشير بن ياسين الموصلي، **موسوعة الصّحيح المسبور من التفسير المأثور**، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 1420هـ–1999م.
45.	خالد سليمان المزيني	خالد بن سليمان المزيني، الم**حرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة**، دار ابن الجوزي، الدمام – السعودية، ط1427،1هـ– 2006م.
46.	خير الدين الزِّرِكْلي	خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزِرِكْلِيّ (ت1396هـ)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت –لبنان، ط15، 1422هـ–2002م.
47.	دروزة محمد عزت	دروزة محمد عزت (ت 1383هـ)، **التفسير الحديث**، دار إحياء

		الكتب العربية، القاهرة– مصر ،1383هـ– 1963م.
48.	الراغب الأصفهاني	أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ)، **تفسير الراغب الأصفهاني**، كلية الآداب جامعة طنطا، طنطا – مصر، ط1، 1420هـ– 1990م.
49.	الزمخشري	أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت538هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.د.ت.
50.	السمين الحلبي	أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود (ت756هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، دار القلم، دمشق – سوريا، د.ت.
51.	سيد قطب	سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت1386هـ)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط17، 1412هـ–1992م.
52.	شمس الدّين القرطبي	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح (ت671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر، ط2، 1384هـ– 1964م.
53.	الشوكاني	محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1255هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر، بيروت ، لبنان، ط1، 1413هـ–1992م.
54.	الصابوني	محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط1، 1417هـ –1997م.
55.	عبد الرّحمن السعدي	أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي (ت1376هـ)، **تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان**، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان، ط1، 1420هـ– 2000م.
56.	عبد القادر العاني	عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت

		1398هـ)، **بيان المعاني**، مطبعة الترقي، دمشق- سوريا، ط1، 1382هـ-1965م.
57.	عبد الكريم القشيري	عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري (ت465هـ)، **لطائف الإشارات** – تفسير القشيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، ط3.
58.	عبد الكريم يونس الخطيب	عبد الكريم يونس الخطيب (ت1390هـ)، التفسير **القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، د.ت.
59.	عبدالله بن عباس	عبدالله بن عباس (ت68هـ)، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت.
60.	عثمان بن سعيد الدارمي	عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمي الدارمي السجستاني (ت280هـ)، **نقد الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله من التوحيد**، مكتبة الرّشد للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، ط1، 1418هـ-1998م.
61.	العز بن عبد السّلام	أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مهذّب السُلمي (ت660هـ)، **تفسير القرآن**، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط1، 1416هـ- 1996م.
62.	علاء الدين الخازن	علاء أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل البغدادي (ت741هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الفكر، بيروت ، لبنان، ط1، 1399هـ-1979م.
63.	فخر الدين الرازي	محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري الرازي (ت606هـ)، **مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1421هـ-2000م.
64.	فؤاد إفرام البستاني	فؤاد أفرام البستاني (ت1415هـ)، **منجد الطّلاب**، دار المشرق، بيروت – لبنان، ط21، 1986م.
65.	الفيروز آبادي	أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم

		الشيرازي الفيروز آبادي (ت817هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، 1416هـ - 1996 م.
66.	الفيروز آبادي	أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز آبادي (ت817هـ)، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان، ط8، 1426هـ-2005م.
67.	لجنة من علماء الأزهر	**المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، مؤسسة الأهرام، القاهرة – مصر، ط18، 1416هـ- 1995م.
68.	الماتريدي	أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي (ت333هـ)، **تأويلات أهل السنة**، بيروت – لبنان، ط1، 1426هـ -2005م.
69.	الماوردي	أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (ت450هـ)، **النكت والعيون**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
70.	محمد أبو زهرة	محمد أحمد مصطفى أحمد (ت1394هـ)، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي،القاهرة –مصر، 1417هـ-1987م.
71.	محمد الأمين الشنقيطي	محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن نوح بن محمد بن أحمد بن المختار الجكني (ت1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- السعودية، ط1، 1425هـ-2005م.
72.	محمد ثناء الله المظهري	محمد ثناء الله العثماني الحنفي النقشبندي المظهري (ت 1225 هـ)، **التفسير المظهري**، مكتبة الرشادية، باكستان، 1412هـ-1992م.
73.	محمد رشيد رضا	محمد رشيد بن علي رضا (ت 1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، 1411هـ-1990م.

.74	محمد سيد طنطاوي	محمد سيد طنطاوي (ت1431هـ)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط3، 1407هـ-1978م.
.75	محمد عبد الرؤوف المناوي	زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري (ت 1031هـ)، **التوقيف على مهام التعاريف**، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط1، 1410هـ-1990م.
.76	محمد متولي الشعراوي	محمد متولي الشعراوي (ت1418هـ)، **تفسير الشعراوي**، مطابع أخبار اليوم، القاهرة – مصر، د.ت.
.77	محمد محمود حجازي	محمد محمود حجازي، **التفسير الواضح**، دار الجيل الجديد، بيروت – لبنان، ط10، 1413هـ-1993م.
.78	المرتضى الزبيدي	محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية للنشر، القاهرة – مصر، د.ت.
.79	مسلم بن الحجاج	أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري (ت261هـ)، **صحيح مسلم**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 1424هـ-2003م.
.80	مكي بن أبي طالب	أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت437هـ)، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، جامعة الشارقة، الشارقة – الإمارات، ط1، 1429هـ-2008م.
.81	مؤنس رشاد الدّين	مؤنس رشاد الدّين، **المرام في المعاني والكلام**، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة – مصر.
.82	نخبة من أساتذة التفسير	**التفسير الميسر**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ط2، 1430هـ-2009م.

83.	النسائي	أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النسائي (ت303هـ)، **سنن النسائي**، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان، د.ت.
84.	نظام الدّين النيسابوري	الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري (ت850هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1416هـ-1995م.
85.	نعمة الله النخجواني	نعمة الله بن أبي الفضل محمود النخجواني (ت920هـ)، **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية**، دار ركابي للنشر – الغورية، مصر ، ط1، 1419هـ-1999م.
86.	نووي الجاوي	أبو عبد المعطي محمد بن عمر بن عربي بن علي نووي الجاوي البنتني التناري المصري (ت1316هـ)، **مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط،1417هـ.
87.	وهبة الزحيلي	وهبة بن مصطفى الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، دمشق- سوريا، ط2، 1418هـ-1997م.
88.	وهبة الزحيلي	وهبة بن مصطفى الزحيلي، **التفسير الوسيط**، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط1، 1422هـ-2001م.

فهرس الموضوعات

الإهـــــداء	**ب**
شكرٌ وتقديرٌ	**ج**
المقدمة	**1**
أولًا: أهمية الموضوع.	**2**
ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع.	**2**
ثالثًا: أهداف البحث وغاياته.	**2**
رابعًا: الدراسات السابقة.	**3**
خامسًا: منهج البحث.	**3**
سادسًا: خطة البحث.	**4**
التمهيـــد	**9**
السّبيل بين المعاني اللغوية والاصطلاحية والسياق القرآني	**9**
1.معنى السّبيل لغة:	10
2.معنى السّبيل اصطلاحًا:	11
ثانيًا: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية:	**12**
ثالثًا: السّبيل ومشتقاتها في السياق القرآني	**12**
لفظة السّبيل ومشتقاتها في الآيات المكّية:	12
لفظة السّبيل ومشتقاتها في الآيات المدنية:	16
رابعًا: موضوعات الآيات التّي وردت لفظة السّبيل أو إحدى مشتقاتها في سياقها:	**23**
موضوعات الآيات المكّية:	23
موضوعات الآيات المدنية:	24
الفصل الأوّل	**26**

أنواع السّبيل في السياق القرآني	**26**
المبحث الأوّل: السّبل المحمودة	**27**
المطلب الأوّل :سبيل الله ﷻ.	28
المطلب الثّاني :سبيل الرّسول-ﷺ- والرسل من قبله عليهم السّلام.	31
المطلب الثّالث: سبيل السّلام.	33
المطلب الرّابع : السّبيل المستقيم.	35
المطلب الخامس : سبيل المتوكلين على الله.	37
المطلب السّادس : سبيل المنيبين إلى الله.	39
المطلب السّابع : سبيل المؤمنين.	41
المطلب الثّامن: سبيل الرّشد والرّشاد.	44
المطلب التّاسع : السّبيل المقيم.	47
المبحث الثّاني: السّبل المذمومة	**50**
المطلب الأوّل: سبيل الطّاغوت.	51
المطلب الثّاني: سبيل المفسدين.	53
المطلب الثّالث: سبيل المجرمين.	54
المطلب الرّابع: سبيل الغي.	56
المطلب الخامس: السّبيل السيء.	58
المطلب السّادس: سبيل الذّين لا يعلمون.	60
المبحث الثّالث: سبلٌ لا توصف بمدحٍ أو ذم	**63**
المطلب الأوّل: ابن السّبيل.	64
المطلب الثّاني: سبيل الأرض.	67
المطلب الثّالث: سبيل الحوت.	69
الفصل الثّاني	**71**
ميادين السّبيل في السياق القرآني	**71**
المبحث الأوّل: ميادين الخير.	**72**
المطلب الأوّل: القتال في سبيل الله.	73
المطلب الثّاني: الإنفاق في سبيل الله.	84
المطلب الثّالث: الجهاد في سبيل الله.	90

المطلب الرّابع: الهجرة في سبيل الله.	99
المطلب الخامس: الإصابة في سبيل الله.	105
المطلب السّادس: الضرب في سبيل الله.	107
المطلب السّابع: الدّعوة إلى سبيل الله.	110
المطلب الثّامن: الإيذاء في سبيل الله.	112
المطلب التّاسع : الإحصار في سبيل الله.	114
المطلب العاشر: اتّباع سبيل الله.	116
المطلب الحادي عشر: اتّباع سبيل من أناب.	119
المطلب الثّاني عشر : الظّمأ والنّصب والمخمصة في سبيل الله.	121
المبحث الثّاني: ميادين الشر	**124**
المطلب الأوّل: القتال في سبيل الطّاغوت.	125
المطلب الثّاني: الصّدّ عن سبيل الله.	127
المطلب الثّالث: إضلال سواء السّبيل.	134
المطلب الرّابع: اتّباع سبيل الكافرين.	142
المطلب الخامس: قطع السّبيل.	143
المطلب السّادس: عدم الإنفاق في سبيل الله.	144
المطلب السّابع: اتّباع السّبل.	146
الفصل الثّالث	**148**
أسباب الإضلال وأسباب الهداية	**148**
المبحث الأوّل: أسباب الإضلال عن سبيل الحقّ	**149**
المطلب الأوّل: الكفر بعد الإيمان.	150
المطلب الثّاني: اتّخاذ الأنداد.	153
المطلب الثّالث: تزيين الشيطان للأعمال.	155
المطلب الرّابع: اتّباع الهوى.	157
المطلب الخامس: اتّباع السّبل.	159
المطلب السّادس: موالاة الأعداء.	160
المطلب السّابع: طاعة السّادة والكبراء.	161
المطلب الثّامن: شراء الضّلالة ولهو الحديث.	163
المطلب التّاسع: اتّباع غير سبيل المؤمنين.	165

المطلب العاشر: الزّنا ومقدّماته.	166
المطلب الحادي عشر: كراهية الجهاد بالمال والنفس.	169
المطلب الثّاني عشر: ظلم النّاس.	172
المبحث الثّاني: أسباب الهداية إلى السّبيل الحقّ	**174**
المطلب الأوّل: اتّباع الرّسل.	175
المطلب الثّاني: حسن التّوكل على الله.	176
المطلب الثّالث: الجهاد في سبيل الله.	178
الخاتمة	**181**
فهرس الآيات القرآنيّة	**184**
فهرس الأحاديث النبوية	**192**
فهرس الأعلام المترجم لها	**193**
فهرس المصادر والمراجع	**194**
فهرس الموضوعات	**205**
ملخص الدراسة باللّغة العربيّة	**209**
ABSTRACT	**210**

ملخص الدراسة باللّغة العربيّة

هذا البحث يبحث في التّفسير الموضوعي لموضوع قرآني بعنوان:

(السّبيل في ضوء القرآن الكريم... دراسة موضوعية)

حيث تتحدّث هذه الدّراسة العلمية حول موضوع من موضوعات القرآن الكريم، وموضوع الدّراسة جدير بالبحث والدّراسة، خاصّة وأنّ السّبيل لطريق الحقّ محفوف بالمخاطر، وسبيل الشرّ محفوف بالشّهوات، فلا بدّ أن يتّضح للنّاس السّبيل الصّحيح لكي يتبّعوه فلا ينتهجوا منهج الشيطان ويقعوا في مكائده.

وقد اعتمدت الباحثة في بحثها لهذا الموضوع على المنهج الاستقرائي، وتتكون هذه الرسالة من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

أمّا التمهيد فقد تحدّثت فيه الباحثة عن معنى السّبيل في اللغة والاصطلاح، وبيّنت العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة السّبيل، وبيّنت كذلك مشتقات كلمة السّبيل في الآيات المكّية والمدنية، وكذلك الموضوعات التّي وردت السّبيل في سياقها في الآيات المكّية والآيات المدنية.

وفي الفصل الأوّل تحدثت الباحثة عن أنواع السبيل في السياق القرآني، واحتوى هذا الفصل على ثلاثة مباحث، أما المبحث الأوّل فتحدّثت فيه عن السّبل المحمودة، أمّا المبحث الثّاني فكان عن السّبل المذمومة، وتحدّثت في المبحث الثّالث عن السّبل التّي لا توصف بمدح أو ذم.

وأما الفصل الثّاني فقد تحدّثت الباحثة فيه عن ميادين السّبيل في السياق القرآني، فتحدّثت في المبحث الأوّل عن ميادين الخير، وتحدّثت في المبحث الثّاني عن ميادين الشر.

وأما الفصل الثّالث فقد تحدّثت الباحثة فيه عن أسباب الإضلال وأسباب الهداية، حيث تحدّثت المبحث الأوّل عن أسباب الإضلال عن سبيل الحقّ، وتحدّثت المبحث الثّاني عن أسباب الهداية إلى السّبيل الحقّ.

وقد ختمت الباحثة بحثها بخاتمة اشتملت على مجموعة من النتائج والتوصيات، وقد اشتمل هذا البحث على مجموعة من الفهارس، وهي فهرس الآيات القرآنية وفهرس الأحاديث النبوية وفهرس الأعلام وفهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات، كما اشتمل هذا البحث على ملخص للرسالة باللغة العربية وملخص باللغة الإنجليزية.

والله الموفق والهادي إلى سواء السّبيل.

Abstract

This research investigates a quranic subject in objective interpretation titled:

(The Way in the Light of the Holy Quran... an Objective Study)

This scientific study investigates a subject of Quran subjects, this subject of study is worth of study and research. Especially that the way of right is fraught with dangers, and the way of evil is fraught with pleasures. Therefore, people should recognize the right way to follow to avoid following the evil.

The researcher followed the inductive method and this research consists of an introduction, preface, three chapters and a conclusion.

Talking about the preface, the researcher talked about the meaning of the way in the Language and idiomatically, showed the relationship between linguistic and idiomatic meaning of the word the way, and explained the derivations of the way in Meccan and Medinan verses, and also the subjects where the way was mentioned in Meccan and Medinan verses.

The first chapter consists of three subjects, where researcher talked about the types of the way in quranic conticts,. In the first subject, she talked about the good ways. While in the second, she talked about the misguiding ways and in the third, she talked about the ways in between.

While in the second chapter, researcher talked about the way's fields in the quranic context.In the first field, she talked about the good fields and in the other, she talked about the evil fields.

Talking about the third chapter, the researcher talked about the causes of misguiding and the causes of Hedaya, where the first subject talked about the causes of misguiding of the right way and in the second subject, she wrote about the causes of Hedaya to the right way.

The researcher concluded her research with a group of results and recommodations. This research contains a number of indexes which are the index of quranic verses, the index of prophet Mohammed speech, the index of proper nouns, the index of resources and references, and the index of subjects in addition to the research abstract in Arabic and English.